

موسوعة الحضارة الإسلامية

١

المناهج الإسلامية

أصولها الصحيحة - انحرافاتها - وجوب تصحيحها
مع مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

دكتوراه من جامعة كمبردج (إنجلترا)
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

والحائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته في السيرة النبوية والحضارة الإسلامية

الطبعة السادسة (١٩٨٩)



مكتبة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع مصطفى كامل بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨

الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢

الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤

الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٦

الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٧

الطبعة السادسة سنة ١٩٨٩

كتب للمؤلف

أولاً : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسه بحبلبله شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ العالم الاسلامى كله ،
من مطلع الاسلام حنى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى
حففتها الدول الاسلاميه عبر التاريخ . (الطبعة الرابعة عشرة)

الجزء الاول : السيرة النبوية العطرة وعصر الخلفاء الراشدين .

الجزء الثانى : الدولة الاموية وانصاف تاريخها .

الجزء الثالث : الخلافة العباسية والدور الحضارى خلال عصرها الاول .

الجزء الرابع : الاندلس الاسلامية ، انتقال الحضارة الاسلامية الى أوروبا .
المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا من مطلع الاسلام
حتى الآن .

الجزء الخامس : تاريخ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى الآن - الحروب
الصليبية - تاريخ الامبراطورية العثمانية .

الجزء السادس : الاسلام والدول الاسلاميه جنوب صحراء افريقه من
دخلها الاسلام حتى الآن : موريتانيا - السنغال -
جامبيا - غينيا - مالي - النيجر - نيجيريا - تشاد -
السودان - الصومال - حبيوتى .

الجزء السابع : دول الجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الآن .
المملكة العربية السعودية - اليمن - جمهوريه اليمن
الجنوبيه - عمان - دولة الامارات العربية - قطر -
البحرين - الكويت - نم العراق .

الجزء الثامن : الدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران - أفغانستان -
الباكستان - بنجالاديش - ماليزيا - اندونيسيا -
أفغليان الاسلاميه فى الهند والصين وروسيا والفيلبين .

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم .

عصر جمال عبد الناصر : عصر المطالم والهزائم .

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر انور السادات .

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة الحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الاسلام لهداية البشرية في شؤون الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلاقات الدولية ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والتشريعية والقضائية والعسكرية ، كما تبرز جهود المسلمين في الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك ... (الطبعة العاشرة)

الجزء الاول : موخر عام للحضارة السلامية - المناهج الاسلامية :
أصولها الصحيحة - انحرافاتهما - وجوب تصحيحها .

الجزء الثاني : الفكر الاسلامي : منابعة وآثاره .
مآثر المسلمين في مجاا الدراسات العلمية والفلسفية .

الجزء الثالث : السياسة في الفكر الاسلامي - مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة .

الجزء الرابع : الاقتصاد في الفكر الاسلامي - مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة .

الجزء الخامس : التربية والتعلم في الفكر الاسلامي .
الجزء السادس : المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته في الفكر الاسلامي .

الجزء السابع : الحياة الاجتماعية في الفكر الاسلامي : نطاق الأسرة ونطاق المجتمع كالافراح والمآتم والموسيقى والغناء .

الجزء الثامن : التشريع والقضاء في الفكر الاسلامي .

الجزء التاسع : العلاقات الدولية في الفكر الاسلامي .

الجزء العاشر : رحلة حياة : نحرية تعرض لمجموعة من فضايا الحضارة الاسلامية .

بالشا : التفسير الميسر للقرآن الكريم .

تفسير موجز وواضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم اذا قرأته أو سمعته ، مع وقفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة .

كتب للمؤلف

رابعاً : مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق ، وتشمل :

الجزء الأول : اليهودية : (الطبعة التاسعة)

— دراسة لثنى المسائل اليهودية : اليهود في التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل ، عقيدة بنى اسرائيل ، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودي ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ...

— مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

— اليهود في الظلام : الماسونية ، والروتاري ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

— من صور التشريع في اليهودية .

الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة التاسعة)

— المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكهنة .

— بولس واضع المسيحية الحالية ، التتليث ، صلب المسيح للنكفر عن خطيئة البنتر .

— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجمع ، طبعه المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهينة والاديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى وثلاثيها ونقدمها .

الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة التاسعة)

— الله في التفكير الاسلامى ، النبوة في التفكير الاسلامى ، غير المسلمين

في المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المرأة في الاسلام ، الرق وموقف

الاسلام منه ، السياسة والاقتصاد في الاسلام . آراء المفكرين

الغربيين في الاسلام ورسول الاسلام .

الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة التاسعة)

« الهندوسية — الجينية — البوذية »

— تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الأديان في الهند .

— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الريدا : مهابهارتا : بوداواسميتها : كهلسا .

— أهم العقائد الهندية : الكارما والناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجود .

— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها .

كتب للمؤلف

خامسا : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ - كيف نكتب بحثا أو رسالة

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه
(الطبعة العشرون - مع ثلاثة ملاحق مهمة)

٢٦ - الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام ، واستمرارها حتى الآن :
عرض للهجمات الصليبية الغربية عسكرية وفكرية على الممالك
الاسلامى عبر انصور .

كتابان باللغة الانجليزية هما :

مكتبة النهضة المصرية	ISLAM : Belief - Legislation - Morals	٢٧
	History of Muslim Education	٢٨
	وباللغة الفرنسية :	
	Islam : Croyance - Législation - Morale	٢٩

وباللغة الاندونيسية والبالزية :

Pustaka National (Singapore)	Neureß dan Pemerintahan Dalam Islam	٣٠
	Masyarakat Islam	٣١
	Hukum Islam	٣٢
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	1 ٣٣
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	11 ٣٤
	Sedjarah dan Kebudajaan Islam	111 ٣٥
	Perbandingan Agama (Jahudi)	٣٦
	Perbandingan Agama (Masihi)	٣٧
	Perbandingan Agama (Islam)	٣٨
	Perbandingan Agama (Agama2 yang	
	Terbesar di India : Hindu-Jaina-Buddha)	٣٩
	Sadjarah Pendidikan Islam	٤٠
	Politik dan Ekonomi Dalam Islam	٤١
	Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam	٤٢
	Perkembangan Keagamaan Dalam Islam	
	dan Masihi	٤٣
	Perang Salib	٤٤
	Kurikulum Islam Dalam	
	Perkembangan Sedjarah	٤٥
	Pengajian 'Al Quraan	٤٦
	Sedjarah Kehakiman Dalam Islam	٤٧

كتب للمؤلف

سادسا : المكتبة الإسلامية لكل الأعمار

تخطيط يشمل ١٠٠ جزء ، يقرأها كل فرد من أفراد الأسرة ظهر منها ٥٨ جزءا كالتى :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة (١٦ جزءا)

وتشمل سيره الرسول ﷺ وحوادث منها تدوّن لأول مرة .

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة (٧ أجزاء)

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية (٥ أجزاء)

برول القرآن وبدويته - القرآن والعلم - فضائل القرآن -

اعجاز القرآن - الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم .

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم (٧ أجزاء)

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف (٥ أجزاء)

لماذا انحرف ندوين البارج الأموى ؟ ماذا عن محاسن الأمويين؟

مدعو السبع وسموهم - فمم في التاريخ الأموى :

معاوية - عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - عمر

ابن عبد العزيز - التوسع الاسلامى والحضارى فى العهد الأموى

- قصة استشهاد الامام الحسين والمسئول عنها .

المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات (٦ أجزاء)

- من شهداء الاسلام .

- الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الآن

- شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه .

المجموعة السابعة : الاسلام والمرأة (٥ أجزاء)

حالة المرأة فى الحضارات غير الاسلامية - ماذا قدم الاسلام للمرأة؟

نماذج من السيدات المسلمات: من بيت النبوة «السيدة زينب والسيدة

سكينة » ونماذج فى السياسة والآداب والعلوم والفنون - زيات

شهيرة فى التاريخ : « زبيدة - بوران - قطر الندى » .

الميراث فى الشريعة الاسلامية : دراسة شاملة .

تاريخ الطب فى الاسلام .

حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور . (٣ أجزاء فى مجلد واحد)

دور « دار العلوم » فى تطوير دراسة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

(الأجزاء التالية ستظهر هربيا ان شاء الله)

كتب المؤلف

سابعاً : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٨ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الرابعة)
يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالنحوي ، فالإملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة في القراءة والمحادثة والكتابة ، مسجلاً في هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامي والعربي اخلت من امهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمارين مفيدة .

٤٩ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الرابعة)
عرض لجميع أبواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة ودراسة واضحة لاهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضروري للمثقف العربي وشي العربي

كتب نفدت وإن يمساد طبعها

- ٥٠ — في قصور الخلفاء العباسيين :
- أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .
- ٥١ — مصر في حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .
- ٥٢ — الحكومة والدولة في الاسلام :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .
- ٥٣ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي .
- ٥٤ — النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامي فيها .
- وأكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .
- ٥٥ — الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الاسلامي :
- وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٩ من هذه القائمة .

محتويات الكتاب

١٧	مقدمه عامه لموسوعة النظم والحضاره الاسلاميه
١٩	ما النفاهه وما المدببه وما الحضاره ؟

أنواع الحضارة الاسلامية اجمالاً :

٢٣	١ - حضارة الدول أو حضاره التاريخ
٢٣	٢ - الحضارة الاسلاميه الأصلية
٢٤	٣ - الحضارة المقتبسة أو النجريبية ..
٢٥	أى الحضارتين أكثر نفعا ؟ .. .

الحضارة الاسلامية الاصيله وتعريف سريع باتجاهاتها :

٢٦	العفيدة والاخلاق فى الاسلام
٣٠	السياسة فى الاسلام
٣٣	الافنصـاد
٣٤	التربيه والنعليم ..
٣٦	المجتمع الاسلامى
٣٦	الحياة الاجتماعيه
٣٧	الفانون والقضاء
٣٨	العلاقات الدوليه
٤٠	حربه التدنن وحقوق المرأة والقضاء على الرق

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية :

الحضارات القديمة :

٤١	مصر
٤٣	من أعاجيب الحضارة الفرعونيه
٤٣	اليوت سميث والحضارة المصريه
٤٤	أسباب نشأة الحضارة بمصر
٤٤	الحضارة المصريه تظهر فى مناطق مختلفه
٤٦	الفينبقبون ..
٤٧	بائل وأشور
٤٧	البمن ..
٤٧	فارس ..
٤٨	الهند
٤٨	قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان
٤٩	شهادة جورج سارتون

الموضوع	الصفحة
سهادة طه حسين	٤٩
سهادة فيليب حنى	٥٠
سهادة ألبرت فور	٥٠
الانناج الجماعى ساعد على إحقاء دور مصر	٥١
اليونان والحصاره	٥٣
أوريا والحصاره	٥٤
بهاية الحصارات القديمه ودور روما والكنيسه والكهنة فى ذلك	٥٦
العصر العباسى الأول : عصر التدوين والترجمة	٦١
تدوين الحضاره الأصيلة	٦١
الحضارة التجريبية وبيت الحكمة	٦٢
مراحل العمل فى الكتب الاجنبية	٦٣
لمحة عن جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية	
علم الاجتماع وابن خلدون	٦٤
الجغرافيا والمقدسى والاصطخرى	٦٤
علم الفلك والزرقالى	٦٥
علوم الرياضه والخوارزمى	٦٥
الموسيقى واخوان الصفا وابن مسجح	٦٦
الكيمياء وحابر بن حبان	٦٦
العلوم الطبيعیه وابن الهيثم	٦٧
الطب والرازى وابن سينا	٦٧
جهود المسلمين فى المجال العمرانى	٦٨
الحضاره المصريه احدى الأسس المهمة للحضارة الاسلاميه	٦٩
المسلمون فى ظل الحضارة الاسلاميه	٧٠
أوريا تفتبس مرة أخرى من الشرق	٧٠
أشهر المترجمين الأوربيين	٧١
كيف انتقلت للغرب الحضارة التجريبية والحضارة الأصيلة ؟	٧٢
وسائل انتقال الحضارة التجريبية	٧٢
وسائل انتقال الحضارة الأصيلة	٧٣
اعترافات الغربين	٧٣

أشعة مهمة من الحضارة الاسلاميه

أولا : الحضارة الاسلاميه هبة الاسلام لهداية البشرية	٧٧
ثانيا : هدف الحضارة الاسلاميه بقسميها اسعاد الانسان	٧٨
ثالثا : السياسة هى المسطرة والموجهة والمثولة عن كل الشؤون	٧٩
رابعا : الشورى فى الاسلام هى الشورى الحقيقية	٨٠
خامسا : الديمقراطية لها معنى واحد	٨١
سادسا : دين متطور ، كيف ؟	٨٢

الموضوع	الصفحة
سابعاً : مجانبه التعليم بريق كاذب	٨٣
تامناً : اللامبالاة !!	٨٥
لماذا انتكس المسلمون بعد بهزتهم	٨٦
أمل في المستقبل	٨٨

برنامج شامل للتقديم الحضارة الاسلاميه

أولاً - الحصاره الاسلاميه كامله للكلديات الاسلاميه وكلديات الآداب	٩٠
وكلديات الاعلام	٩٠
ثانياً - موجر لجوانب الحصاره الاسلاميه لكل الكليات الأخرى	٩٠
النهج الاسلامى فى السياسه لكلبات العلوم السياسيه	٩٠
النهج الاسلامى فى الافصاد لكلبات النحرارة والاقتصاد	٩٠
النهج الاسلامى فى التربيه لكلبات التربيه ومعاهدها	٩١
النهج الاسلامى عن الحياه الاجتماعيه فى معاهد الخدمه	٩١
الاجتماعيه	٩١
النهج الاسلامى عن العلاقات الدوليه فى الكليات العسكريه	٩١
وكليات الحقوق والقانون	٩١
النهج الاسلامى عن النظم القضائيه بكلبات الحقوق والسرطه	٩١
ثالثاً - تقديم الحضارة الاسلاميه التجريبية للكلبات العمليه مع موجز	٩١
عن الحضارة الاسلاميه كلها	٩١
النظم والحضارة	٩٣
الحضارة الاسلاميه والفن	٩٥

تاريخ المناهج الاسلاميه

مقدمه	١٠٤
تحريف المناهج وخطورته	١٠٦
كيف كان الاسلام 'بعكم فى صدر الاسلام ؟	١٠٨
منافذ ثلاثة حرفت المناهج الاسلاميه	١٠٨

دراسات تمهيدية عن المناهج التعليميه فى الاسلام :

أولاً - موقف الاسلام من العلم	١١١
ثانياً - السلوك والعلوم	١١٢
ثالثاً - العلوم النظرية والعمليه بالمعاهد الاسلاميه	١١٤
رابعاً - كلمات وعبارات اصطلاحيه	١١٥

الموضوع	الصفحة
المناهج الإسلامية في صدر الإسلام	
مقارنه الأدبان علم اسلامى مهم	١١٧
العرب والدعوة لإحياء علم مقارنه الأدبان	١٢٣

الحضارة الاسلامية :

١ - حضارة الحلق أو الحضارة الاسلامية الاصيله	١٢٥
٢ - بيب الحكمة ودوره فى الحضارة التجريبية	١٢٨
علوم أخرى مع مقارنه الأديان والحضارة الاسلامية	١٢٩
التعليم بالافتداء	١٢٩

عصور الظلام

وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

مقدم	١٣٤
------	-----

١ - علوم اختفت من المناهج الاسلامية :

اختفاء علم مقارنة الأدبان وأسباب ذلك	١٣٥
اختفاء علم الحضارة الاسلامية وأسباب ذلك	١٣٦

٢ - علوم انحرفت عن المسار الصحيح :

الفقه	١٤١
الفسير	١٤٤
الحديث	١٤٨
مصطلح الحديث	١٥٥
اللغة العربية	١٥٥
التاريخ الاسلامى	١٦١

٣ - علوم برزت على أنها اسلامية وهى ليست كذلك :

علم الكلام	١٦٥
المنطق	١٦٨
الفلسفة	١٧٠
شيخ الأزهر ورأيه فى المنطق والفلسفة	١٧٠
مناهج عصور الظلام تنحدر للعصر الحاضر	١٧٤
عبد الناصر والأزهر والاسلام	١٧٣

اصلاح المناهج الاسلامية

العناية بالعلوم الاسلامية :

١٧٧	اولا : اعاده العلوم المهمة التي احنف	١٧٧
١٧٨	تابا : تصحيح العلوم التي ابحرفت	١٧٨
	الدعوة للاصلاح قديمة :	
١٨٠	منهج ابن حرم في الاصلاح	١٨٠
١٨١	منهج الجاحظ في الاصلاح	١٨١
١٨٢	تعليق على رأى الجاحظ وابن حرم	١٨٢
١٨٣	منهج مجمع اللغة العربية بمصر	١٨٣
١٨٤	نالتا : اعادة النظر في العلوم التي ادعت أنها اسلامية	١٨٤
١٨٥	العناية بالسلوك	١٨٥

توزيع المناهج على مراحل التعليم

١٨٦	الدراسات الاسلامية بمدارس التعليم العام	١٨٦
١٨٨	الدراسات الاسلامية بمعاهد التعليم الدينى	١٨٨
١٨٩	الدراسات الاسلامية بالكلليات الاسلامية	١٨٩
١٩٢	الدراسات الاسلامية فى الكليات العامة	١٩٢
١٩٣	الجماهير والتفافات الاسلامية	١٩٣

١٩٣	حاتمة وأمل	١٩٣
١٩٦	الأزهر بين الماضى والحاضر والمستقبل	١٩٦
٢٠٠	معاهد الدعوة الاسلامية ومنهج أمثل لها	٢٠٠
٢٠٠	لماذا نحتاج لمعاهد الدعوة ؟	٢٠٠
٢٠١	سُروط القبول بمعاهد الدعوة	٢٠١
٢٠٢	الدراسة بالمعهد	٢٠٢
٢٠٢	خطة الدراسة ومنهج التعليم	٢٠٢
٢١٤	الانتساب لمعاهد الدعوة	٢١٤

خلاصة وإضافة

مؤتمر القمة الاسلامى بالكويت (يناير ١٩٨٧)

- طلاب المعاهد الاسلامية لم يهلهوا الفكر السليم ، وبالتالي لم
٢٠٥ يقدموه للمجتمع
٢٠٦ بحوث اسلامية فى أحضان مؤتمر القمة الاسلامى
٢٠٧ مقارنة بين المؤتمرات الاسلامية والمؤتمرات الطبية
٢٠٧ التطور فى الكليات العملية والجمود فى الكليات الاسلاميه
٢٠٨ اهمال الوسائل التى تنشر الاسلام بالغرب .

نقاط تكميلية ينبغى أن نلاحظها :

- ٢٠٩ أولا - الطرف الصحيحة لتدريس اللغة العربية لغير العرب
٢٠٩ ثانيا - الاهتمام باللغات العالمية فى المعاهد الاسلامية
٢٠٩ ثالثا - كتب عن الاسلام باللغات العالمية
٢٠٩ رابعا - الأخلاق الاسلامية
٢١٠ صحيح المناهج عمل يستطبعه الأساتذة الذين انتقدنا عملهم
٢١٢ مراجع البحث

مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية

الثقافة والمدنيّة والحضارة

قبل أن نبدأ في دراستنا عن الحضارة يجدر بنا أن نقف مع ثلاث كلمات بينهما صلات وارتباط ، وهذه الكلمات هي « الثقافة والمدنيّة والحضارة » .

وهناك مدلولات متقاربة لهذه الكلمات ، وهي بوجه عام تعنى الجهد الذى يقدم لخدمه الإنسان ، فالإنسان أعظم ما خلق الله ، قال تعالى . « ولقد كرّمنا بنى آدم » (١) ، وقال « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » (٢) ولذلك تهيأت للإنسان ظروف لم تنتهياً لسواه ليصير أهلاً لهذه المكانة ، وفي قمة هذه الظروف عوامل الثقافة والمدنية والحضارة .

والثقافة في اللغة هي التهذيب والصقل ، يقال ثقّف الرمح أى قوّمه وسوّاه ، ومعناها الاصطلاحى الرقى في الأفكار النظرية ، وذلك يشمل الرقى في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة ، والرقى كذلك في الأخلاق والسلوك ، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية .

وعلى هذا فالإنسان المثقف هو الذى يستطيع أن يَفْصَح عن إنسانيته إقصاحاً يتحول به من شخص منساق بالغرائز والتقاليد إلى شخص تحرّر من عبودية الغرائز والتقاليد وأصبح يتبع فكراً سليماً ناضجاً ، فالثقافة ترمى الى الكشف عن آفاق الانسانية المتسامية .

والمدنية هي الرقى في العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة والاختراع الآلى ، وسمى الرقى في هذه العلوم « مدنيّة » لارتباط الرقى فيها بالمدينة والاستقرار ، إذ لابدّ للطب

(١) سورة الاسراء ، الاية ٧٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

من مستنفيات ، ولا بد للهندسة من (ورشه) ، ولا بد للزراعة من حقول تجارب وهكذا .

وعلى هذا فالمدينة تستهدف السيطرة على الطبيعة واخضاع ظروف البيئة للإنسان ، ومن هنا كانت الثقافة تحريراً للإنسان وتقويماً له ، وكانت المدنية تعنى سيطرته على الأشياء وخلق وسائل منها لإسعاده .

ولا يستغنى الرقى في العلوم التجريبية عن الحصول على قدر كاف من العلوم النظرية الداخلة في نطاق الثقافة ، ولذلك نعيب الطبيب أو المهندس الذى لا يعرف قضايا التاريخ المهمة أو اتجاهات السلوك الضرورية ، ونصفه بأنه غير مثقف ، ويعكس ذلك وصفا قاسياً يحاول كل إنسان أن يتحاشاه .

أما الحضارة فتشمل الرقى في المجالين جميعاً ، فهي على العموم الانجازات التى تحققت للبشرية أو حققتها البشرية ، فإذا تكلمنا عن حضارة المسلمين أو اليونان أو أوروبا ، كان المقصود الانجازات التى حققها هؤلاء أو أولئك في زمن معين ، وإبراز الدرجة التى انتهى إليها هؤلاء في درجات التقدم والتطور ، وشرح أحوال المجتمع الثقافية والفنية والعلمية والصناعية ، مع بيان طرق معيشته ، وذوقه ، وروحه العامة ، وطرق تفكيره ومستوياته المختلفة التى تطبعه بطابع مميز .

ولعل أحسن تعريف للحضارة هو ما ذكره ابن خلدون ^(١) وهو أنها نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار ، ويضفى على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة ، وإدارة شؤون الحياة والحكم ، وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية .

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

ومن هنا اتجه القول الى أن الحضارة ارتبطت بالحصار ، وهى لا تقتفى بالثقافة والمدنيّة ، وانما تتطلع الى نظم أوسع تشمل عدة مدن ويعيش أصحابها متعاونين مستمتعين بهذه العلوم والفنون •

بيد أن في تعريف ابن خلدون لمحى ينبغى الوقوف عندها ، فابن خلدون يرى أن الحضارة نمط من الحياة المستقرة ينتسب الى القرى والأصهار ... أى أن إنشاء القرى والأصهار نتيجة للحضارة وليس أصلاً لها ، ومعنى هذا أن جماعه ترقى فكرياً تم مادياً ، أى تبدأ عندها مظاهر الحضارة ثم تستقر لتنمى حضارتها ، لأن نمو الحضارة يحتاج الى استقرار لتفوييم العلوم التجريبية ، ولتشجيع المعامل لتنهض الزراعة والصناعة ووسائل العمران •

واذا كانت الحضارة تشمل الثقافة والمدنية ، أى تشمل الأخلاق والسلوك والمعارف النظرية ، كما تشمل العلوم التجريبية كالطب ... ، فإن أئمة دولة مهما ضربت فى مجالات التقدم المختلفة يمكن أن تسمى أنها غير منحصرة لو أنها عشت بالقيم الانسانية والسلوك ، أو كانت مستعرة غاشمة ، أو ظالمة جائزة ، فكل ذلك يتنافى مع مدلول الحضارة •

وفى ضوء هذا البيان يكون من الخير أن يتجه الباحثون لدراسة « الحضارة الاسلامية » وألا يكتفوا بدراسة الثقافة الاسلامية أو المدنية الاسلامية ، لأنه فى ظل الاسلام وباسم مبادئه قامت حضارة عالية تسمات الاتجاهات النظرية والاتجاهات التجريبية •

وعلى هذا فالحضارة الاسلامية هى ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من فكر يرفع شأنه ويؤسس حياته ، ونقول « للمجتمع البشرى » ونعنى ذلك فإن الإسلام قدّم مآثره للناس جميعاً ، وبعض هذه المآثر يتضح أحياناً مع غير المسلمين أكثر مما يتضح مع المسلمين ، كالنظام السياسى الذى ابتكره الإسلام ثم تمسك به الغرب عندما عرفه ، فى حين

اختلفى أو أوشك أن يختلفى من العالم الإسلامى ، ومثل النظام السياسى
كثير من النظم الأخرى •

والذى ينظر الى العالم الاسلامى يجد أن صراعا يدور به ، وهذا
الصراع الفكرى يهتم به أعداء الاسلام كل الاهتمام ، وهدفهم منه تقليل
ثقة المسلمين بأنفسهم ، وانفrazعهم من ماضيهم ، وقطعهم عن جذورهم
العريقه . وللأسف وقع بعض المسلمين فى الفخ ، فصدّقوا ما قاله أعداء
الاسلام وراحوا يرددون أقوالهم ويقللون من أهمية المسلمين ، حتى
أوشك الصراع الفكرى أن يحقق أهدافه •

ونريد هنا أن نحق الحق ، ونبرز دور المسلمين فى الحضارة العالميه .
ونبين ماذا قدّم الاسلام وماذا قدّم المسلمون من أسياد للجنس
البشرى ، ولا نقصد بذلك أن نعتس فى الماضى ، ولكننا نقصد أن نضع
أرضا صلبة يقف عليها المسلم ليبنى حاضره ومستقبله ، نريد أن ندرس
الماضى لخدمه الحاضر والمستقبل ، فاذا كان أجدادنا خلائقين ومبتكرين
فما أجدرنا أن نجدد العزم لتفسير على مناهجهم ، وأن نتمسك بالفكر
الاسلامى ليقودنا الى خير الدنيا والآخرة •

أنواع الحضارة الإسلامية

قلنا فيما سبق ان المدلول العام للحضارة أنها ما يخدم الإنسان وييسر حياته ، وفي ضوء ذلك نقرر أن أنواع الحضارة الإسلامية ثلاثة .
هى :

١ — حضارة الدول أو حضارة التاريخ :

حضارة الدول أو حضارة التاريخ ، وهى الحضارة التى أقامتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته ، والحديث عن هذه الحضارة يلزم أن يقوم به معلم التاريخ وأن يعنى به عناية تامة ، فاذا شرح المدرس تاريخ الدولة الأموية أو العباسية أو الفاطمية أو السعودية .. كان عليه أن يقف عقب الانتهاء من دراسة الأحداث وقفةً كافية يشرح فيها ما قدمته هذه الدولة فى مجال الحضارة ، أى ما قدمته لخدمة المواطن بوجه خاص ، أو الانسان المسلم بوجه عام ، أو الجنس البشرى بوجه أعم ، ويشمل ذلك جهود الدولة فى الميدان الاقتصادى (الزراعة والتجارة والصناعة) وفى ميدان التربية والتعليم ، وفى ميدان الصحة ، وفى ميدان الأمن بالداخل والأمن من العدوان الخارجى ، وغير ذلك من الميادين .

وهذا النوع من الحضارة مرتبط — كما قلنا — بالتاريخ وجزء مهم من أجزائه ، ولذلك أشرنا هنا له هذه الاشارة العابرة وسنتخطاه الى النوعين الآخرين ، اللذين يكوّنان الحضارة الإسلامية التى نهتم هنا بدراستها .

٢ — الحضارة الإسلامية الأصلية :

الحضارة الإسلامية الأصلية هى التى جاء بها الاسلام لخدمة المجتمع البشرى ، ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، وتسمى أيضا **حضارة الخلق** أو **حضارة الابداع والابتكار** ، فهذه الحضارة كان الإسلام مصدرها الوحيد ، وهى بالتالى هدية الاسلام للانسانية ، وسنرى فيما بعد أن

المسلمين وغير المسلمين نعموا بها ، فقد اقتبسها غير المسلمين من المسلمين ، فأصبحت خيرا للجنس البشرى كله ، وتشمل هذه الحضارة ما جاء به الاسلام من تعليمات في مجال العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والتربية ، والمرأة ، والعلاقات الدولية ، والرق ، والتشريع ، والقضاء ، والأخلاق ، فإن البشريه قد عجزت عن الوصول الى نظم سياسية سليمة ، ولم يستطع الانسانيه أن تقرر العدالة الاجتماعية أو تتفق على نظام سليم للميراث ، وكانت الأخلاق مثار خلاف كبير بين الناس ، فالعدل مثلا عُدَّ فضيله عند بعض الناس ، واعتبره آخرون دليل ضعف ، فجاءت حضاره الاسلام تبرز لنا الحق في هذه الأمور التي اختلفت فيها الأفهام وضعفت العقول عن حلها ، ومن هنا فرأى الاسلام في السياسة والاقتصاد والأخلاق ... رأى أصيل أنقذ المجتمع البشرى من انحرافه ومتاهاته ، بل فرض نفسه على المجتمع البشرى ، فاقتبسته كل النظم حتى أصبحت كلمة « ديمقراطية » على كل لسان ، وأصبحت كلمة « اشتراكية » عند الغربيين منارة لهم ، وليست الديمقراطية الا صدى للشورى التي قررها القرآن الكريم لأول مرة ، وليست الاشتراكية الا فهما للعدالة الاجتماعية التي ألزم الاسلام الناس باتباعها ، وقل مثل هذا في غير السياسة والاقتصاد كما سنرى فيما بعد •

٣ — الحضارة الإسلامية المقتبسة أو التجريبية :

الحضارة الإسلامية المقتبسة ، هي الحضارة التجريبية ، وتوصف بأنها حضارة البعث والإحياء ، وهذا النوع من الحضارة عرفته البشرية قبل الاسلام بمئات السنين أو آلاف السنين ، وهو يشمل التقدم في الطب والرياضة والفلك ... وقد ضعفت هذه الحضارة قبل الاسلام ثم اختفت ، وسنرى فيما بعد سبب ضعفها واختفائها •

وقد تلقى المسلمون تراث البشرية في هذا المجال وهو كائن هامد ، مبعثوا الحياة فيه ، ترجموا كتبه الى اللغة العربية ، وأكملوا ما أكله الزمن

من أوراق وسطور ، وشرحوا هذه الكتب وعلقوا عليها ، وتدارسوها
بعمق .

بم لم يكتف المسلمون بذلك القدر في هذه الدراسات بل ابتكروا
الكثير في مختلف العلوم ، وقدموا هذه الابتكارات الى المجتمع البشرى ،
ومما قدمه المسلمون في هذا المجال الطريقة التجريبية ، ويقول (١) Priffult
عنها : ان الطريقة التجريبية في البحث العلمى هى مآثرة المسلمين العلمية
ولم تكن معروفة قبلهم (١) .

ذلك مجمل القول في هذين النوعين من الحضارة ، وسننتقل من
الإجمال إلى شئ من التفصيل (٢) بعد أن نقول كلمة عن :

أى الحضارتين أكثر نقما ؟

وقبل أن نتحدث بشئ من التفصيل عن الحضارتين نتساءل : هل من
الأوفق أن نبدأ بالحديث عن الحضارة المقتبسة لأنها أقدم من الحضارة
الأصيلة ؟ أو نبدأ بالحضارة الاسلامية الأصيلة فهى التى يفخر الاسلام
والمسلمون بتقديمها للبشرية ؟

إننى أميل للبدء بالحديث عن الحضارة الإسلامية الأصيلة ، فهى
تمثل اليد العظمى التى قدمها الإسلام للإنسانية ، وهى التى تضع المجتمع
البشرى على الطريق السليم فى أسس الحياة ، وليس الطب والفلك والعمران
وغيرها مما يدخل فى نطاق الحضارة المقتبسة إلا مظاهر تكميلية تشيل
كفتها إذا وضعت فى الميزان أمام ما قدمه الاسلام فى السياسة والاقتصاد
والتربية والتعليم والقضاء على الرق وحرية الأديان وغيرها من الأمور
التي تعتبر أمورا أساسية فى حياة البشرية ، ومن هنا نتجه للبدء بالحديث
عن الحضارة الإسلامية الأصيلة .

(١) Making of Hnmanity.

(٢) التفصيل الكامل لهذه الموضوعات اثبتناه فى الأجزاء المختلفة من
هذه الموسوعة « موسوعة الحضارة الاسلامية » .

الحضارة الإسلامية الأصيلة

الحديث عن هذا النوع من الحضارة يشمل عدة نواح مهمة ، هي رأى الاسلام فى العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والحياة الاجتماعية ، والعلاقات الدولية ، وغيرها ، وسنلم فيما يلى المامة سريعه بكل منها تاركين التفاصيل للأجزاء المختلفة من « موسوعة الحضارة الإسلامية » التى تخصص كل جزء منها فى موضوع محدد :

العقيدة والأخلاق فى الاسلام :

كان الاسلام واضحا وحاسما فى مسألة العقيدة ، فان البشريه لم تستطع قبل الاسلام أن تقبل الوحدانية وأن تثبت عليها ، فآلهت الشعوب الأنبياء والصالحين بل آلهت الأحرار والأصنام والكواكب ، وجاءت رسالات الله بالتوحيد ولكن هذه الرسالات رُفِضَتْ أحيانا كرسالة نوح وصالح أو حُرِّفَتْ كاليهودية إذ قال اليهود بآله واحد لليهود ، وأما غير اليهود فلمهم آلهتهم ، وكالمسيحية إذ اتجه المسيحيون الى التثليث ، ومن أجل هذا جاء اتجاه الاسام قويا وقاطعا حتى يتوقف هذا الضلال ، فقال بالوحدانية المطلقة التى لا تشوبها شائبة ، وسفّه القول بالتعدد بأية صورة من الصور قال تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » (٢) وقال : « أتعبدون ما تنحتون » (٣) .

ومن الملاحظ أن هذه الآيات الثلاث تتجه إتجاها عقليا ، فمع أنها دليل نقلى قرآنى على توحيد الله ، فهى فى الوقت نفسه تمثل مواجّهة عقلية نقدّم لكل إنسان ولو كان غير مؤمن بالقرآن الكريم ، فالعقل

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٧ .

(٣) سورة الصافات ، الآية ٩٥ .

يدرك أن تعدد الآلهة يُنتج الفساد في الكون لاحتمال أن يأمر هذا بأمر ،
ويأمر الثاني بأمر آخر ، ثم إن العاقل لا يَسُوَّى بين الإله الخالق ونسب لا
يخلق ، ولا يقبل العقل أن يعمل الإنسان تمثلاً من حجر أو خشب ثم
يجلس ليعبده .

واتخذ الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه الأهمية حتى لا يؤلهه
قومه أو لا يقربوا به الى جانب الألوهية ، فكان إذا قَدِم على أصحابه
ووقفوا له صاح بهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم فإنما أنا ابن
امرأة كانت تأكل القديد بمكة » .

وجاء في القرآن الكريم آيات توضح عدم عصمة محمد صلى الله
عليه وسلم في غير التبليغ . وهذا الموضوع يحتاج إلى دقة في العرض ،
فعصمة الأنبياء مسلّم بها في تبليغ الرسالات ، فالرسول صلوات الله
وسلامه عليهم يبلّغون عن الله بكل دقة وكمال ، ولكنهم إذا فكروا في
قضية لا نص فيها فالغالب أن يكونوا بعيدين عن الخطأ لأنهم صفوة
مختارة من البشر ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن
الناس » (١) ولكن هناك احتمال بحدوث هفوات ، وقد أثبت القرآن الكريم
نماذج لهفوات الأنبياء في غير التبليغ ، ومن ذلك قوله تعالى :

— وعصى آدم ربه فغوى ، ثم احتباه ربه فتاب عليه وهدى (٢) .

— وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء (٣) .

وهناك فيما يتعلق بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم آيات مثل :

(١) سورة الحج الآية ٧٣ .

(٢) سورة طه الآية ١٢١ .

(٣) سورة يوسف الآية ٥٣ .

قوله تعالى :

— عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى (١) .

— لم تحرم ما أحل الله لك (٢) .

— ما كان لنبي أن يسرى له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم (٣) .

ويلاحظ فيما نسب لمحمد صلوات الله وسلامه عليه من هفوات أنه لم يخالف أمرا ، ولا مالت نفسه إلى انحراف ، وكل ما في المسألة أنه فكّر واجتهد في قضية ليس فيها توجيه من الله سبحانه وتعالى ، فاختر ما هداه تفكيره إليه ، ويقول الفقهاء إن من اجتهد وأصاب له أجران ، ومن اجتهد وأخطأ له أجر واحد .

ويقول علماء مقارنة الأديان إن هذه الهفوات البسيطة التي تعتبر خلاف الأولى ساعدت على تثبيت بشريّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي لا يمكن أن يكون محمد إلها ، فالإله منزّه عن كل الهفوات جل وعلا ، وإذا ثبت أن محمد صلوات الله عليه لا يمكن أن يكون إلها ، فإن غيره لا يكون إلها من باب أولى (٤) .

وعلى هذا فإن السابقين الكهوا بوذا وكونفوشيوس وأله المسيحيون عيسى عليه السلام ، ولكن المسلمين لم يحدث أبدا أن الكهوا محمدا ، وبذلك ثبتت الوحدة المطلقة لله العلي العظيم .

(١) سورة عبس الآيات الأولى .

(٢) سورة التحريم الآية الأولى .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٧ .

(٤) انظر دراسة عن هذا الموضوع بكتاب الاسلام من سلسلة مقارنة

الأديان للمؤلف بعنوان : عصمة الأنبياء .

ويرتبط بالإيمان بالله ووحدانيته وصفاته عقائد أخرى مهمة جاءت في القرآن الكريم الذي نزل من عند الله ، وهذه العقائد هي الإيمان بالملائكة ، والكتب المقدسة الصحيحة التي نزلت على أنبياء الله ، والإيمان باليوم الآخر وما يتبعه من حساب وصراط وميزان

لا أخلاق بدون دين :

ويرتبط بالإيمان بالله أيضا اتباع الأخلاق الإسلامية التي ألزم الإسلام المسلم أن يتخلّق بها ، ولا يتمُّ كمال الدين إلا باتباع هذه الأخلاق التي وردت بالقرآن الكريم كالأمانة والوفاء بالوعد والعهد ، والمساواة ، والعدل ، وعدم الغيبة والنميمة والرشوة (١) .

ويقرّر العلماء أنه لا توجد أخلاق سليمة بدون دين ، فالعمر عجزوا عن الاتفاق على الأخلاق الفاضلة والأخلاق الرديئة ، وأباححت المدنيات الغربية الاستعمار والاستيلاء على تروات الدول الضعيفة ، كما تفنّسى النظام الطبقي ، ولم تقبل هذه المدنيات المساواة بين الرجل الأبيض والملونين .

وفي كتاب الإسلام الذي أشرنا له من قبل دراسة تفصيلية عن جانب العقيدة في الفكر الإسلامى .

السياسة في الفكر الإسلامى :

وننننى للحديث عن موقف الإسلام من السياسة ، فنقرر أن الإسلام قد نقل المجتمع البشرى من حال إلى حال في هذا المجال ، فقبل الإسلام كانت السيادة للقوة ، وكان من يحصل على الرياسة بسطوته بصبح الأمر كله في يده ، فهو يملك ، ويشرّع ، ويقضى ، وينفذ قضاءه ، وإذا استطاع شخص آخر أن يسلب منه السلطة فعل ، وهكذا لم يكن للشعب دور في مجال الرياسة والحكم .

(١) انظر دراسة عن « الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم » في سلسلة « المكتبة الإسلامية لكل الأعمار » ج ٣٤ و ٣٥ للمؤلف .

وجاء الإسلام فعُنى عنائه كبرى بالسياسة والحكم ، ومما شرّره الإسلام في مجال السياسة ما يلي :

أولا : ضرورة وجود رئيس للجماعة الإسلامية ، قال عليه الصلاة والسلام « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا عليهم أحدهم » ويقول العلماء إنه من باب أولى أن يوجد أمير للجماعة إذا زاد أفرادها عن الثلاثة ، أو كانت الجماعة مستقرة غير مسافرة •

ثانيا : أن يُعيّن هذا الرئيس بطريق الاختيار الحر بواسطة أهل «لحل والعقد» الذين يمثّلون الشعب الإسلامي ، ويشترط أن يوافق الشعب على هذا الاختيار ، وأن نوجد في الرئيس شروط الرياسة (وقد فصلنا هذا القول في كتاب السياسة في الفكر الإسلامي) •

ثالثا • عندما يُختار هذا الرئيس لا يوضع الأمر في يده وضما مطلقا ، بل يجب أن يستشير عند اللزوم أى فيما لا نص فيه فل تعالى « وأمرهم شورى بينهم »^(١) وقال « وشاورهم في الأمر »^(٢) •

رابعا : للرئيس حق الطاعة طالما اتبع الفكر الإسلامي ، قال تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »^(٣) وقال أبو بكر أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم •

خامسا : وضع الإسلام للخليفة أو الرئيس شروطا دقيقة في قمنها العدالة ، قال تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »^(٤) •

(١) سورة الشورى ٣٨ •

(٢) آل عمران ١٥٩ •

(٣) النساء ٥٩ •

(٤) المائدة الآية الثامنة •

وقال صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يسئرعيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاس لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة • وقال : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فسنق عليه فاسق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به •

وعندما نستعرض هذه الاتجاهات يتساءل الإنسان : أين هذا مما مله الملك جون ملك إنجلترا من الاستبداد بعد مجيء الإسلام بسننه فرون كما سرى فيما بعد •

وأرسى الإسلام مبادئ مهمه في مجال السياسة أهمها :

اولا : أن الرئيس وأعوانه (الوزراء والولاة) ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشتريين •

ثانيا : أن الرئيس وأعوانه لا يجوز لهم أن يقبلوا الهدايا ، ويبين أن ظاهرها الهدية ولكن باطنها الرنسه ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك . هدايا العمال علول ، أى فساد وضلال •

ونقل الإسلام النظام السياسى من حال إلى حال ، فقد كان الحدم قبل الإسلام يقضى بأن المالك هو الحاكم ، وينطبق ذلك على الاقطاع في أوربا وعلى القبائل في جزيرة العرب وغيرها ، فلما جاء الإسلام قطع الصلة بين السياسة والمال ، وظهرت طبقة من الحكام الذين هم أقرب إلى الفقير منهم إلى الغنى كأبى بكر وعمر وعلى ، وسنرى تفاصيل ذلك في كتاب « السياسة في الفكر الإسلامى » وهو الجزء الثالث من هذه الموسوعة وقد أشرنا له من قبل •

وقد اهتم العلماء المسلمون بالحديث عن السياسة وكتبوا فيها كتابات رائعة ، ومن هؤلاء الإمام الماوردى في كتابه « الأحكام السلطانية » وابن خلدون في كتابه « مقدمة ابن خلدون » والشوكانى في نيل الأوطار ، وسيحوى كتابنا السابق أهم ما ورد بهذه الكتب وغيرها من أفكار وتوجيهات في هذا المجال •

الاقتصاد :

إذا جئنا إلى الاقتصاد وجدنا أن الإسلام جاءت فيه نظم اعتبرت آنذاك نورة على الفكر البشرى الذى كان سائدا ، فقبل الإسلام كان الفقير هو الذى يدفع 'الضريبة' للغنى من جهده أو أجره ، فإذا تردد دفع دمه فداء تردده ، فلما جاء الإسلام جعل الضريبة واجبة على الغنى لصالح الفقير .

ونظم الإسلام حق الفقير فى مال الغنى .
والزم الفقير بالعمل ، فان عجز أو هَرَمَ التزمت الدولة أو الأغنياء بحاجته .

واعترف الإسلام بالملكية الفردية ، ففى تفريز الملكية الفردية مجال للتنافس الذى يسبب الخير للجميع .

واعترف كذلك بالتفاوت فى هذه الملكية قال تعالى « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » ^(١) وقال : يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ^(٢) وقال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ^(٣) .

ويقرر علماء الإسلام أن التفاوت فى المال طبيعى جدا لأن الناس متفاوتون فيما هو أفضل من المال كالصحة والذكاء ، ومتفاوتون فى مدى نجاح الزواج والجوار ، وفى الجمال والصوت فكيف نمنع التفاوت فى المال ؟

وقرر الإسلام أن الحكومة لا تتدخل فى الملكية الخاصة ما دامت قد جاءت من طريق مشروع وأدَّتْ حق الله ، وحينئذ لا يكون التدخل إلا لضرورة طارئة وبتعويض كاف .

ونظم الإسلام تكافؤ الفرص لتثقل هذه الملكية من يد إلى يد ، كما

(١) سورة النحل ، الآية ٧١ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٥ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

وضع نظام الميراث للفنيين من حين إلى حين حتى لا يتجمع العنى في أيدي قليلة فيضر ذلك بالمجموع ، وقد اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بالدراسات الاقتصادية ، فعنيت كتب الفقه بالخبره بالحديث عن الزكاة وعن حق الفمير في مال الغنى ، واتجهت الكتب الحديثة لسروح ضافيه للمنكالات التي برزت حديثا في مجال الاقتصاد ، وذلك كالبنوك وشهادات الاستثمار والتأمين وفد كتب الامام ابن تيميه عن بعض جوانب الاقتصاد في كتابه الفتاوى وكتب فضيله الشيخ سلتوت عن هذه الموضوعات في كتابه الفتاوى أيضا وسنرى تفاصيل مهمه في كتاب « الاقتصاد في الفكر الإسلامى » وهو الجزء الرابع من سده الموسوعه ، حيث نورد دراسات واسعه عن البنوك والشركات والبورصة والسمسة والتأمين ، والمصاربه والسكك والقرض ، وشهادات الاستثمار ، وغير هذه من الموضوعات الاقتصادية المهمة .

التربية والتعليم :

وفي مجال التربية أعلن الإسلام لأول مرة في تاريخ البشرية أن العلم حق للجميع ، وكان العلم قبل ذلك خاصا بالكهنة ولا حق لسواهم في طلبه ، فارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » (١) فأصبح المسلمون جميعا ما بين معلم ومتعلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ولم يكن المقصود بالعلم العلوم الإسلامية فقط ، فقد نُسب للرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ولم يكن بالصين علوم إسلامية ، والمقصود مهما بعدت الديار ، ومهما كان نوع العلم ، مادام مفيدا للبشرية ، وللرسول صلوات الله وسلامه عليه توجيهات في مجال الطب (٢) وكتب الفيلسوف

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامى ١٥ ص ٤٠٥ - ٤٠٩ .

ابن رشد (١) في الفقه والطب جميعا ، وهذا يدل على اتساع مجال العلوم
في رأى الإسلام .

واهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالتربية الإسلامية ، وكان مفهوم
التربية عند المسلمين يشمل فلسفة التربية كما يشمل النظم التعليمية .
والحضارة الإسلامية واسعة الثراء في مجال التربية ، وهى تهتم بالإنسان
في هذا المجال من المهد إلى اللحد ، فهناك أخلاق وعلوم تقدم لكل جيل
من الأجيال ، وقد اتسع المسلمون بمعاهد العلم فشملت القصور وحوانيت
الوراقين ، وهنازل العلماء ، والصالونات الأدبية بالإضافة إلى المعاهد
والجامعات ، كما كانت البادية والمسجد معهدين مهمين ، ففى البادية
ازدهرت علوم اللغة العربية ، وفى المسجد ازدهرت تسمى الدراسات ،
واهتمت التربية الإسلامية بالكتاب اهتماما عاليا ، فأعلنت قدره ، ورفعت
مكانته ، كما كانت المكتبات معاهد للعلم في كثير من البلدان .

وعُنيَت التربية الإسلامية ، بأن يتلقى الطالب العلم من المعلمين ،
لا من الصحف والكتب ، كما اهتمت بضرورة تقديم فن التربية للمدرس
بحيث لا يكون عالما فقط ، بل بحيث يستطيع في يسر توصيل أفكاره إلى
مريديه .

وتحدثت التربية الإسلامية أحاديث فياضه عن التعاون بين البيت
والمدرسة في تربية التلميذ ، وعن الاجازات العلمية ، والعقوبات والجوائز
والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص في التعليم
عند المسلمين ، وتوجيه التلاميذ حسب مواهبهم ، كما تحدث الفكر الإسلامى
عن الأوقاف على التعليم ، وعن مراحل التعليم ، ونظام الداخلية بالمدارس ،
والرحلات لطلب العلم ، وتعليم المرأة ، واهتم الفلاسفة المسلمون بالحديث
عن رياضة الأطفال ، والوسائل التى تتخذ لغرس الخلق الطيب في قلب
الطفل الذى يمنك جوهرة نفيسة ساذجة ينقش عليها الآباء والمعلمون أفكارهم

(١) انظر « تاريخ الطب في الاسلام » وهو الجزء رقم ٥٣ من المكتبة
الاسلامية لكل الأعمار للمؤلف .

ونفائاتهم ، كما اهتموا اهتماما واسعا بالسلوك وبلغ من اهتمامهم به ان فضلوهم على العلوم . ومن اهم من اهتم بذلك الامام الغزالي في كتابه أيها الولد ، وابن سينا في القانون ، وكتاب " لا يُعْرَف مؤلفه عنوانه « منهاج المتعلم » .

وسنرى تفاصيل ذلك في كتاب « التربية والتعليم في الفكر الإسلامي » وهو الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

المجتمع الإسلامي :

قبل الإسلام كان هناك تفكك " أو اجتماع على شر ، وجاء الإسلام فنظّم المجتمع الإسلامي تنظيما دقيقا ، فوضع وسائل تكوين الفرد المسلم ينقل الإنسان من الوثنية إلى التوحيد ، ومن القوة إلى القانون ، ومن الثار إلى القصاص ، ومن نظام الطبقات إلى المساواة ، كما نظم تكوين المجتمع الإسلامي ووضّح أسسه توضيحا دقيقا ، فاقترح الفكر الإسلامي المسجد ليكون ملتقى للمسلمين ، وأبرز جوانب الحياة التي يكون المسجد مركزا لها ، كالقضاء والتربية والعبادة وغيرها ، كما وضع الفكر الإسلامي ضرورة التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تكوين مجتمع سليم ، وقرّر ضرورة النأخى بين المسلمين ، وحقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، والتزاماتهم ، وتحديث الفكر الإسلامي باهتمام بالغ عن القدوة الحسنة ، ومكانتها في تكوين هذا المجتمع .

وفي دراسة المجتمع الإسلامي أوضحت الدراسات عوامل الضعف التي أَلَمَّتْ بهذا المجتمع ، داخلية كانت أو خارجية ، أو متصلة بانحراف في فهم الدين ، ورَسَمَ الفكر الإسلامي العلاج لكل ذلك .

والذى يدرس واقع المجتمع الإسلامي ، يرى هُوةً واسعة بين هذا الواقع وبين مبادئ الإسلام وفلسفته وأخلاقه ، ويعمل الدارس والباحث المسلم لتضييق هذه الهوة وإزالتها ، ليصبح المجتمع الإسلامي في واقعِهِ صورةً صحيحة للمجتمع الإسلامي السليم .

وسنرى تفاصيل ذلك في كتاب « المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته في الفكر الإسلامى » وهو الجزء السادس من هذه الموسوعة .

الحياة الاجتماعية :

نحدثنا أنما عن المجتمع الإسلامى ، وتحدث هنا عن الحياة الاجتماعية ، والفرق بين الاثنين ان المحدث عن المجتمع الإسلامى حديث عن الكل من حيث أسس تكوين هذا المجتمع ، ومن حيث مشكلاته وعلاجها ، أما الحياة الاجتماعية فحديث عن وحدات هذا المجتمع ، وقد شملت الحضارة الإسلاميه مباحث اجتماعيه مهمه ترتبط بالأسرة ، ومن هذه المباحث التى ترتبط بالأسره دراسات مفيده عن الزواج ودوافعه وأهدافه ، وعن الخطبة والمهر والعقد ، وعن الأولاد والتسوية بينهم فى العطاء والمعاملة ، وعن التبني ، وعن زوجة الأب ، والحماة ، والختان ، وتحديد النسل ، والتلفيح الصناعى ، والتكافل بين أفراد الأسرة ، وأطفال الأنايب وعمل المرأة ، والموصية .

ومن المباحث الاجتماعيه المرتبطة بالمجتمع ، تقدم الحضارة الإسلاميه رأى الإسلام فى رعاية المال العام وحمايته ، ورأيه فى الأعياد والأفراح والمآتم والأولياء والموالد وصناديق النذور ، وفى الخمر والمخدرات والدخان ، ومكبرات الصوت ، والتسول ، والقضاء والقدر . وسنرى تفاصيل ذلك فى كتاب « الحياة الاجتماعيه فى الفكر الإسلامى » وهو الجزء السابع من هذه الموسوعة .

للتشريع والقضاء :

وفى مجال القانون قدم الإسلام تشريها صالحا لكل زمان ومكان ، تشريعا عام المصدر ، أى لم تقم بعمله جماعة خصصت لذلك بالجنس أو الدم وتشرك لها أن تشريع للناس ، والتشريع الإسلامى كذلك عام التطبيق ، أى أنه ينفذ على الملك وعلى السوقه دون تفرقة ، وهذا الموقف كان الأول من نوعه فى تاريخ البشرية .

وهناك قوانين تصلح لكل زمان ومكان ، فهي متطورة بذاتها ، وهذه قدّم الشارعُ الأعظمُ تفاصيل دقيقةً عنها كالميراث ، والمهرنات في الأزواج ، والربا .

وهناك قوانين تتغير بتغير الزمان والمكان ، وهذه أعطى الله سبحانه حكماً عاماً لها وترك التفاصيل ليضعها المجتهدون حسب ظروف الزمان والمكان كحد السرقة وحد الزنا ، إذ وضع الشارعُ حداً للسارق والزاني ولكنه وضع لإقامة الحد شروطاً . وينظر علماء المسامحين في توافق هذه الشروط ، فلا حدّ للسارق مثلاً في حالة المجاعة ، ولا حد للزاني إذا لم يشهد عليه أربعة شهور

وفي الحديث عن مصادر التشريع قدّم الباحث المسلم دراسات مستفيضة عن القرآن الكريم من نزوله وجمعه وتدوينه وقراءاته وإعجازه وكذلك عن السنة الشريفة .

وقد تمت الحضارة الإسلامية نظاماً قضائية تكفل العدالة المطلقة لكل الناس ، وتقرر مبادئ لم يكن الجنس البشري يعرفها قبل الإسلام ، كالمساواة بين المتخاصمين في مجلس الحكم ، وكالشروط الهاسمة التي يجب أن يتحلى بها القاضي ، وكالعلنية في القضاء ، تلك العلنية التي تجعل من الرأي العام حارساً للعدالة وقوفاً على الإنصاف .

وفي الحديث عن القضاء قدمت الدراسة بحوثاً عن شروط القاضي ، وتهيئته لمنصب القضاء ، وآداب القاضي ، وملابس القضاء ، وحديثاً عن قاضي القضاة

وسنرى تفاصيل ذلك في كتاب « التشريع والقضاء في المكر الإسلامي » وهو الجزء الثامن من هذه الموسوعة .

العلاقات الدولية :

من مفاخر الإسلام أنه قدّم للمجتمع البشري أسس حياة تكفل السلام لهذا المجتمع وإن اختلفت عقائد الدول وأديانها ، فقدّم الإسلام

نظما للتعاون بين الأمم في مجال السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافية ، بل قدّم الإسلام النظم للتخفيف من ويلات الحرب إن قامت الحرب بين أتباع دين وأتباع دين آخر ، وكان ما قدمه الإسلام في مجال العلاقات الدولية أول تعليمات من نوعها تعرفها البشرية •

ففى مجال السياسة ابتكر الفكر الإسلامى نظام المعاهدات والسفراء وبأعين المبعوثين ، وكتب الدعوة • • • • •

وفى مجال الاقتصاد سمح المسلمون بالتعامل بالعمله الفارسيه والرومية ، كما سمحوا للتجار غير المسلمين أن يدخلوا بتجارتهن للعالم الإسلامى وعليهم أن يدفعوا العشور كما كان المسلمون يدفعون لو ذهبوا بتجارتهن للأرض غير الإسلاميه • واقترض الرسول من يهودى ورهن عنده درعه • • • • •

وفى مجال الحياة الاجتماعية أذن للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب وأن يقدموا لهم من طعامهم ، كما أذن للمسلمين أن يتزوجوا منهم ، وأن يتعاملوا معهم ببرٍّ وصدق وعدالة • • •

وفى المجال الثقافى أذن للمسلمين بتبادل الثقافات مع غير المسلمين وكان ما قدمه المسلمون لغير المسلمين فى مجال الثقافة واسعا جدا ومفيدا جدا ، كما اتجه المسلمون منذ عهد الإسلام المبكر لتعلم لغات غير المسلمين •

ماذا جئنا للحرب فاننا نذكر أن العالم قبل الإسلام كان يعانى حروبا مستمرة ، ومعارك متصلة ، وكانت القوة هى دستور الحياة ، فكان من حق القوى أن يأكل الضعيف ، فجاء الإسلام ووضع للسلم والحرب نظما دقيقة أنقذت البشرية من أهوال الصراع والدمار ، ومن الأسس التى وضعها الإسلام أن جعل السلام أساس الحياة ، قال

نعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (١) .

وأوصى بالتعاون والمودة حتى مع المخالفين في العقيدة ما دام هؤلاء لم يعتدوا على المسلمين ، قال تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين » (٢) .

وقال : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٣) .

وحدد الإسلام الحرب بالدفاع ، قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٤) ووضح أنه بعد قيام المعركة يمكن التوقف عن الاستمرار فيها لو عاد العدو للإسلام ، قال تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥) .

وبالإضافة للدفاع أجاز الإسلام للمسلمين أن يحاربوا من صدّهم عن تقديم الإسلام للناس .

وقد جاء الإسلام في نظام الحرب بقواعد لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لم تستطع أن تأخذ بها حتى الآن ، إذ حرم قتل الشيوخ والنساء والأطفال الذين لم يشتركوا في المعركة ، كما حرم قتل الحيوان أو تخريب البيوت أو قطع الأشجار ..

وسنرى تفاصيل ذلك في كتاب « العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي » وهو الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

- (١) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ .
- (٢) سورة الممتحنة ، الآية الثامنة .
- (٣) سورة النساء ، الآية ٩٠ .
- (٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٠ .
- (٥) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

حرية التدين وحقوق المرأة والقضاء على الرق :

وقرر الإسلام حرية التدين ، ولم يكن ذلك معروفا قبل الإسلام قال تعالى . « لا اكراه في الدين » ^(١) وقال تعالى يطلب من الرسول ان يقول لغير المسلمين « لكم دينكم ولي دين » ^(٢) .

وقرر الإسلام حقوق المرأة وأعطاهها نصيبا من الميراث ، ولم يكن للمرأة في السلم حقوق يذكر قبل ذلك ، وكان ما جاء به الإسلام أساس ما حصلت عليه المرأة من حقوق بعد ذلك .

ووضع الإسلام الأسس للقضاء على الرق الذي كان شائعا قبل الإسلام في العالم كله ، وجاء في ذلك قول الرسول : شر الناس من باع الناس .

وهذه الأشياء وسواها من جوانب الحضارة الإسلامية وقضاياها ستجىء مفصلة في كتاب « رحلة حياة » وهو الجزء العاشر من هذه الموسوعة ، وكذلك في كتاب « الإسلام » وهو الجزء الثالث من سلسلة « مقارنة الأديان » .

تلك كلمة موجزة عن الحضارة الإسلامية الأصيلة ، حضارة الخلق والابداع والابتكار التي جاء بها الإسلام للجنس البشري لينعم بها ، وكان قبل ذلك محروما منها . ونتجه الآن لدراسة عن الحضارة التجريبية أو المقتبسة وهي حضارة البعث والاحياء .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة الكافرون ، الآية السادسة .

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية

إذا جئنا إلى الحضارة التجريبية كان علينا أن نقرر أن المسلمين انتفعوا بما كان لدى الأمم السابقة من تقدم في هذه العلوم ، ولحسن الحظ كان التقدم في هذه العلوم محصورا في الشرق الذي انتشر فيه الإسلام عندما جاء الإسلام . ولهذا يتفق القول بأن الشرق منبع الحضارات ، ففى العالم العربى وفى بلاد فارس والهند نشأت أرقى حضارات عرفتها البشرية قبل الإسلام ، وكانت هذه المناطق تموج بالمعرفة حين كان الاقطاع بفظائله يغمر أوروبا ، وحين كانت أمريكا لا تزال فى ضمير الغيب ، ومن أجل هذا ينبغى — قبل أن نتحدث عن دور المسلمين فى الحضارة التجريبية — أن نخصص بعض الفراغ لحدث عن تاريخ الحضارات بالشرق قبل الإسلام ، تلك الحضارات التى كانت أساسا لحضارة المسلمين التجريبية .

مصر :

على ضفاف النيل نشأت مدينّة الفكر البشرى كما يقول المفكرون فى كل البقاع ، وترعرعت هذه المدنية حتى وصلت الى مدى عظيم ، وقد سملت الحضارة المصرية الناحية السياسية والاجتماعية والفنية والعلمية والفلكية والدينية واهتم العلماء من مختلف الأجناس بالحديث عن هذه الحضارة ، وكتب عنها العديد من الكتب وخاصة بعد أن استطاع سامبليون فك رموز الكتابة القديمة ، وبعد أن كتف الأثريون آثارها وفى طليعتهم مارييت الذى عثر على بردية بولاق التى تحوى فلسفات راقية وأفكارا رائعة ، وهناك كذلك البردية المصرية الموجودة بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠١٧٤٥ وقد كتبت فى عهد الأسرة الثانية والعشرين وبها كذلك دراسات إلهية وأخلاقية رائعة .

والأهرام المصرية تدل على عبقرية هندسية ممتازة فهى بلا شك أهم معجزات العمارات القديمة ، ثم هى تدل على أفكار المصريين تجاه الحياة الأخرى ، وبها أسرار عجيبة ترتبط بتخطيطها وطريقة بنائها واختصاصاتها ،

ولا تزال البصوت الحديثه تكشف من يوم الى آخر عن بعض هذه الأسرار .

والمعابد المصرية نقش عليها ألوان من الفنون والعلوم وأحداث التاريخ . والتحنيط المصرى معجزة لم تستطع المدنية أن تعرف كنهه حتى الآن ، ويذكر Samuel Nisenson أن الآثار المصرية أكبر شاهد بأن مصر هى وطن الحضارة الإنسانية الأولى .

ولحة سريعة عن واحد من الآثار الباقية من آثار ملوك مصر وهو كنوز توت عنخ آمون ، ترينا كيف كانت مصر فى قمة الفكر والفن حتى فى عصر ذلك الملك الذى كان صبيا ومات قبل أن يبلغ العشرين ، وقد بهرت هذه الآثار العالم ولا تزال تبهره ، وقد أجمعت الآراء على أن تابوت توت عنخ آمون أثر فنى لا يقدر بثمن ، وأنه تحفة نادرة المثال ، ونقتبس سطورا من Samuel Nisenson ^(١) عن هذا الأثر العجيب ، استمع اليه يقول : ما أروع القناع الذهبى الذى وجد داخل التابوت فوق رأس الملك وكتفيه ، انه صورة بديعة حقا ، وقد وجد فى التابوت أيضا عتاقب ناشر جناحيه ، متوج بقرص الشمس ، وقد قبّض على رمز الأبدية بمخيلية ، وهو من الذهب المرصع بعجينة الزجاج ، ومن آثار هذا الكنز صولجان الملك ، وهو مصنوع من الذهب والزجاج الأزرق ، وكذلك عدة قلائد ذهبية مرصعة بالأحجار النفيسة ، ولعل أغرب ما وجد فى مقبرة توت عنخ آمون هو الحديد الذى لم يكن قد عرف حتى ذلك التاريخ ، فقد وجدت وسادة كمسند للرأس من الحديد ، وقد صقلها الصانع المصرى بدقة تبدو معها كأنما استخدم فى صقلها أحدث الآلات ، لقد خلد هذا الكنز النادر اسم هذا الملك الشاب ، الذى لم يفعل فى حياته شيئا يستحق الذكر ، فما بالك بما حققته عصور الفراعنة العظام لو وصل لنا ما حققوه ، وعلى كل حال فإنه باكتشاف هذا الكنز عرف العالم ما كانت تتردهر به مصر من رقى ، وما بلغت من الروعة فى الثراء والصناعات والفنون .

اعجوبة أخرى من أعاجيب الحضارة الفرعونية :

صُمِّمَ معبد أبى سنبل تصميمًا عجيبًا يسمح بأن تدخل أشعة الشمس قدس الأقداس وتلقى أشعتها على وجه رمسيس مرتين كل عام ، المرة الأولى يوم ميلاده (٢١ فبراير) والثانية يوم تتويجه (٢٠ أكتوبر) ويكون ذلك لمدة ١٢ دقيقة في كل من الحالتين .

وأقيم السد العالى وأصبح من الضرورى نقل المعبد كله الى مكان آخر حتى لا تغمره المياه ، فبذل الخبراء أقصى الجهد لينقلوا المعبد بزواياه المحددة حتى تظل أشعة الشمس تلتقى بوجه فرعون العظيم في يومى مولده وتتويجه ، ولكن كل الجهود الجبارة وكل الأجهزة الحديثة فشلت في تحقيق ذلك ، وكان الفرق يوما واحدا بعد جهد كبير فأصبحت أشعة الشمس تصل إلى وجه رمسيس يوم ٢٣ فبراير و ٢١ أكتوبر .

ويعتبر كل من هذين اليومين يوم عيد في « أبو سنبل » ويسمى « عيد الشعاع » وتأتى جموع غفيرة من كل جهات العالم لمشاهدة هذا الحدث البالغ الروعة .

ونقول الأستاذة سناء فتح الله التى تسهت الاحتفال عام ١٩٨٦ « إن فى ثنايا هذا العمل قمة فى العلوم والتكنولوجيا لم يفصح عنها الكهنة والمهندسون المصريون القدامى ، تلك العلوم التى وجهت المهندسين لبناء المعبد على زاوية خاصة بحيث تمتد من خلال بوابته أشعة الشمس لعمق ١٨٦ مترا حتى تصل إلى قدس الأقداس ، وتلتقى بوجه فرعون مرتين فقط فى العام ، وهاتان المرتان تمثلان اعيادا عند فرعون العظيم .

إليوت سميث والحضارة المصرية :

وهناك طبيب سهير هو إليوت سميث الذى جذبته علم التاريخ فأصبح فيه عملاقا ، وقد أثبت أن مصر هى أصل الحضارة فى العالم لأن جغرافية مصر قد تفاعلت مع الانسان المصرى تفاعلا لم يحدث له نظير فى العالم ، فكانت النتيجة ظهور الحضارة القديمة فى مصر .

وهذا الطبيب كان أستاذًا للتشريح في مطلع القرن العشرين بقصر
العينى بالقاهرة ، وتعلم على يديه نخبة ممتازة ممن اشتهروا بعده بالطب
في مصر ، ولكن تاريخ مصر جذبه ، وأصبح هوايته ، فاحترف هذه الهواية
حتى آخر أيامه •

ومن خلال دراساته الطويلة والعميقة للتاريخ البشرى استطاع
أن يعلن أن الحضارة المصرية هي أصل الحضارات ، وأنه لا يوجد نهضة
حضارى ، بل إن الحضارة المصرية هي التي انتقلت من مكان إلى مكان
فظن بعض الدارسين أن هناك حضارات متعددة مماثلة لها •

أسباب نشأة الحضارة بمصر :

وقد بدأت الحضارة بمصر مع انسياب النيل ، ومع طيب الهواء
وخصب التربة ، وهذه العوامل الثلاثة قلكما تجتمع في مكان ، وبسبب
هذه العوامل استقر بعض الناس حول النيل وعرفوا الزراعة وبنوا
البيوت ، ثم وُجِدَ مهندسون يستطيعون التحكم في الماء بعمل نوع من
السدود ووجد من لاحظ أن أنواعا من الزراعة تجود في وقت دون آخر ،
وكل هذا نظم الحياة حول النيل •

واحتاجت التجمعات الزراعية الى حماية الزراعة من المعتدين
فوجدت القوى التي يوكل لها حراسه الزراعة والبيوت نظير أجر ،
ومن هذه القوى نشأت الحكومة ، وأخذ رئيس الحكومة مكانة رفيعة ،
فإذا مات كان قبره معبدا ، وبدأ بذلك ظهور الأهرامات في أشكالها
المختلفة ، كما بدأ التحنيط الذي يحفظ أجسام العظماء من البلى •

الحضارة المصرية تبرز في مناطق مختلفة :

ويقول الباحث المصرى فتحى رزق إنه من خلال دراسات البيوت
سميث استطاع أن يصل إلى طرق انتقال الحضارة المصرية الأولى إلى

أقطار العالم المختلفة حيث كان التحنيط يحتاج إلى بعض المواد النباتية والمعدنية من الأقطار البعيدة وهذه المواد هي التي توقف الفساد في الحنن كما تكسبها عطرا حسنا •• وتنقل قداماء المصريين لجلب هذه المواد من بلاد بعيدة ونقلوا معهم حضاراتهم إلى أقطار بعيدة •

وكانت هذه البعثات عندما ينقطع بها الطريق إلى سبب لا تعود بل تنفى في قطر آخر بن سبب غريب بدائي فتنتقل البعثة إلى هذا السبب الفنون المصرية وتعيش هناك للابد •• ومن هنا نعرف لماذا وجد تمثال لآمون في روسيا •• ولماذا عبّد رب الشمس في مكسيكا •• كما عبد في مصر •• ولماذا حنطت الجثة في أمريكا على الطريقة المصرية ، ولماذا وجدت الاهرام في ايطاليا والسودان ووجدت في اللغة الفنلندية كلمات فرعونيه ، ولماذا بنيت المعابد وذكرت الأساطير على الطريقة المصرية ولماذا يوصف امبراطور اليابان بوصف الفراعنة (ابن النمس) (أى ابن رع) •

ونقلت الحصاره المصريه من مكان إلى آخر عن طريق الذين تأثروا بها في الهند والصين واليابان والشرق البعيد •• ولم يكن التحنيط هو الهدف الوحيد لهجرة قداماء المصريين بل كان من أسباب هجراتهم البحث عن المجهول ، واكتشاف أماكن أخرى ، والتجارة ، بل وطلب بعض الآثا بالذهب والأحجار الكريمة •• وهكذا تفشّت الحضاره المصريه إلى انحاء العالم وأخرجت الانسان من التوحش وجمع الطعام من الغابات إلى التمدن وانتاج الطعام بالزراعة •• ، والزراعة أوجدت المدن والحكومة والفلك والحسابات والمهندسة والبناء والقانون •• ! •

الأخلاق المصرية :

وربما كان ذلك هو الذى دفع المؤرخ الأمريكى (برستد) فى كتابه « فجر الضمير » لأن يشيد بالأخلاق العاليه لقداماء المصريين قبل خمسة آلاف سنة عندما حرّموا تهاماً وبأى شكل الكذب وشهادة الزور وعندما حرصوا على الدعوة لاهترام الجيران ، وتحريم السرقة ، وتقديس الأم ،

واحترام الزوجة ، وتربية الأبناء والعمل الدائم من أجل الأسرة والوطن !!
وكان ذلك للمحافظة على مجتمعهم الذى كان أول مجتمع متحضر فى
العالم .

الفينيقيون :

عاش الفينيقيون على سواحل سوريا ، وبرعوا براعه فائضه فى
النشاط التجارى عبر البحار ، وقد استطاعوا أن ينشئوا لهم عدة مدن أو
مراكز تجارية فى أماكن مختلفة على ساحل الشمال الأمريكى ، والفينيقيون
أول أمة دارت حول افريقيه قبل البرتغاليين بعدة مرون .

وقد فاق الفينيقيون أمم العالم القديم فى صناعة الزجاج والنسيج
والفخار ، وفى اتقان الصناعة ، كما اتقنوا صناعة المعادن منذ عصر البرونز
(٢١٠٠ - ١٢٠٠ ق م) فاستخدموا النحاس والبرونز بوفرة ، وأجادوا
فن صهر الحديد ، واستخدموا الفضة على نطاق واسع ، وصنعوا السلاح
على اختلاف أنواعه ومهروا فى العمارة والنحت وأعمال الزخرفة ، كما
شيدوا كثيرا من الحصون والهيكل والقصور .

ولعل أهم تراث للفينيقيين فى حضارة العالم ، هو ابتكارهم الحروف
الأبجدية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد اقتبس الاغريق من
الفينيقيين تلك الحروف الأبجدية بين سنتى ٨٥٠ - ٥٧٠ ق م ، ويعتبر
بعض العلماء أن انتقال الأبجدية الفينيقية إلى الاغريق يعد من الأحداث
البارزة التى أثّرت فى مجرى حضارة العالم ، وقد اعترف الاغريق بهذا
المفضل ، وهم الذين نقحوا هذه الأبجدية وسلموها للرومان لتصبح أساس
الأبجدية الأوروبية الحديثة ، وكذلك نقل الآراميون أبجديتهم من الفينيقين
ثم أعطوها للعرب والهنود وغيرهم من الشعوب (١) .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

بابل وآشور :

وفي منطقته الفراتين ظهرت الحضارة العراقية الرائعة ، ومن أعظم الشخصيات التاريخية التي تذكر في هذا المجال الملك حمورابي الذي عاش حوالي سنة ١٩٤٠ ق.م والذي أنشأ قانون حمورابي مما يدل على ان التقنيين عُرِفَ منذ أمد بعيد في مناطق الشرق ، بعد ما حققت مجتمعاتها درجة عظيمة من الرقى والتقدم .

وسهرة حمورابي لا تقف عند قامونه ، فلقد اسهم بنصيب كبير في التقدم العمراني ، وأقام شبكة رى واسعة تَمُدُّ بالماء أكثر أرض العراق ، وشيد السدود والخزانات لحراسة الأرض من الفيضانات ، مما يدل على تطور أهله تطورا عظيما .

اليمن :

وفي اليمن قامت خلال الألف السابغة للميلاد ، مملكة حمير ، وقد لعبت اليمن خلال هذه الفترة دورا رائعا في سياسة العالم واقتصادياته فبنت أعظم السدود واحتكرت تجاره العالم ، فكان لها أسطول ضخم ينقل البضائع بين موانئ اليمن وبين موانئ الهند والصين والصومال ، وكانت تسيطر على الطرق التجارية عبر الجزيرة العربية حتى سوريا و مصر والخليج العربي ، وقد تحدثنا عن حضارة اليمن بمزيد من التفصيل في مكان آخر (١) .

فارس .

وفي بلاد فارس ظهر المصلح الاجتماعي زرادشت (٦٦٠ - ٥٨٣ ق.م) واتجه في تفكيره إلى اصلاح اتجاهات مواطنيه الدينية ، ويعدّه كثير من

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي للمؤلف ج ١ ص ٩٨ وما بعدها بالطبعة الرابعة عشرة .

الباحثين داعيا إلى التوحيد ، وقد اعترف بالبعب وبالحياة الأخرى والحساب حيث ينتهى المرء إلى نعيم مقيم أو عذاب دائم ، ثم أن بلاد فارس اقتبست كثيرا من الحضارة المصرية فى أثناء استيلاء الفرس على مصر ، ويقول الباحثون ان قمبىز تعلم الحكمة المصرية من الكاهن « أوزاموس » وان الفرس نقلوا لبلادهم كثيرا من الكنوز العلمية والفنية من مصر فغمروا بها بلادهم ^(١) . وأن دارا الأكبر اصطحب معه جماعة من أطباء مصر بعد عودته إلى إيران لتعليم الطب فى بلاده ^(٢) .

الهند :

وفى الهند وجدت الحضارة الهندوسية بما حفلت به من أفلايس ، وفيها ظهر بوذا الذى حث على ضبط النفس وقهر الشهوات ، ودعا للمحبة الشاملة ، وقال بالغاء الطبقات ^(٣) .

قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان

كانت مصر وكان الشرق موطن الفكر الأول ومصدرا الحضارة الانسانية كما ذكرنا ، ومن مصر والشرق بدأت اليونان تعرف خيوط المعرفة ، ويذكر عالم المصريات الدكتور عبد المنعم أبو بكر ^(٤) « أن مصر تعد أم الحضارة ، وأنه ما من شىء ننعم به الآن الا كان للمصريين الفضل الأول فى ابتكار أصوله ، ولم يبتدع اليونان أسس الحضارة الانسانية ، ذلك أن ما ورثوه كان أكثر جدا مما بتكروه ، ويقول علماء الحضارة ان اليونانيين كانوا الوارث المدلل لخير من الفن والعلم نبنت وازدهرت بمصر قبل ذلك بعدة آلاف من السنين » .

ولنسر مع مصر مرحلة أخرى من الحديث لنرى أفكارها وهى تنتقل

-
- (١) محمد فريد وجدى : دائرة المعارف ج٩ ص ٤٠ و ٤٥ .
 - (٢) صادق نشأت ومصطفى حجازى : صفحات عن ايران ص ٦ .
 - (٣) انظر كتاب « أديان الهند الكبرى » للمؤلف ص ١٧١ وما بعدها .
 - (٤) صحيفة الأهرام القاهرية فى ١٨/٦/١٩٧١ .

لليونان ، فإنه ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد بدأ الطلاب الاغريق يفدون إلى مصر ويلتحقون بمعاهدها ويقتبسون منها الأصول الأولى لحضارتهم ، وكان من هؤلاء فيما بعد أعظم فلاسفه اليونان الذين يثنتون بالحكماء السبعة ومنهم طاليس وأفلاطون وفيتاغورث وديمقريطس ، كما وفد إلى مصر كذلك المؤرخ هيرودوت ، والشاعر هوميروس ، والموسيقى أوزفيس وغيرهم (١) .

شهادة جورج سارتون :

ويقول جورج سارتون (٢) : أن من السذاجة أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الاغريق ، لأن الفكر الاغريقي سبقته جهود علمية عديدة في مصر وفي بلاد النهرين ... وكان العلم اليوناني احياءً أكثر منه اختراعاً ، وكفى الغربيين سوءاً أنهم أخفوا الأصول الشرقية المصرية البابلية ، تلك التي لم يكن التقدم الهليني مستطاعاً بدونها (٣) .

شهادة طه حسين :

وهناك باحث عاش عمره كله شديد الولاء للثقافة اليونانية ، ومع هذا فقد اعترف بدور الشرق في الثقافة اليونانية ، ذلك هو الدكتور طه حسين الذي يقول (٤) : بينما كانت الأمة اليونانية خاضعة لمسلطان الشعر القصصي الذي يمثلها ساذجة جاهلة قليلة الحظ من النظم السياسي والاجتماعية المراقية ، كان الشرق قد انتهى إلى درجات من الحضارة

(١) محمود أبو الفيض : الاسلام والحضارة الاسلامية ص ٥٥ .

(٢) نقلاً عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر ص ٣٤ .

(٣) الحضارة الهلينية Hellenic هي الحضارة اليونانية قبل عصر الاسكندر ، أما الحضارة الهلنسية Hellenistic فهي الحضارة اليونانية بعد عصر الاسكندر ، تلك الحضارة التي ظهرت بها عناصر أجنبية أكسبتها صورة جديدة .

(٤) قادة الفكر ص ٤٤ - ٤٥ .

مختلفة وراقية لا تقاس بها حياة اليونان ، فكان الساميون في بابل وآشور قد بسطوا سلطانا ضخما ، وأسسوا حكومات قوية منظمه ، وانتهوا إلى ألوان من الفن والعلم لا تزال تبهرنا حتى الآن ، وكانت مصر قد انتهت إلى مدى عظيم من الحضارة ، وليس من شك في أن الاتصال قد تمّ بين دول الشرق الراقية وبين الأمة اليونانية الساذجة ، وجِدَ هذا الاتصال واستد ، وبالتالي تأثرت الأمة اليونانية من غير شك بالحضارات الشرقية المختلفة ، وأخذت عن الساميين في آسيا ، وعن المصريين في افريقية أشياء كثيرة متنوعة ، ولم تكن الأمة اليونانية جاحده ولا منكرا للجميل ، وإنما كانت تسديده الاعتراف بالجميل ، وربما بالعت فيه مبالغه شديدة أيضا ، فنسبت كثيرا من الأتساء للشرقيين ، بل نسبت مدنا مختلفه إلى المصريين حينما وإلى الفينيقيين حينما آخر ، وعدت نفسها دائما تلميذه للأمة المصريه وغيرها من الأمم الشرقية في الحضارة وألوان الفن .

شهادة فيليب حتى :

وكتب الدكتور Philip Hitti ^(١) معلقا على ما ترجمه المسلمون في العصر العباسي من كتب يونانية ومثيرة إلى الدائرة الحضارية ودور الشرق فيها ، وفيما يلي كلماته : وينبغي ألا نبالح في فضل اليونان على المسلمين ، إذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبلا عناصرها ومقوماتها من معارف مصر القديمة ، وبابل ، وفينيقية ، ثم عادت هذه المعارف إلى العالم الإسلامي وهي في ثوب يوناني ، وعن طريق أسبانيا وصقلية عبرت هذه المعلوم إلى أوروبا مرة أخرى هدية من الشرق الإسلامي إبان العصور الوسطى .

شهادة ألبرت فور :

وقد نشر الأستاذ على أدهم في عدد نوفمبر ١٩٧٤ من مجلة الثقافة مقالا بعنوان « مصر والإغريق » ترجم فيه فصلا من كتاب ألفه حديثا

العلامة ألبرت فور ، وفي هذا الفصل يقرر ألبرت مور كثيرا من الأفكار التي أوردناها في هذه الدراسة ، ويؤكد الاقتباس الواسع الذي أخذه علماء الإغريق من مصر .

الإنتاج الجماعي ساعد على إخفاء دور مصر :

ومما ساعد على إخفاء دور مصر والشرق ، أن الإنتاج المنفرد في هذه البقاع كان جماعيا لا فرديا ، إذ كانت تقوم به قبيل الإسلام طبقة الكهنة ، فلما انتقل هذا الفكر لليونان دون أن يئسب لشخص معين ، ظهر وكأنه لا صاحب له ، وكان مفكر يونان يعملون أفراداً لا جماعات ، فارتبطت الأفكار المهاجرة من مصر ومن الشرق بأسماء يونانية تبنتها ، ونسبت هذه الأفكار لهؤلاء المفكرين اليونان .

ولكن حقيقة اقتباس اليونان من مصر اتضحت بعد ذلك :

فعلى الرغم من أن الدراسة بمصر كانت جماعية كما سبق القول فقد كانت هناك شخصيات لامعة ارتبطت بها أمور فكرية عالية ، ولكن هذه الأسماء طواها الزمن فلم تبرز ، ونسبت أفكارها فيما بعد إلى بعض علماء اليونان ، ولم تظهر لنا الحقيقة بوضوح إلا بعد ما ظهرت كنوف جديدة تضع الحق في نصابه . ومن هؤلاء الطبيب المصري « أمحتب » الذي كان وحيد عصره في الطب ، والذي كتب بحثا طبيئا شاملا يحوى دراسة تسريحية للجسد كله وقد وقع هذا البحث في يد الطبيب اليوناني أبقراط فأصبح يسمى « أبأ الطب » وعندما اكتشفت البردية التي تحمل البحث الأصيل ، تراجعت منزلة أبقراط إلى مكانها الطبيعي ، واندفع أمحتب إلى مكان الصدارة (١) .

(١) نقلا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر ص ١٨ بتصرف .

ومثل هذا يقال بالنسبة لعالم الرياضه المحرى أحمس (١٧٠٠ ق م)
الدى سقطت أعماله العلميه فى يد « أديوفانتس » السكندرى الافريقى
(٢٥٠ ق م) وسبب له ، حتى كان يعرف أنه مخترع علم الجبر ، ولكن
برديه أحمس ظهرت حديثا وأثبتت أنه مخترع هذا العلم ، وأن أديوفانتس
تلمذ جاء بعد عدة قرون منه ، ونسب لنفسه أو نسبته الأجيال له عمل
أحمس الأصيل (١) .

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة .

أوربا والحضارة

نحب أن نجول جوله في أوربا لنرى مدى صلاحية تربتها آنذاك لتزدهر بها الحضارة التي اقتبستها من الشرق ، ونسأل لذلك سؤاليين مهمين :

١ — ماذا نرى في اليونان لو حاولنا أن نعاشر أبرر اتجاهاتها الحضارية ؟ •

٢ — وكيف كان حال أوربا عندما كانت اليونان تتمي الحضارة التي اقتبستها من الشرق ؟
ونجيب فيما يلي عن هذين السؤالين :

١ — اليونان والحضارة :

لقد سبق أن ذكرنا أن حضارة اليونان اقتبست كثيرا من جذورها من مصر ، وأن عددا من فلاسفتها ومفكريها زاروا مصر واقتبسوا أصول ثقافتهم من حضارتها ، ومع هذا فلنسر مع فلاسفة اليونان لنرى صورا من تفكيرهم ، وأول من يطالعنا هو سقراط كبير فلاسفة اليونان الذي عُرِف عنه عدم الميل للديمقراطية والذي كان شديد العبث والسخرية بها ، كما كان شديد العبث بالارستقراطية ، وكانت نهاية سقراط أليمة ، توضّح مكانة المفكرين في المجتمع اليوناني ، فقد حكم عليه بالاعدام ، وأعدم فعلا •

وإذا تركنا سقراط وذهبنا إلى فيلسوف اليونان الشهير « أفلاطون » فإننا لا نجد وصفا لفلسفته أدق من وصف عالم مصرى مفتون بالفكر اليوناني وذلك العالم هو الدكتور طه حسين ، وهو يقول عن أفلاطون ما يلي : ان فهم الكتب التي تركها أفلاطون ليس بالأمر اليسير ، لأن بها ضروبا من التناقض من جهة ، ولأن آراء الفيلسوف في بعض المسائل قد بلغت من الغموض حدا عظيما جدا من جهة أخرى (١) •

(١) دكتور طه حسين : قادة الفكر ص ١٢٠ •

بيد أن هناك موضوعا من الموضوعات التي طرقها أفلاطون ولم يتناقض رأيه فيه . ذلك هو تصوير أفلاطون للجمهورية ، فماذا كانت صورة هذه الجمهورية ؟

يريد أفلاطون أن تتكوّن الجمهورية الفاضلة من الفلاسفة ومن طبقة الجند ، ومن طبقته نالفة هي طبقه العمال والزراع ، ويكون الحكم للفلاسفة وحدهم وليس للطبقتين الأخيرتين دخل فيه ، فأفلاطون عدو للديمقراطية التي تعطى الحكم للناس جميعا ، أما طبقته الثانية وهي طبقة الجند ، فأفلاطون وضع لها نظاما صارما ، يريل به شخصية الفرد تماما ، فليس لأفراد الجيش حق في الملكية ، وليس لهم حق في تكوين أسرة ، فلا زوجات لهم ولا أولاد ، وإنما تكون المرأة حظاء شائعا بين الجنود جميعا ، وأبناء هؤلاء النساء لا يعرفون آباءهم فهم أبناء الدولة ، أما الطبقة الثالثة وهي طبقة العمال والزراع فعليهم في هذه المدينة الفاضلة أن يكدهوا لخدمة طبقة الحكام وطبقة الجيش ، وليس لهم حقوق على الاطلاق .

وليس للمرضى في مدينة أفلاطون مكان ، بل تتبذهم الدولة بعيدا .

تلك هي صورة المدينة الفاضلة عند أفلاطون ، وهي في تقديري مدينة الظلم والظلمات .

وعلى كل حال فقد اهتمت أوروبا كلها بحضارة اليونان ، واعتبر الأوربيون هذه الحضارة من ابتكار اليونان متجاهلين أصولها المصرية والشرقية ، وعدوها تراثا أوروبا ، وارتفعوا بها لدرجة القداسة ، ليت كل أصحاب الحضارات يسمّون هكذا بحضارتهم .

٢ — أوروبا والحضارة :

أما إذا ذهبنا إلى باقى أوروبا فلن نرى إلا حياة يشملها البغى والظلام ، فقد كان نظام الإقطاع سائدا ، وفي ظل الإقطاع كان هناك أمراء وعبيد ، فالأمراء يملكون الأرض ورقيق الأرض ، والعبيد يعملون دون أن يكون لهم وزن ، وكانت الحرب لا تكاد تنقطع بين هؤلاء الأمراء بعضهم

والبعض الآخر ، وبذلك كانت أوروبا تعيش في ظلام دامس في جميع نواحيها
تقريباً •

وقد ظلت أوروبا على ذلك زمناً طويلاً حتى بعد أن ظهر الإسلام
وبعد أن تكونت في ظلّه نظم وحضارات واسعة ، فإن الوثيقة التي يفخر
بها الأوروبيون بوجه عام والإنجليز بوجه خاص وهي وثيقة العهد الأعظم ،
ليست في الحقيقة موضع فخر ، فقد اضطر الملك جون أن يوقعها في القرن
الثالث عشر الميلادي ، وكان هذا الملك قد تمادى في طغيانه ، فعزل أباء
الملك هنري الثاني من الحكم بمؤامره خائنة ، وتسلب على الأمراء ورجال
الكنيسة ، فنار هؤلاء من أجل حقوقهم ، فاضطر الملك جون أن يكتب هذه
الوثيقة ينظّم بها العلاقة بينه وبين الأمراء من جهة ، وبينه وبين رجال
الكنيسة من جهة أخرى ، ولم يردّ في هذا العهد ذكر للشعب ولا لحقوقه ،
فالشعب لم يحصل على أية حقوق إلا بعد ذلك بأربعة قرون ، أي في
القرن السابع عشر ، أما حقوق المرأة الغربية فلم يُعترف بها إلا في القرن
العشرين •

تلك هي صورة الحياة في العالم قبل الإسلام ، وهي تبرز بجلال
نقطتين مهمتين :

أولهما : أن الحضارات العالمية نبتت في الشرق ، وعندما كان الشرق
يموج بالحضارة كانت أوروبا تعيش في ظلام وحروب وطيغان ، ولعل
ذلك بعيد للمسلم ثقته ببلاده وتاريخه •

ثانيهما : أن الحضارة التي اقتحمت بعض نواحي أوروبا قبل الإسلام
جاءت عن طريق مصر والشرق ، وعاشت هذه الحضارة في اليونان فقط ،
وبقيت دول أوروبا الأخرى تعيش في ظلام العصور الوسطى •

نهاية الحضارات القديمة

ودور روما والكنيسة والكهنة في ذلك

انتهكت الحضارة قبل الإسلام انتكاسا شديدا ، وقضى على الحضارات التي كان الشرق يزهو بها ، وعاد المجتمع العالمي المهقري ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها السببان التاليان :

١ — سيادة روما على أكثر مناطق الحضارات بالشرق :

مع نهاية الاسكندر المقدوني استولى البطالسة على سورية سنة ٣٢٥ ق.م ثم على مصر سنة ٣٠٥ ق.م ، وبعد ذلك زحف الرومان فاستولوا على أوروبا خلال القرنين الثاني والأول ق.م ، ثم استولوا على سوريا سنة ٦٥ ق.م ، وبعدها استولوا على مصر سنة ٣٠ ق.م ، وبهذا خضعت أهم مناطق الحضارات في أوروبا ، وفي الشرق إلى روما ، ولاقت هذه المناطق تحت الحكم الروماني صورا من الضغط والاذلال ، قضت على قوة الابتكار والفكر ، فخبّت شعلة التطور تحت نير العسف الروماني ، ولم تستطع روما أن تحمل مشعل الحضارة بديلا لهذه المناطق التي خضعت لها ، لأن روما لم تكن في أي عصر من عصورها مركزا من مراكز الفكر كما كانت عين شمس في مصر القديمة ، أو أثينا والاسكندرية في عصر ازدهار الحضارة اليونانية ، وتوقف بذلك نشاط الحضارات .

٢ — انحراف المسيحية بسبب انحراف بعض قادتها :

ظهر السيد المسيح ولكن نظام الحكم الروماني ظل وثنيا فترة طويلة حتى عهد قسطنطين (٢٧٤ — ٣٣٧ م) الذي حكم من سنة ٣٠٦ إلى سنة ٣٣٧ م وقد قام هذا الامبراطور بسلسلة من الأعمال شديدا بها أزر المسيحية ، فهو الذي أعلن حرية التدين في قرار ميلانو (سنة ٣١٣) الذي نصّ على ألا يجرم أحد بسبب الارتباط بشعائر المسيحية أو أية شعائر

دينية أخرى ... وهو الذى دعا إلى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ثم دخل المسيحية في أواخر أيامه وعمّد وهو على فراش الموت • ولم يكتف رجال الكنيسة من قسطنطين بما قدم للمسيحية ، بل وضعوا باسمه ما سمي « منحة قسطنطين » وهي وثيقة تعلن أن الامبراطور منح البابا سلطات دنيوية كبيرة في الولايات البابوية التي أنشأها البابا ، وقد أثبت النقاد زيف هذه الوثيقة بأساليب نقدية دقيقة تعتبر أساسا لنقد النصوص في العصر الحديث •

والمهم أن موقف قسطنطين من المسيحية جعل رجال الدين يطمعون في مزيد من السلطة التي تتجاوز أمور الدين إلى أمور الدنيا ، وقد نجح رجال الكنيسة في ذلك ، وفي أواخر القرن الرابع استطاع أسقف ميلانو أن يعارض بعض قرارات الامبراطور تيودوسيوس الذي توفي سنة ٣٩٥ م حتى أرغمه على سحبها •

ومنذ مطلع القرن الخامس هيمنت الكنيسة على كثير من الشسئون وفي مقدمتها الاتجاهات الفكرية والحضارية في الامبراطورية الرومانية تلك الاتجاهات التي كانت مصرية الجذور أو فينيقية الأعراق ، فماذا كان موقف الكنيسة من هذه الحضارة ؟

أن موقف الكنيسة من الحضارات السابقة بُنى على الاعتبارات الآتية :

أولا : ان الكتاب المقدس قد حوى بين دفتيه كل ما يحتاجه الانسان في الدنيا والآخرة ، وأنه لذلك ينبغى أن يكون وحده أساس النظريات والعقائد ، وأن لرجال الكنيسة وحدهم حق تفسير نصوصه ، وعلى الناس أن يقبلوا هذا التفسير دون تفكير أو مقاومة •

ثانيا : وتبعاً لذلك ساد الاعتقاد بأن ما سوى الكتاب المقدس باطل ، لا يجوز الوقوف عنده أو مدارسته •

ثالثا : رجال الكنيسة ممثلون لله في الأرض ، ومن ثم فإن لهم معذبي
من يقاوم أفكارهم وإنابة من يطيعهم كما يفعل الله بالنسبة للناس تهاما .

رابعا : بنيت المسيحية على المعجزات والخوارق التي جاء بها السيد
المسيح ، والمعجزات والخوارق من طبيعتها أن تخالف قوانين الطبيعة
والأسس العلمية ، ولما كان رجال الدين مخلصين كل الاخلاص للمعجزات
والخوارق ، فقد اتخذوا جانبها وحاربوا العلوم لأنها تتناقى معها .

خامسا : اتجهت النصوص المسيحية إلى ترك الدنيا ، وانتظار ملكوت
السموات دون مبالاة بالأجساد والأبدان والمال والمتاع ، ولما كانت أكثر
العلوم التجريبية التي كانت منتشرة بالشرق تخدم الدنيا ، فقد اتجهت
أفكار رجال الدين لمعارضة هذه العلوم .

ومن هنا حاربت الكنيسة مختلف العلوم ، كما حاربت العلماء ،
واحتكرت الكنيسة بعض المجالات الفكرية بعد أن أخضعتها لنصوص
الكتاب المقدس وقاومت كثيرا من الأفكار مقاومة تسديدة ، وكان الطب
والرياضة والفلك ... من النوع الأخير ، فأعدمت الكنيسة بعض كتبها
وألقت بالبعض في مغارات لا يطلع عليها أحد حتى يأكلها الزمان (١) ،
وقد ظلت الكنيسة تتبع هذه السياسة فقرات طويلة ، فلما أهل عصر
الحرية ، ولم تجد الكنيسة في مقدورها أن تحرق الكتب أو تسجنها أصدرت
القرارات التي تحرّم على المسيحيين قراءة الكتب التي ترى أنها تخالف
الدين كما حددته ، أو الكتب التي تكشف سوءات الكنيسة ، ومن أشهر
هذه القرارات قرار الفاتيكان الصادر في سنة ١٩٢٩ والذي يحرم على
المسيحيين قراءة أكثر من خمسة آلاف كتاب (٢) ، كما أصدرت قرارا بتكفير
من قال بدوران الأرض .

(١) ابن نباته المصري : سرح العيون ص ٦٦ ، والفهرست لابن القيم
ص ٣٣٣ .

(٢) انظر كتاب المسيحية للمؤلف ص ٧١ .

وهكذا قضى رجال الكنيسة المسيحية على الثروة الحضارية الضخمة التي كوَّنها العالم طيلة عدة قرون •

وجاءت نهاية حضارة الفرس والهند على أيدي الكهنة كذلك ، أولئك الذين شغلتهم الرغبة في متع الحياة ، فصوروا أنفسهم واسطة بين الله والناس ، وحوَّلوا بوذا إلى إله ، كما صوروا مذهب زرادشت الذي كان يرى النار رمز الصفاء فجعلوا النار إلها مقدسا ، وجعلوا أنفسهم خدام هذا الإله لينالوا من القرابين ما يحقق لهم ما يصبون إليه من نعيم الدنيا •

وهكذا استغل هؤلاء الناس الأديان فأنحرفوا بها • وبدل أن تكون مشاعل نور جعلوها وسائل للجهل والظلام •

وقد كان رجال الدين من قسوس وكهنة متعاونين في ذلك مع الملوك والأمراء ، وقد رأى هؤلاء وأولئك أن يحاربوا العلم وينشروا الجهل لتسهيل عليهم قيادة شعوبهم ، فالشعوب الجاهلة سهلة القيادة ، أما الشعوب المتعلمة فتعرف حقوقها ، وتطالب بها ، وتدافع عنها •

ومن الأمور المفجعة أن بعض الكنائس ظلت تمارس هذه النقائص حتى العهد الحاضر ، وأبرز مثال لذلك الكنيسة الأثيوبية التي كانت تملك ٣٠٪ من مساحة الأراضي المزروعة بالحبشة ، ولا تدفع عنها ضرائب ، وتجبي مع ذلك الصدقات والمنذور من المعدمين والفقراء التعساء والجهلة ، وحتى تنعم الكنيسة الأثيوبية بهذا الثراء سكنت على الامبراطور وأسرته وأمراءه الذين كانوا يملكون ٥٠٪ من الأراضي ، أما ما تبقى بعد ذلك فقد منحه الامبراطور لكبار الموظفين الملكيين والعسكريين وبعض زعماء القبائل ، وكان الامبراطور ينعم بهذا الثراء الخارق ، ويقيم أعياد ميلاد سخية لكلابه ، بينما كان الشعب يتضور جوعا ويتساقط بسبب قلة الغذاء والكساء •

وقد ظلت الكنيسة تمارس هذا الباطل وتغمض الطرف عنه حتى

مبت ثورة الجيش الأثيوبي عام ١٩٧٤ فوضعت حدا لهذا الضلال ، ولكنها للأسف، اتجهت لضلال آخر هو الشيوعية والإلحاد ، وهو كذلك محاولة مدّ سلطانها ظلما إلى أرض ليست حبشية ، وذلك لون من الاستعمار الجديد نحاربه بكل الوسائل •



ونتيجة لهذين السببين يقول Dinson (١) كلاما طويلا عن اختفاء الحضارات العالمية في القرنين الخامس والسادس ، وقد نقلنا كلامه في مكان آخر ، وخلاصة ما قال أنه في هذين القرنين كان العالم على شفا جرف من الفوضى ، لأن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها عدة آلاف من السنين أصبحت مشرفة على التفكك والانحلال والاختفاء ••

(١) Emotions as the Basis of Civilization.

وانظر كتاب المجتمع : تكوينه وعلاج مشكلاته في الفكر الاسلامي للمؤلف .

العصر العباسي الأول

عصر التدوين والترجمة

كان العصر العباسي الأول أزهى العصور الإسلامية في خدمة الحضارة الإسلامية بوجه خاص والحضارة الإنسانية بوجه عام ، وقد كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول قد جاءت بالكثير تجاه الحضارة الأصيلة ، كما حثت على رعاية العلم وخدمة الفكر بوجه عام •

وشهد عصر عمر بن الخطاب وعصر الدولة الأموية توسعا هائلا في الدولة الإسلامية ، فقد وصل الإسلام خلال ذلك إلى الهند وتخوم الصين شرقا وإلى أسبانيا غربا •

ثم جاء العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٣ هـ = ٧٥٠ - ٨٤٨ م) فكان عصر العلم والمعرفة ، وقد قام خلفاء هذا العصر بدور عظيم في خدمة الحضارتين الأصيلة والمقتبسة •

تدوين الحضارة الأصيلة :

نفى الحضارة الأصيلة بدأ التصنيف وتدوين العلوم ، وكان الاعتماد قبل ذلك على الرواية والرواة ، ولهذا فان هذا العصر ازدهى بالعلماء الأجلاء في كل ميدان :

في مجال الفقه (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل) •
وفي مجال التفسير ظهر المفسرون وهو أول من دونه تفسيره كاملا للقرآن الكريم •

وسار تدوين الحديث الشريف مسافات طويلة ، وكان تدوين الحديث قد بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) •

وظهر علماء اللغة الذين دونوا النحو العربي ومنهم الخليل والأخفش والكسائي وسيبويه •

وظهر من المؤرخين ابن هشام وهو الذى دون سيرة متكاملة
للمرسول صلوات الله عليه اعتبرت أساسا لمن تكلموا بعده عن هذه السيرة
للعطرة •

ودونت جوانب الحضارة الإسلامية فى ثنايا الفقه الإسلامى
وفى ثنايا الحديث الشريف ، وخصّصت كتب أحيانا للحضارة وحدها مثل
كتاب « أبو يوسف » عن « الخراج » وأبو يوسف تلميذ أبى حنيفة
وقاضى قضاة الرشيد أعظم خلفاء ذلك العصر •

وفى هذا العصر بدأ أيضا تدوين علم مقارنة الأديان على
يد النوبختى الذى كتب كتابه « الآراء والديانات » •

الحضارة التجريبية وبيت الحكمة :

فإذا جئنا إلى الحضارة التجريبية وجدنا أنها وجدت فى العصر
العباسى الأول أزهى الفترات لازدهارها ، فقد شجع الخليفة أبو جعفر
المنصور ثانيا خلفاء العباسيين ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات
الأجنبية للغة العربية ، ثم شيد هرون الرشيد أشهر خلفاء ذلك العصر
أولَ معهد علمى حافل وأسماه « بيت الحكمة » وكان ذلك حوالى سنة
٨٣٠ م ، واهتم ابنه المأمون بهذا المجمع العلمى وألحق به مرصدا
ومكتبة حافلة ، وجذب له العلماء والمترجمين والطلاب ، وفى هذا
المعهد تُرجمت أمهات الكتب فى مختلف الموضوعات إلى اللغة العربية ،
وكان المأمون يعطى المترجمين زنة ما يترجمونه من الذهب الخالص •

وأكثر هذه الكتب كانت قد وضعت كما ذكرنا من قبل فى دهايز
مظلمة رطبة تحت الأرض ليأكلها الزمان ، وكان المأمون يشترط
عند توقيع الهدنة مع الروم أن يسلموا للمسلمين هذه الكتب التى كتبها
إقليدس وجالينوس وأبقراط وأرشميدس وسواهم من المفكرين ، وأحضر
المسلمون مجموعات من الكتب من البلاد التى استولوا عليها كالشام ومصر

وفارس ، ومجموعات من قبرص ومن الاسكندرية وعكفوا عليها يترجمون ويعلقون ويشرحون (١) •

مراحل العمل في الكتب الأجنبية :

والذي يظهر لنا من الدراسة إن هذه الكتب التي انتزعت من الدهاليز المظلمة الرطبة كانت قد ضاعت بعض أوراقها ، واختفت سطور كبيرة منها بسبب الرطوبة والإهمال ، ولهذا فقد استلزمت جهدا كبيرا لترجمتها والانتفاع بها ، وقد مرّت هذه الجهود خلال خمس مراحل هي :

١ — مرحلة استكمال الكتب ، فقد عُدّ بكتب الطب إلى أطباء ، وبكتب الرياضة إلى علماء في الرياضة ، وبكتب الفلسفة إلى فلاسفة ، لتكمل ما بهذه الكتب من نقص بقدر الإمكان •

٢ — ترجمة هذه الكتب إلى اللغة العربية •

٣ — التعليق عليها من المترجمين أو من غيرهم من القراء بعد الترجمة •

٤ — تدريس هذه الكتب للطلاب وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الانتفاع بهذه الكتب ، فإن التدريس يستلزم أن يُعْمِلَ المدرس فكره في المادة التي يقدّمها للطلاب ، ثم إن الاحتكاك بين عقل المدرس وعقول تلاميذه يفتح أبوابا جديدة من المعرفة في هذه المواد •

٥ — المرحلة الخامسة والخطيرة هي أن المسلمين أَلْفُوا في هذه الموضوعات كتباً كانت أعظم من الكتب التي ترجموها ، وأصبحت هذه الكتب الجديدة حائزة قصب السبق في ميادين المعرفة •

ويقول Philip Hitti (٢) انه بينما كان الرشيد والمأمون يخرجان كنوز الفلسفة القبطية واليونانية والفارسية ، كان معاصروهم في أوربا أمثال شارلمان وسادة مملكته يتعشّرون في كتابة أسمائهم •

(١) أس البديم : الفهرست ص ٢٤٣ •

(٢) History of the Arabs p 312

لمحة عن جهود المسلمين في الحضارة التجريبية

وانتقل المسلمون — كما ذكرنا — من الترجمة والتعليق إلى الابتكار والخلق فكان لهم سبق عظيم في العلوم التجريبية نوجز الحديث عنه في السطور التالية (١) :

في علم الاجتماع :

يعتبر ابن خلدون رائدا في تاريخ الفلسفة وعلم الاجتماع ويقول عنه Colosio (٢) إن ابن خلدون استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية ويكتب في الاقتصاد والفلسفة كالاقتصادي ضليع وفيلسوف عميق ، وقد خلّفت مقدمة ابن خلدون له شهرة رائعة ، ومكانا رفيعا ، وأثبتت أنه واضع علم الاجتماع •

الجغرافيا :

في علم الجغرافيا برز الخوارزمي وتلاميذه وكانوا تسعة وتسعين ، وقد عاصر هؤلاء الخليفة المأمون ، ورسم هؤلاء خريطة للسماء والأرض ، وقاموا بمحاولة ناجحة لقياس محيط الأرض على أنها كرة ، والمدّش أن ما وصلوا له كان قريبا جدا مما وصل له العلم الحديث مع وجود الأجهزة الحديثة الدقيقة •

ومن الذين ذاع صيتهم في علم الجغرافيا المقدسي الذي قام برحلات طويلة استغرقت عشرين عاما جمع خلالها معلومات واسعة ، ثم دوّن ما يمكن أن يسمى دائرة معارف في الجغرافيا •

ومن مشاهير الجغرافيين المسلمين الذين ابتكروا ابتكارات واسعة

(١) انظر تفاصيل ذلك في الجزء الثاني من هذه الموسوعة .

(٢) Introduction a l'etude d'ihn Khaldon. (٢)

الإصطخرى والإدريسي (القرن الثاني عشر) ومن أبرع ما وصل إليه الإدريسي أنه رسم خريطة لنهر النيل أبرز عليها منابع النيل الأصلية التي لم يعرفها الغربيون إلا في القرن التاسع عشر •

ومما يدل على براعة العرب في الجغرافيا ، ما نشرته مجلة (نيوزويك) المصادرة في العاشر من شهر إبريل سنة ١٩٦١ وفيها يذكر الدكتور « هوى لن » الأستاذ بجامعة بنسلفانيا أن العرب هم الذين اكتشفوا المقارة الأمريكية ، وكان ذلك قبل كريستوف كولمبس بأربعة قرون •

علم الفلك :

وضع المسلمون أساس علم الفلك ، وكل ما جاء بعد المسلمين كان على أساس ما سجله المسلمون في هذا العلم ، ومثل ذلك يقال عن الرياضة والطب والعلوم الطبيعية •

وكان هناك نشاط واسع في علم الفلك إبان خلافة المأمون الذي أقام مرصدا ضخما لخدمة هذا العلم ، ولم تمض فترة طويلة حتى ظهر مرصد آخر بمصر ثم في الري (طهران) ، وشيراز ونيسابور وغيرها من العواصم الإسلامية •

ومن أهم علماء الفلك المسلمين ، الفزارى والخوارزمى والزرقالى ، وقد استطاع هذا أن يحدد وقت كسوف الشمس وطول فترة الكسوف • وظهر الكوهى الذى استطاع أن يحدد نقطة الانقلاب الشمسى عند قمة الصيف وقمة الشتاء •

وقد نقلت مؤلفات كثيرة في الفلك من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية وكانت أساسا لمعارف الغرب في هذا الميدان •

علوم الرياضة :

ظهرت الأرقام أول ما ظهرت في الهند ثم ترجمت رسالته في

(م . هـ - المناهج الإسلامية)

الرياضيات من اللغة السنسكريتية إلى اللغة العربية وقام بترجمتها الفزاري ، وعرف العرب عن طريقها استعمال الصفر كما عرفوا الأرقام الهندية ، وقد نقلت هذه الأرقام من اللغة العربية إلى أوروبا ، ولهذا أطلق عليها الغربيون (الأرقام العربية) لمدى صلتهم بالأصل الذي أخذت عنه .

ووضع الخوارزمي أساس علم الجبر ، وكتب في ذلك كتابا عنوانه « حساب الجبر والمقابلة » وعندما ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية بقيت كلمة (جبر) اسما لهذا العلم ، اعترافا بفضل اللغة العربية فيه .

وقد نُقل إلى اللغة اللاتينية عدد كبير من الكتب والبحوث العربية كانت أساسا لتطور علوم الرياضة عند الغرب .

الموسيقى :

عرف المسلمون السلم الموسيقى ، وقياس الوتر ، والإيقاع الدقيق ، قبل أن يعرفها الأوروبيون بعدة قرون ، ومنابع الموسيقى الإسلامية ترجع إلى الموسيقى البيزنطية والفارسية بالإضافة إلى الموسيقى العربية التي كانت شائعة قبل الإسلام .

ومن علماء الموسيقى في العالم الإسلامي سعيد بن مسجع وتلميذه ابن محرز ، ثم ظهر اسحق الموصلي ومعاصروه وإخوان الصفا والفارابي .

وقد ترجمت بعض الكتب التي كتبها العرب في الموسيقى إلى اللغة اللاتينية ولا تزال هناك كلمات لاتينية قريبة النطق من الكلمات العربية كالقيثارة وترجمتها جيتار والقانون وقد نقل إلى اللاتينية بنطقة العربى .

الكيمياء :

أول ما نذكره عن هذا العلم هو أن الكيمياء لفظ عربى مشتق من

الفعل كى يكى إذا سَتَرَ وأخفى ، ويقال كى الشهادة إذا كتمها أو منعها •

ويعتبر علم الكيمياء نتيجة دقيقة للمنهج التجريبي الذى يُنسَب للمسلمين والذى يتكلم عنه جابر بن حيان بقوله : والله قد عملته بيدي وبِعقلِي قبل اليد ، وبحُث عنه حتى صَح ، وامتحنته فما كَذِب •

العلوم الطبيعية (الصوت والضوء) :

ظهر كثير من علماء المسلمين فى مجال دراسة العلوم الطبيعية وبرعوا فى ذلك براعة كبيرة ، ومن هؤلاء ابن الهيثم الذى عارض إقليدس وبطليموس فى قضية مصدر الشعاع الذى يسبب الرؤية ، فأثبت أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من المرئى لا من العين كما كان يظن إقليدس وبطليموس ، وأثبت ابن الهيثم انعكاس الضوء ، وانكساره ، ووضع قانون سير الأشعة سيرا كرويا منحنيا كانحناء سطح الأرض •

الطب :

ازدهرت العلوم الطبية فى الشرق القديم ، وبخاصة على ضفاف النيل •

وعرف الشرق كذلك علاج المرضى بواسطة الدواء ، وكان الأطباء من قبل يقتلون المرضى أو يحاولون علاجهم بالخرافات لطرد الشياطين التى كانوا يعتقدون أنها تسبب الأمراض ، ومن وسائل القتل ما كان معروفا من عزل المريض فى أمكنة تسمى بيوت المرضى أو مأوى الله ، وكان يقصد بذلك حماية الأصحاء وترك المرضى فى هذه الأمكنة حتى يموتوا •

ولم تظهر المستشفيات إلا فى ظل الإسلام ، وعرف المسلمون كذلك العلاج المجانى لغير القادرين ، وظهر الأطباء الفلاسفة كالرازى والفلاسفة الأطباء كابن سينا •

واكتشف المسلمون عدة أمراض لم تكن معروفة من قبل كالجزام والحصبة والجدرى ، كما عرفوا العدوى والتطعيم •

وعرف المسلمون أيضا التشريح والتخدير والطب النفسى وطب العيون ، كما برعوا فى الصيدلة ، ويعتبر ابن البيطار زعيما فى ذلك المجال ، أما الزهراوى فقد ابتكر الكثير من آلات الجراحة ، وتكلم عن تعقيم الجروح ، وعن تشريح بعض الحيوانات التى تشبه الإنسان للتعرف على ما يسبب الأمراض ، وعرف المسلمون كذلك الطب البيطرى ، واشتهر المسلمون بطرق البحث العلمى ، ونسبت لهم هذه الطريقة دون جدال ، فالطريقة التجريبية هى طريقة عربية إسلامية •

تلك لمحة سريعة عن جهود العرب والمسلمين فى مجال الحضارة التجريبية ، وهى جهود كانت دعامة قوية لما حققته النهضة الغربية فيما بعد •

جهود المسلمين فى المجال العمرانى :

وفى مجال الحضارة العمرانية حقق المسلمون أهدافا عالية ، فمضى التجارة عنى المسلمون بالطرق والجسور والأسواق والأمن ، وفى الزراعة وجهوا عناية كبرى إلى الرى وإصلاح الأرض وشق الأنهار والترع والخلجان ، وقد استطاعوا بذلك أن يقيموا دورة ثلاثية للزراعة فى كثير من البلدان •

ومن أخلد ما حققه المسلمون فى نواحى العمران المنشآت البنائية العظيمة من مدن وقصور ومساجد وقلاع ومدارس ومستشفيات ، ولا يزال الكثير منها باقيا حتى اليوم ينطق بعظمة تلك الأجيال كالجامع الأموى بدمشق ، والأزهر بالقاهرة ، ومدرسة نور الدين زنكى بدمشق ، وقصر الحمراء بغرناطة وغيرها • وسفرى صورا من الحضارة التجريبية فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة وهو عن الفكر الإسلامى •

هذا وينبغي أن نذكر أن اهتمام المسلمين بالعلم نتج عن حث القرآن الكريم على ذلك وحث الرسول عليه ، وقد وضعنا ذلك في الجزء الخامس من هذه الموسوعة عن « التربية الإسلامية » .

الحضارة المصرية إحدى الأسس المهمة للحضارة الإسلامية :

وبعد ، لقد وجد من بعض الإخوة العرب مَنْ يعترض على اهتمام المصريين بالحضارة الفرعونية ، ولعل ما ذكرناه آنفا يحمل الرد على هؤلاء ، فإن الحضارة الفرعونية كانت أساسا مهما للحضارة الإسلامية التجريبية التي نفخر بها ، فالتعرف على الحضارة الفرعونية أساس ضروري للتعرف على جذور الحضارة الإسلامية .

إن الحضارة الإسلامية التجريبية استمدت عناصرها من الحضارات الشرقية التي وجدت قبل الإسلام وبخاصة في مصر التي كان لها في هذا المجال وزنٌ ثقيلٌ .

ثم إن الإنسان نَبَتٌ بيئته ، ومعنى هذا أن المصرى الحديث تسربت إليه هواهبُ أجداده ، فراح يخدم الإسلام بنفس النشاط والقدرة كما خدم أجداده عقائدهم وحضاراتهم .

ونوضح كذلك لهؤلاء المعترضين أن العالم كله يبدى إعجابا عظيما جدا بالحضارة المصرية ، ويقف المفكرون المعاصرون في أرقى دول العالم موقف دهشة واجلال أمام الآثار الفرعونية في الجيزة والأقصر وأسوان ، فهل بليق أن نقف نحن من حضارة أجدادنا موقفا سلبيا ؟

إن أى معتز ذكى مخلص لو رأى توت عنخ آمون ووادى الملوك بالأقصر ووادى الملكات ، وبهو الأعمدة والكرنك ومعبد أبى سنبل وأهرام الجيزة ، ولو درس فلسفات هؤلاء الملوك العظام قبل الإسلام بعدة قرون ، لأثنى أعمق الثناء على هذا المتفوق العظيم .

المسلمون في ظل الحضارة الإسلامية

ونقرر هنا حقيقة مهمة هي أن المسلمين حققوا في ظل الاسلام كل هذه الأنواع من الحضارات كما انتفعوا انتفاعا واسعا بالحضارة الأدبية التي جاء بها الاسلام ، وفي ظل ذلك حققوا ألوانا من الاتصالات العسكرية والثقافية ، وعاشت هذه الحضارات عدة قرون في كنف الاسلام . ولم يكن المسلمون في حاجة لنزول الدين عن الدولة كما فعلت أوروبا عندما أرادت أن تبدأ نهضتها ، إذ وجدت أن الدولة العظمى لا يمكن أن تبدأ أو تعيش في ظل الكنيسة ، لأن الكنيسة اتجهت بسيف بصارعة المفكرين ومقاومة كل تقدم وكل كشف علمي كما سبق القول .

وحتى بعد عزل الدين عن الدولة في أوروبا لم تلتزم الكنيسة الزعماء تماما ، بل بقيت تحارب بوسائلها الدينية جمهرة كبيرة من المفكرين ، وقد أصدر الفاتيكان قرارا سنة ١٩٢٩ أشرنا له من قبل ولازال معمولا به حتى الآن وهذا القرار يحرم على الكاثوليك قراءة حوالى خمسة آلاف كتاب ، منها جميع مؤلفات ميترلنك واميل زولا ، ومنها أكثر مؤلفات رينان وجان جاك روسو ، وديماس الأب ، وديماس الابن ، وديكارت ، وفيتور هوجو ، ومنها انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لجيرون ، وتاريخ الأترب الانجليزى لتين وأفكار ورسائل اقليمية لباسكال وغيرها .

أوروبا تقتبس مرة أخرى من الشرق

قلنا فيما سبق ان اليونان اقتبست حضارتها قبل الميلاد من مصر والشرق ونريد هنا أن نقول ان أوروبا اقتبست مرة أخرى من الشرق في العهد الاسلامى ، فبينما كان المسلمون يعيشون في الحضارة المزدهرة التي وصفناها آنفا كانت أوروبا تعيش بين الاقطاع والحرب كما وصفنا من قبل وبدون نظم سياسية أو اقتصادية ، وبدون مدارس أو معاهد على الاطلاق ، وكان المجتمع عبارة عن قلة من السادة وجمهرة من العبيد ، وكان الصراع لا يتوقف بين السادة بعضهم والبعض ، أما العبيد فكانوا يدفعون من حرب

الى حرب ، والتقى الأوروبيون بالمسلمين في أسبانيا وفي صقلية وفي فلسطين ومصر ، وكان الأوروبيون قبل هذه اللقاءات يحسبون أنهم أرفع منزلة من المسلمين ، ويعتقدون أن المسلمين متأخرون ، ولكن ما كادوا يتصلون بهم حتى زالت الغشاوة وأدركوا أن المسلمين يفوقونهم في الحضارة الفكرية والحضارة التجريبية بمراحل متعددة ، فبدأ الأوروبيون يعثون عبيداً مما لدى المسلمين من حضارات وتقدم .

ففى أسبانيا وصقلية التحقوا بالجامعات الاسلامية في قرطبة وغيرها ، وتلقوا من المسلمين صوراً من الفكر في مختلف المجالات ، وأجاد الكثيرون من الطلاب الأوروبيين اللغة العربية ، واقتنوا بالفنر الذي تلقوه من أساتذتهم المسلمين ، فترجموا عدداً كبيراً من الكتب العربية للمعاني ، وراحوا يعلمونها لذويهم عقب عودتهم لبلادهم .

أشهر المترجمين الأوروبيين :

ومن أشهر المترجمين الأوروبيين :

John of Seville - Adfard of Bath - Gerard of Cremona - Alfonso x.

وعن طريق الحروب الصليبية التقى الأوروبيون في الشرق بالمسلمين في حرب أحيانا وفي حالات هدنة أحيانا أخرى ، فرأوا ما أذهلهم من فكر حضارى ، كما رأوا صوراً من العادات والأخلاق الاسلامية بهرتهم فراحوا يقتبسون منها .

وهكذا كانت هذه الأمكنة مراكز فكرية عرض فيها الشرق أفكاره الحضارية واقتبست أوروبا من شىء هذه الحضارات .

يقول Hearnshaw (١) : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة ، لقد بهت الأوروبيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التي رجحت حضارتهم رجحانا لا تصح معه المقارنة بينهما .

(١) علم التاريخ ص ٦٢ من الترجمة العربية للأستاذ العسادي .

ويقول الأستاذ سديو : تكونت فيما بين القرنين التاسع والخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف في التاريخ لدى العرب ، وظهرت اختراعات ثمينة تتسهد لبم بالنشاط الذهني الرائع ، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يمكن القول بأن العرب كانوا أساتذة الأوربيين في جميع ذروع المعرفة ، ولقد حاول الأوربيون أن يقللوا من شأن العرب ، ولكن الحقيقة ناصحة يشع نورها لا مفر من الاعتراف بها *

كيف انتقلت للغرب الحضارة التجريبية والحضارة الأصلية :

لم يسر انتقال الحضارة الاسلامية الأصلية في نفس الطريق الذي انتقلت بواسطته الحضارة التحريبية ، وسنسجل فيما يلي وسائل انتقال كل من الحضارتين :

وسائل انتقال الحضارة التجريبية :

من الطبيعي أن الغرب كان أسرع استجابة لأعلوم التجريبية التي يدق الدليل على صحتها كل عقل ، لأنها مادية محددة ، ولأنها لا تتناول مع التقاليد والطبقية المنتشرة بالغرب ، بل قد تساعد الطبقات العليا وتمكّن لهم في السلطان ، فالتقدم في الطب مثلاً ينتفع به السادة أكثر مما ينتفع به العبيد ، ومثل هذا يقال عن الانتفاع بالفنون ايعمارية والفلك والريضة والموسيقى وغيرها *

ومن أجل هذا أسرع ملوك الغرب في إرسال الطلاب للالتحاق بالجامعات الاسلامية ، لينقلوا لهم هذه المعارف ، كما قام عدد من الباحثين الغربيين الذين أجادوا اللغة العربية بترجمة كثير من العلوم التجريبية للغة اللاتينية ، وقد ذكرنا آنفاً أسماء بعض هؤلاء المترجمين ، وهكذا أسرع أوروبا لاقتباس الحضارة الاسلامية التجريبية ، وسرعان ما انتشرت هذه الحضارة بأوروبا ، ومن أجل هذا يخطئ بعض الناس عندما يتكلمون عن الحضارة الاسلامية ، فيظنون أن الحضارة (ل ا م ه - المناهج الاسلامية)

التجريبية هي كل شيء في مجال الحضارة وهي رديها ولا اقتبسها الخريب
من المشرق الاسلامي ، وذلك خطأ كبير ، فلهذا سميت ، انتقال هذه الحضارة
لاوروبا ووضوح وسائل نقلها .

وسائل انتقال الحضارة الأصلية :

أما العلوم الفكرية كالاعتراف بال واحد سر خالق الكل وسيد الكل ،
وأما الاعتراف بالنسوري التو ، جاء بها الاسلام في النظام السياسي ،
والاعتراف بحق الفقير في مال الخرب ، والخضوع للأخلاق التي فرضها
الاسلام وتحرير العبيد . . . فامرا نفس السادة لنسب المحكومين ، اذ
تنفع المحكوم وتمثل من سلطان الحاكم ، وس أجا ، هذا قايمت الطبقات
العليا هذه الاتجاهات وتباطأت في تقبلها .

ومثل هذا يقال عن حقوق المرأة ، فقد كان الرجال حريصين على أن
تظل المرأة مصدر متعة فقط ، ولا حقوق لها .

ولكن هذه الحضارة الأصلية ظلت صامدة ، ودافعت عن وجودها بقوة ،
فلما تمت لقاءات وحدث اختلاط بين المسلمين والغربيين في الحروب الصليبية
بمصر والشام ، وبخاصة في فترات الهدنة ، تعرّف الغربيون على كنه هذه
الحضارة وعظمتها ، فآخذوا يخترقون منها على الرغم من مقاومة السادة
ومناهضتهم لها ، فتمرد الكثيرون منهم على القول بتعدد الآلهة ، واعتنق
جماهيرهم اتجاهات الاسلام في النسوري وفي العدالة الاجتماعية ،
والتقطت المرأة حقوقها ووجدت بين الرجال من يدافع عن هذه الحقوق ،
وقابل عبيد الغرب أحرار الشرق في الحروب الصليبية فتمردوا على
العبودية ولم يعودوا الى نطاقها بعد أن عادوا الى بلادهم ، وسرعان
ما أنتشرت الشورى بأوروبا ، وانتشرت العدالة الاجتماعية وحقوق المرأة
وغيرها من دعائم الحضارة الاسلامية الأصلية .

ومرء الزمى ، وجاء عهد " ادعت أوروبا فيه أنها مصدر الديمقراطية ، وأن
الاستراكية من صنعها وأنها تقدمها هدية للمجتمع البشرى ، كما ادعت
العمل لالغاء الرق وتحرير الأرقاء ، ومنح المرأة حقوقها وساعد على
هذا الادعاء أن الشرق كان قد انتكس وبعث كثير من قادته عن الاسلام
وروحه ، فجاء هذا الادعاء للغرب أن يتغلب على العقول البسيطة التي
لا تعرف عمق الحضارة الاسلامية ولا أبعادها .

اعترافات الغربيين

أوردنا آخفا اعترافات Bulus و Hearnshow ونصف هنا مزيدا من هذه
الاعترافات :

يقول Gosiph Calmith فى اللقاءات بين المسلمين والأوربيين قديم
المسلمون عنصر التأثير والانتاح وتلقى العالم المسيحى الأثر والشكر .

ويقول العالم الفرنسى فورييل : ان الاجماع يعزوا الى العرب كل
ما كان سدا خليقا بالاعجاب فى الفنون والعلوم .

ويقول غوستاف لريون (١) : اخذ الغرب عن المسلمين أخلاق الفروسية
واحترام المرأة ، واذن فلبست المسيحية كما يظن بعض الناس فى الغرب
هى التى أنصفت المرأة بل الاسلام . ومع هذا فان استفادة الصليبيين من
علوم العرب كالب أقل مما يجب ، ويعمل ذلك بقوله : ان الجيوش الصليبية
كانت جاهلة ، ولم تكن تبالي بالمعارف ، ومن أجل هذا كانت عنايتها أكثر
فى ميدان البناء والعمارة والصناعة أكثر منها فى ميدان الفكر والفن .

ويقول أناتول فرانس : ان أشأم يوم فى التاريخ هو يوم معركة
بواتيه فى فرنسا حين تفهقرت العلوم والفنون والحضارة الاسلامية أمام
بربرية الفرنجسة .

(١) حضارة الإسلام ، ص ٣٣٨ .

ويقول Kirk (١) : ان للحروب الصليبية أهمية لا تقدر في تاريخ الثقافة بأوروبا ، بسبب ما كان لها من عظيم الأثر في تفتيح أذهان الناس الى مستوى الحضارة في الشرق الأوسط ، ذلك المستوى الذي كان يفوق حضارة الغرب بكثير ، ولم تفيد بلاد شرق البحر المتوسط من معارك الصليبيين شيئاً يذكر اللهم إلا في بعض المنشآت والخطط الحربية .

ويقدر Emerton (٢) ان الثقافة التي حصل عليها الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من الحياة البربرية ودفعتهم قدماً الى عالم الحضارة ، وكان الأوروبيون يسمعون من القسس أشياء كثيرة عن المسلمين ، ولكن هاهم المسلمون أصبحوا في مرأى العين بالنسبة للصليبيين ، فوجدوا فيهم انسانية عالية ، وشرفاً وشجاعة ، ووفاء بالوعد ، وغير ذلك من الصفات التي لم يكونوا يسمعون بها وهم في ديارهم ، وقد ساعد ذلك على تكوين الناحية الانسانية في الأوروبيين ، ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم .

ويقول الدكتور فيليب حتى (٣) : ان الفرنجة تأثروا كثيراً بجيرانهم المسلمين في اللباس ، فقد أقلعوا عن لباسهم الأوربي وتعلقوا بالأزياء الشرقية التي كانت أدعى الى الراحة ، واكتسبوا شيئاً من الذوق الشرقي في الأطعمة والأغذية ، وآثروا لسكناتهم البيوت الشرقية الطراز .

وبقول Richard Coke (٤) : ان أوروبا لتدين بالنسبة الكثير لأسبانيا العربية فلقد كانت قرطبة سراجاً وهاجاً للعلم والمدنية في فترة كانت عواصم أوروبا خلالها لا تزال ترزح تحت وطأة القذارة والبداية ، وقد

A short History of the Middle East p. 71. (١)

Mediaeval Europe p. 393. (٢)

History of the Arabs p. 781. (٣)

The City of Peace. (٤)

هيا الحكم الاسلامى لاسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة في أوربا التي
أفلتت من عصور الظلام .

ويقول Gource Sarton : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر
في القرون الوسطى ، وكانت اللغة العربية أعظم اللغات خلال هذه
العصور فلقد كتبت بها المؤلفات القيمة غزيرة المادة شديدة الأصالة ،
وكان علي أي باحث يريد أن يلم بنقافة العصر أن يتعلم اللغة العربية ،
وقد فعل ذلك كثيرون من غير العرب (١) .

ويقول لبرى : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة
أوربا الثقافية عدة قرون (٢) .

محطات إرسال :

ويتحدث أرنولد توينبى عن جوانب الحضارة التي اقتبسها الغرب
من المسلمين ، فبشرز مجال القيم في الحروب التي لم يكن الغرب يعرفها
ويعزز الأخيلة الفنية في الشعر ، وطرأ الأبنية ، ولكنه يعطى مزيدا من
الاهتمام للاقتباس الفكرى ، فيقول :

رفى عالم المسر كاس فنوحات الصليبيين المرقوتة في الشام ،
ومذوحاتهم الدائمة في صقلية والأندلس محطات إرسال متعددة أمكن
عن طريقها نقل كنوز عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحي الغربى ،
وفي مقدمة ما نقله الغرب التسامح الدينى والعلوم الانسانية التي
أسرّت قلوب الغربيين ، ولم يستطع الغرب أن يهضم كل ما كان لدى
الشرق من قيم ونظم (٣) .

(١) نالا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر .

(٢) نالا عن حضارة الاسلام للدكتور جلال مظهر .

(٣) حضارة الاسلام في دراسة توينبى التاريخ للأستاذ نؤاد محمد شبل

أشعة مهمة من الحضارة الإسلامية

هذه الحضارة الإسلامية التي تدارسناها بآبار والتي سنتدارسها بالتفصيل في الأجزاء التالية من موسوعة الحضارة الإسلامية ، لها جوانب مضيئة وأتسعه خلاقة لهداية الإنسان في حياته . وينبغي إبرازها هنا حتى نزيل لبسا قد ينع فيه الاسار أو حديعة قد يصبها لبى الإنسان مواهب الأذكىاء أو مدعو الذكاء . ولعلنا بذلك نحمل الناس من اللبس أو الخديعة ، ونوفر على الأذكىاء أو مدعى الذكاء محاولاتهم :

أولا - الحضارة الإسلامية هي هبة الاسلام لهداية البشرية :

ان المتتبع لجوانب الحضارة الإسلامية يدرك أنها جاءت لخدمة الجنس البشرى كله ، فهي ترسم في مجالات السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وغيرها أوضح طريق لسعادة الناس على اختلاف عقائدهم وأديانهم ، ثم إن بعض جوانب هذه الحضارة وهو جانب الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك والموسيقى قد أسهم غير المسلمين في تطويره بقسط كبير ومن هؤلاء جورجيس بن بختيشوع (٧٧١م) وابنه بختيشوع بن جورجيس (٨٠١م) وجبريل تلميذ بختيشوع (٨٠٦م) ، ويوحنا بن ماسويه (٨٥٧م تقريبا) وحنين بن اسحق (٨٧٣م) ، وقد عمل هؤلاء في الترجمة بتشجيع الخليفة المسلم ورعايته ، وأصبح الأخيران بالقرالى رئيسين لبيت الحكمة في عهد المأمون .

وكانت محاضرات الحضارة الإسلامية تلقى علينا بجامعة لندن وكمبردج وكان الطلاب يتبعون ديانات مختلفة ، وطالما كانت هذه الحضارة تلاقى في نفوس الطلاب كل اعجاب وتقدير .

ثم اننا رأينا أن الحضارة الإسلامية انتقلت من العالم الاسلامى الى الهند والصين وأوروبا ، ثم من أوروبا الى العالم كله ، وأسهمت بنصيب كبير في خلق ما يعرف بعصر النهضة .

ثانياً — هدف الحضارة بقسميها إسعاد الانسان :

يتضح من الدراسة السابقة شيء مهم هو أن هدف الحضارة الأصلية والتجريبية إسعاد الانسان فالسياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية و... والطب والهندسة... ترمى كلها لرفع شأن الانسان وتقديم مستلزماته ، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة مؤكداً أن الانسان أهم ما خلق الله في الكون ، وأن الله سخر له باقى المخلوقات . قال تعالى :

— ولقد كرّمنا بنى آدم (١) .

— وجعلكم خلفاء الأرض (٢) .

— وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره . وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار (٣) .

— ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (٤) .

وعنى هذا فالدولة عندما تقيم مصانع أو تفتح بالزراع... فإن ذلك نوع من العناية بالانسان ويجب أن يكون الانسان أول ما تعنى به ، ولا فائدة من أى شيء إذا كان الانسان محروماً من حقوقه ومن الاستمتاع بالمباح بهذا التقدم .

وقد كتب أحدهم مرة يقول عن جمال عبد الناصر ان له مآثر كبيرة فى حياة المصريين والعرب ، وهذه ترجع ما أنزله من تعذيب بحوالى عشرين ألف شخص ، ولست هنا أناغنى مآثر عبد الناصر ، ولكنى أقول أن تعذيب شخص واحد ظلماً ، يفوق كل اصلاح ويقضى على كل تقدم على فرض

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) سورة النمل ، الآية ٦٢ .

(٣) سورة ابراهيم ، الآية ٣٢ .

(٤) سورة لقمان ، الآية ٢٠ .

محدثه * ان الانسان يجب أن يكون هو الذى توجه له الإنسانية قبل كل شئ
ومع كل شئ ، ولا فائدة فى الاصلاح اذا لم يكن لخدمة الانسان »

وهذه الكلمات تكتب عقب عودة سيناء الكاملة لمصر فى ٢٥/٤/١٩٨٢
وقد رأيت فرح المصريين بهذه المناسبة وفرحت معهم ، ولكنى كت دائما أقول
ان فرحنا يتضاعف عندما نؤتم بالانسان فى سيناء وفى القاهرة وفى كل ركن
من أركان البلاد *

ثالثا - السياسة هى المسيطرة والتوجيه بالمسؤولية من كل المسئولين :

يقول الرسول الله عليه وسلم « صنفان من أمتى اذا صنحا صلح
الناس واذا فسد فسد الناس : العلماء والأمرء » ونستطيع بادئ دى
بدء أن نقرر أن الأمرء بالعالم الاسلامى قضوا على نفوذ العلماء منذ آمد
نويل بوسائل متعددة ، فأصبح العلماء بين معزول عن الحياة أو سائر فى
ركاب الحاكم ، وعلى هذا أصبح ولئ الأمر هو وحده المسئول عن كل
الشئون *

وطالما انتقدنا هزيمة فى موقعة حربية ، ولكن الضابط المشرف على
المعركة يصرخ فينا بأن المعركة كانت تعليمات سياسية دون استشارة
الحسريين ، وطالما انتقدنا نظاما تعليمية ولكن وزير التعليم يقول ان هذه
النظم سياسة الدولة ، وليس على وزارة التعليم الا التنفيذ ، وهكذا *
ومثل هذا يقال عن فشل الاقتصاد والحياة الاجتماعية وغيرها من
المؤسسات والنظم *

وقد استمعت منذ فترة قصيرة لحديث بالتليفزيون ألقاه الدكتور
عبد المنعم القيسونى الذى كان وزيرا للمالية والاقتصاد فى عهد عبد الناصر
وفيه قال إنه فوجئ بتأميم قناة السويس وكانت أرصدتنا مكددة فى بنوك
انجلترا وفرنسا وكان يدرك أن الدولتين مستجمدان هذه الأرصدة ولكن لم يكن
عنده وقت يستطيع فيه أن يحوّل هذه الأرصدة من هاتين الدولتين * *

وقال انه فوجيء كذلك بحرب اليمن والتزاماتها الخطيرة كما فوجيء بأن
رئيس الدولة قرر مساعدة الكونغو عسكريا .. وكل هذا دمر الاقتصاد
المصرى والمسئول هو ولى الأمر •

ولذلك نريد أن نؤكد أنه فى عالمنا الذى يدار بكلمة الرئيس يعتبر هو
المسئول أمام كل فشل فى أية ناحية من نواحي الحياة •

ومسئولية ولى الأمر يقررها الرسول صلوات الله عليه فى خطابه ليرقل
الذى دعاه به الى الاسلام حيث قال له : أَسْلِمَ تسلم يؤتلك الله أجرك
مرتين ، فان توليت فعليك اسم من عندك •

فالرسول يقرر ان اسلام هرقل له حستان حنة لإسلامه وحسنة
لإسلام أتباعه ، وعصيان هرقل عليه ذنبان ، ذنب على نفسه وذنب بسبب
قومه • وليت ولادة الأمور يعرفون ذلك •

على أننا ينبغي أن نذكر أن العصابة التى تحيط بالدكتاتور والتى تصفق
لكل أعماله وتترين له الانفراد بالسلطة مسئولة معه أمام الله وأمام الناس •

رابعا - الشورى فى الاسلام هى الشورى الحقيقية :

لقد ذكرنا أن الاسلام قدم الشورى للمجتمع البشرى لتكون الوسيلة
لاخذ القرار ، وأصبحت كلمة الشورى بعد ذلك كلمة ضرورية فى جميع النظم
حتى النظم التى نكره السرورى وتنتج للاستبداد ، فمثل هذه النظم تستعمل
الكلمة أيضا ولكن فى غير مدلولها • فكل دولة فى الشرق أو الغرب تسمى
حسبها ديمقراطية ، بل أن الدول الاستبدادية أكثر حرصا على استعمال هذه
الكلمة من الدول التى تنتج حقا للحياة الديمقراطية •

وما أبشع ما نعرف عن سرقة الأصوات فى الانتخابات أو الاستفتاءات
ولكن العمى بصيب المسند فيخيل إليه أنه يجب الشورى ويعمل لها ، وفى
أفكار العرب والمسلمين مجالس ولكن لا أرى لها ، وهى تمثل أقليات حزيلة
فى الأمة ، ولها تستبد بمقرراته •

والعجيب أن وزارة الداخلية التي تعد مسئولة عن الأمن والمحافظة على الأموال والأعراض هي التي ترتكب وزر تزيف الانتخابات والاستفتاءات فتصبح المسألة كما يقول المل العامي « حاميها حراميها » ونقول لهؤلاء في كل مكان ان سرقة الأصوات أبشع من سرفه الأمراء وللعلم يفهمون *

وفي العهد مجلس لاجراء الانتخابات في كل خطواتها ، وأعضاؤه مستقلون تماما ، وليس من حق الحكومة أن تعزل أى عضو فيه أو تعيد عضوا ، بل يتولى المجلس نفسه ذلك ، وقد أجرى هذا المجلس الانتخابات في عهد انديرا غاندى فرسبت فيها ، وأجراها في عهد أعدائها فنجحت وعادة للحكم • ليتنا في البلاد العربية والإسلامية نتعلم هذه المنل الطيبة •

خامسا - الديمقراطية لها معنى واحد :

كلمة ديمقراطية هي الكلمة المستعملة دوليا للدلالة على الشورى وهذه الكلمة مركبة من كلمتين يونانيتين : ديموس (أى الشعب) وكراتوس (أى الحكومة) ومعناها : حكومة الشعب للشعب ، وطبيعتها أن تمثل الحكومة غالبية الشعب ، فالشعب يختار ممثليه طبقا لأحزاب أو تجمعات مختلفة ، والحزب الذى يحصل على غالبية الأصوات يكون الحكومة التى تقوم بالتنفيذ ، وممثلو الشعب يكونون السلطة التشريعية •

وليس هناك معنى آخر للديمقراطية ، إلا ما يخطر ببال بعض المستبدين من معان زائفة فيصُدِّرونها بين سخط الناس وسخريتهم فبعض هؤلاء المستبدين يرى أن الديمقراطية هي رغبة الخبز ، وتوفير الطعام ، وبعضهم يرى أن الديمقراطية هي تعيين الخريجن أو تعيين المجالس ، وتلك معان ساذجة ان دلت على تىء ، فانما تدل على الجهل والاستبداد ، ان الديمقراطية لها معنى واحد هو حكم الشعب لصالح الشعب ، وعلى الذين يكرهون هذا المعنى ألا يتمسَّحوا في هذه الكلمة ، وأن تكون فيهم الشجاعة التى تدفعهم لاعلان أنهم مستبدون •

الاسلام من دين منطوري ، كيف ؟ :

يقول المفكرور المسلمون دائما : ان الاسلام دين كل زمان ومكان ،
وإنه منطور ابدا ، الزمان والمكان ، وهذا يدعوننا أن نشرح قضية المنطور
وموقف الاسلام منها .

و في تقديرى أن موقف الاسلام من المنطور يدرج تحت ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

أشياء داللة لكل زمان ومكان ، وهذه جاءت مفصلة في التشريع
الادنى ، وهي «تطور» بذاتها ، لا تحتاج الى مزيد من المنطور مهما
اختلف الزمان والمكان ، وذلك مثل نظام الميراث فقد عبر ذلك النظام الفزون
تطور القرون ، وعبر من قبل الى قطر ومن قارة الى قارة ، وهو مناسب لكل
البشر في كل المنطور دون أية حاجة الى نوع من التمدل ، ومثله كذلك
الامام في الزواج والحضانة وغيرها من الأمور ، سبحانه الله المشرع
المنظيم .

النوع الثاني :

أشياء ليس فيها إطاراً خاصاً ويمكن أن تتطور في مجال هذا
الإطار ، وهذا ذلك المنطوري التي ألزم الاسلام أن يقوم الحكم في
المجال ، ولكن يمكن تطوير المنطوري بحسب الزمان والمكان ، فهل تكون
بمجلس واحد ، أو بمجلسين ؟ وهل تكون بممثلين عن المناطق المختلفة في
البلاد ؟ أو بممثلين عن نوع العمل كالنقابات ؟ ، وما طريقة الاختيار
والانتخاب ؟ وما المادة التي يبقى هؤلاء الممثلون يباشرون أعمالهم قبل أن
يبدأوا المناقشة والاختيار ؟ ومثل المنطوري كذلك الملابس ، فالاسلام قد
حدد العورة التي يجب أن تغطى ، وهي في الرجل من الشرة الى الركبة
عند الامام المنافعى وهي في المرأة جميع جسمها الا الوجه والكتفين على
رأى المنطوري . لا يجوز للرجال لبس الحرير . ذلك هو المنطق الذي

وضعه الاسلام للملابس ، وفي هذا الاطار يكون التطور فيلبس الفطن أو
انصوف ، أو الحرير للمرأة ، ويكون جلبابا أو بذلة أو جبة وقفطانا ...

وتدخل الحدود في هذا النوع ، فقطع اليد هو حد السرقة ، ولكن
ما النصاب الذي تقطع فيه اليد ، وما السبهاة التي تمنع التقطع كسرقة
الولد من أبيه ، وهل يراعى البلوغ (١٤ سنة تقريبا) أو الرشد (٢١ سنة) ؟
وماذا عن الظروف الاقتصادية الخاصة بالسارق أو العامة عند المجاعات ...

كل هذه الأشياء يجب على الباحثين دراستها حتى يمكن تنفيذ
الحدود الاسلامية .

النوع الثالث :

تركه الاسلام مطلقا لتتم فيه كل اتجاهات التطور لخدمة البشرية
وذلك كالزراعة والصناعة ووسائل النقل والتجارة ، فليس هناك ما يحكم
هذه الأعمال الا الطابع العام بحيث لا يوجد ربا في المعاملات وألا تتجه
الصناعة للتدمير ، أو لصناعة المحرمات وهكذا .

سابعا - مجانية التعليم بريق كاذب :

قلنا ان الاسلام فتح الباب لكل الناس ليرتشفوا من العلم وكان
قبل الاسلام خاصا بالكنيسة ، وانتشر هذا التفكير ففتحت المدارس للجميع
في العالم كله ، وسار العالم الاسلامي في هذا المضمار ولكن مسيرته كانت
عرجاء ، ففي أكثر العالم الاسلامي أمية مخجلة واسعة الانتشار ، وهي
للأسف تصل في مصر الى ٥٨٪ من عدد الذين يلزم أن ينالوا العلم ، وفي
وسط هذا العيب الخطير نجد في مصر اثنتي عشرة جامعة وهئات من
الكليات ، يلتحق بها كثيرا طلاب لا يصل مستواهم الى المستوى الجامعي ،
وكان على هؤلاء أن يوجهوا الى الحرف والأعمال الشفوية ، وأن تبقى
الجامعات للأفذاذ ، وقد وضع الامام الغزالي قاعدة مهمة لتكافؤ الفرص

في التعليم نصها : ليس الظلم في اعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق (١) . فيجب ألا يحرم أحد من التعليم الابتدائي حتى يعرف القراءة والكتابة ومبادئ العلوم ، ثم يتجه الى العلم أو الحرفة حسب استعداده وتكوينه ، فليس كل واحد يصلح لتعلم العلوم (٢) .

ومن تجربتي كأستاذ في جامعة القاهرة أقرر أن آلاف من الطلاب الذين يجلسون أمامي بالجامعة كان أجدر بهم وأنفع لهم وللوطن لو أنجبوا الى الزراعة والصناعة بأنواعها .

وبمناسبة الحديث عن مجانية التعليم في مصر أقرر أن هذا قرار زائف ، فأهالي التلاميذ يدفعون الآن للدروس الخاصة أضعاف ما كانوا يتحملون قبل مجانية التعليم ، ولا يوجد بيت الا والدروس الخاصة تغزوه ، مما نقل نشاط التعليم من المدارس الى المنازل ، وأصبح أولياء الأمور يديرون مدارس في بيوتهم .

وبسبب تكديس الطلاب في الجامعات وتكدس الموظفين في المكاتب ظهرت في مصر مشكلة نقص العمالة ، ومن العجيب أننا أصبحنا نستورد عمالاً من كوريا أو فيتنام ، وفي نفس الوقت ننادى بتنظيم النسل لازدياد تعدادنا من حين الى آخر ازديادا خطيرا .

انها معادلة صعبة أن نشكو كثرة العدد من جانب وقلة العمالة من جانب آخر والحل لهذه المعادلة موجود في يد وزارة التعليم أو في يد ولي الأمر الذي يتباهى بالزيف في تضيية مجانية التعليم .

هذا وهناك أمية خطيرة محجبة هي التي نسميها « الأمية الفكرية » فالآلاف ممن يعرفون القراءة والكتابة لا يستعمون هذه المعرفة فيما يرفع شأنهم الثقافي ، وذلك نوع خطير من الأمية يتحتم أن نعرف الطريق لعلاجها .

(١) الاحياء ج ١ ، ص ٤٧ .

(٢) ر. ب. ب. الأنصاري : اللؤلؤ التنظيم في روم التعليم ، ص ٥ .

وأيضا فليس الطمء في المارس فقط فالصناعات أنواع من المهارات والثقافات والمعلومات لا يستغنى عنها مجتمع يتطلع الى النجاح .

ثامنا - اللامبالاة :

من الأمراض المنتشرة في العالم الاسلامي مرض يسمى « اللامبالاة » وهو مرض يترمى به كثير من السكّان لأنهم لا يهتمون بسير الأمور في بلادهم ، ولا بالتطور الحضاري فيها . وهذا المرض موجود فعلا ، ولكن ولادة الأمور هم الذين زرعه ، لأن ولادة الأمور عاقبوا بصف من يعترض على شيء ، أو يبدى رغبة ضد رغبة ولادة الأمور ، وأكبر دليل على أن « المبالاة » بل الحماسة موجودة أن ولادة الأمور في العالم الاسلامي وجهوا الناس الى الاهتمام بكرة القدم ، وخصصوا لذلك صفحات من الصحف اليومية وساعات من الاذاعة المسموعة والمرئية ، فاهتم الناس بكرة القدم وتعصبوا لها ومنحوها أكثر جدا مما تستحقه من عناية .

ان اللامبالاة شيء زرعه ولادة الأمور الذين يميلون الى الاستبداد ويخافون الرأي المخالف لرأيهم .

لماذا انعكس المسلمون بعد نهضتهم

رأينا المسلمين يهتمون بالحضارة الأصلية والحضارة التجريبية ،
ويصبحون كعبة التقدم في العالم ، فلماذا تراجعوا عقب ذلك ؟

الاحاطة عن هذا السؤال تتدرج تحت سببين :

١ - سبب سياسي هو أن الحروب الصليبية دارت في أرضنا مدة مرمية تقريبا . وقد انصرفت فيها في النهاية ، ولكنها تركت بأرضنا صورا من الدمار والانهيار ، وقد دعت الحروب الصليبية الى جلب كثيرون من المماليك في أواخر الدولة الأيوبية ، وقد استطاع هؤلاء أن يفتقروا الى السلطة ، ولم يكن لأكثرهم فكر يسمح لهم أن يقودوا البلاد بحكمة وبخاصة في وقت احتاجت فيه البلاد الى التشييد والتعمير بعد الانتصار ، شازدادت البلاد تخلفا ، وعندما كان المماليك يتولون السلطة في مصر والشام كان المغول يتولون السلطة في العراق وفي أكثر البلاد الواقعة الى الشرق منه ، وقد مثل هؤلاء دور التخلف الذي مثله المماليك في مصر والشام ، وجاء العثمانيون بعد المماليك في أكثر بلدان العالم العربي . ولم تكن لهم كفاءة لسعدوا مجد الاسلام ، ثم ان حروبا صليبية طاحنة قامت ضد العثمانيين وقوّضت امبراطوريتهم . وأسلم الأتراك البلاد العربية الى الاستعمار الأوربي الذي أكمل الشوط في النيل من الاسلام والمسلمين .

٢ - وسبب فكري أدّى الى هذا التخلف ويمكن أن يقال انه ناتج عن الاضطراب السياسي ، فقد حدث في وسط هذا الظلام ، أن المسلمين بعدوا عن الخط الصحيح الذي رسمه لهم الاسلام ، وانحرفوا بدينهم وعقيدتهم في كثير من الأحوال ، وتركوا أمور الدنيا ، مع أن الله حثهم على العمل بها بحد ، وكذلك حثهم الرسول ، قال تعالى : « ... فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (١) وقال

(١) سورة الجمعة ، الآية العاشرة :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (١)
 وقال « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » (٢) .

وقال عليه السلام : أنتم أعلم بشئون دينكم ، وقال : المؤمن القوى
 خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

وفي حين ترك المسلمون أمور الدنيا اهتموا بالبحث في العقيدة والتشريع
 فأختلفوا الى فرق ومذاهب شتى وحارب بعضهم بعضاً .

وأصبح هناك أى شاب مهما كان ضحل الثقافة يرى رأياً يعتقد أنه
 هو الرأى الصواب ولا صواب سواه ، وهناك جماعات ركزوا على قضية
 اسلامية كتربية اللحية مثلاً ثم نسوا كل الآداب والأفكار الاسلامية فلا
 يتكلمون عن الغيبة والرشوة ، وإنما كل تركيزهم فى إطلاق اللحية .

أما الأوروبيون فقد التقطوا ابتكارات المسلمين وتطوروا بها لدرجة
 عظيمة ، ولم يكن للغربيين عقيدة يهتمون بها ، فقد فُصل الدين عن الدولة
 فاتجه علماء الغرب بكل طاقاتهم الى تطوير شئون الدنيا ونجحوا فى ذلك
 نجاحاً كبيراً .

هل نتمنى أن نكون كالغرب فننصرف عن العقيدة والتشريع الى
 أعمال الدنيا ؟ .

بعض الناس يعجبه هذا الاتجاه ويتمناه ، ولكن هذا خطأ كبير ،
 فالمدينة بدون دين وأخلاق تدمر أكثر مما تبنى ، تهدد العالم بالفناء وتتركه
 قبل الفناء يعيش فى خوف ووجل ، مئات الملايين من الجنيات كان يمكن
 أن تسعد البشر ، ولكنها بدلاً من ذلك تُنفق لإنتاج القنابل الذرية
 والهيدروجينية التى تعد للقضاء على البشر ، وكل ذلك لأن هذه المدينة ملحدة ،

(١) سورة القصص ، الآية ٧٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٥ .

مدنيّة بُنيت على نظام اقتصادي بحت ، فأباحت للانسان أن يقتل الانسان ، وأن يستعمر أرضه ، ويذل أصحاب الأرض ، ويثجيعهم ، ليحصل على ما عندهم من ثروات ، وكل ذلك لأن هذه المدنية لم يدخلها عنصر الأخلاق ولا عنصر الايمان ، وهي لذلك سراب يضيء ولكنه ضوء خداع .

والطريق الحق لخير الانسانية أن ينمو انطلم في جو أخلاقي روحي حتى يمكن أن يكون وسيلة لإسعاد البشر ، أن نهضة العالم جاءت على يد الاسلام ، وعلى يد الاسلام أيضا لابد أن تتجدد النهضة المرتقبة التي ترعى شؤون الدنيا وتسير في ضوء الدين ، فإن الضمير الذي وصل المسلمون اليه لم يكن بسبب الدين ، ولكنه كان بسبب البعد عن الدين .

والطريق السريع أن نبدأ حالا في تصحيح أنفسنا ، نقبل عقيدة الاسلام في جمالها ويشهرها ، ونتبع التشريع الإسلامي في دقته ، على أن ندخل تعديلا سريعا في مناهج الكليات والمعاهد بأن ندخل العلوم المهمة مثل مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية ونصحح العلوم الإسلامية الأخرى ، وفي الوقت نفسه نتجه الى الدنيا لنعمّر ونشيد ولنعمل لترقية الحياة بكل أساليبها متتبعين في ذلك أخلاق الإسلام التي تحارب الرشوة ، وتحارب الكسل ، وتحارب الأنانية ، وتحث على الجد وعلى الحب والتعاون .



أمل في المستقبل :

فاذا نحن فعلنا ذلك أبرزنا حقيقة يقوم بعض الجدك حولها أحيانا ، وهي أن الاسلام دين الرقي والمدنية ، ودين كل زمان ومكان ، وملاذ البشرية الواسع ، وسط الصراع الذي يشدها الى اليمين أو اليسار ، الى الرجعية أو الانحلال .

ولعل George Sarton : كان يتنبأ بذلك عندما عدد مرات التفوق العربى
فى الماضى وتطلع الى دور جديد من تفوقهم فى المستقبل ، استمع اليه
يقبول :

سبق للعرب ان قادوا العالم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم
الانسانى ، استمرت الاولى طوال ألفى سنة على الاقل قبل أيام اليونان ،
وعاشت الثانية طوال أربعة قرون تقريباً خلال العصور الوسطى ، وليس
ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل
القريب أو البعيد .

تلك لحظة سريعة عن الحضارة الاسلامية ، أصولها وآثارها ، وهذه
اللحظة ليست بطبيعة الحال شاملة ولا كافية ، وكل ما يرجى منها أن تفتح
الطريق للقارئ ليطلع على أفانين هذه الحضارة واتجاهاتها فى هذه
الموسوعة (موسوعة الحضارة الاسلامية) وليحاول أن يجعل من
هذه الحضارة فى المستقبل دعامة رقى كما كانت عبر العصور فى الشرق
والغرب .

برنامج شامل

والآن نريد أن نصرخ صرخة حق نتعجل بها ما يبدو أنه سيحدث قطعاً
فى المستقبل ، فمن الواضح أن الحضارة الاسلامية ثروة فكرية هائلة ،
وقد أهملها الباحثون فترة طويلة من الزمن حتى اختفت أو كادت (١) ،
وبدا ما يدرس منها باهتا ضئيلاً ، واتجه الاهتمام الى الفروض والتفاصيل
فى العبادات مع أن الاسلام دين الدنيا والآخرة ، ومع أن الحضارة
الاسلامية هى التى تبرز ما قدمه الإسلام من خير للمجتمع البشرى ، ومن

(١) سنوضح فيما بعد بهذا الكتاب « تاريخ المناهج الاسلامية » الظروف
التي جعلت علم الحضارة الاسلامية يخفى مع انه كان من أهم العلوم فى
صدر الاسلام .

أجل هذا نهيب بالباحثين والمسؤولين أن يهتموا بهذه الحضارة ونقترح التخطيط التالى لذلك :

أولاً : تصبح الحضارة الاسلامية بكل جوانبها سياسية واقتصادية واجتماعية ... علما مهما بكل الكليات الاسلامية وكليات الآداب وما شابههما ، وأن يعمل الباحثون دائما على اثرء الدراسات عن الحضارة الاسلامية ، ويشرفنى أننى بدأت هذه الجولة فألفت فى هذه الحضارة موسوعة من عشرة مجلدات •

وكذلك تصبح الحضارة الاسلامية مادة أولى فى المعاهد التى تتعدى الديبلوماسية المسلمين ورجال الإعلام ، وتعدّ موظفى العلاقات العامة حتى يستطيع هذا وذلك فى هذه المواقع الخطيرة أن يعرفوا بالإسلام ويتحدث عنه •

ثانيا : يتقدّم موجز سريع عن الحضارة الإسلامية كلها للطلبة فى الكليات الأخرى كالطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها ، ومع هذا الموجز يقدم من الحضارة الإسلامية جانب تفصيلى هو ما يرتبط بكل كلية على حدة كما يلى ۞

(أ) يصبح النهج الاسلامى فى شئون السياسة والحكم مادة مهمة فى كليات العلوم السياسية ، ومن العيب أن ندرس المذاهب المختلفة بهذه الكليات بما فى ذلك المذاهب الهدامة كالنازية أو الفاشية ، وأن يتجاهل الأساتذة ويجهل الطلاب ما قدمه الاسلام من فكر رائع فى مجال السياسة ، ذلك الفكر الذى أقام ويمكن أن يقيم حكما على أسمى الأسس وأنفعها للمجتمع الانسانى •

(ب) يصبح المنهج الاقتصادى الاسلامى مادة رئيسية بكل كليات التجارة والاقتصاد ، ومن العيب ان ندرس فى هذه الكليات النظريات الاقتصادية حتى تلك التى اتضح فشلها كالشيوعية ، ونتجاهل النهج الاسلامى الذى قام على أساسة يوما ما مجتمع سليم متعاون ناجح •

(ج) تصبح التربية الإسلامية مادة رئيسية بكل كليات التربية ومعاهدها ، وكفى ذلك الزمن الذي مر وكانت العناية فيه توجه لدراسة التربية الاغريقية والانجليزية *** دون أن نتعرف على التربية الإسلامية التي أثامت عالما من المعرفة في وقت كان الآخرون لا يكتبون أسماءهم •

(د) تصح الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي مادة رئيسية بكل معاهد الخدمة الاجتماعية ، فان ذلك سيقدم للطالب ثروة هائلة في مجال تخصصه عن الأسرة والمجتمع •

(هـ) يصبح نهج الاسلام في العلاقات الدولية مادة مهمة في كل الكليات العسكرية وكليات القانون والحقوق بالعالم الاسلامي ، فهذه الدراسة ستقدم للطالب المسلم نهجا رائعا يضمن له خير الدنيا والآخرة في مجال العلاقات بين الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية •

(و) تصبح النظم القضائية في الاسلام بما في ذلك الحسبة والنظر في المظالم مادة رئيسية في كليات الحقوق والقانون والشرطة ، ولا شك أن الفكر الاسلامي في هذا المجال وضع أسسا سامية لا يزال العالم يقتبس منها حتى اليوم •

ثالثا : أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قاموا بدور عظيم في الحضارة التجريبية ، فقد أنقذوا تراث الحضارات القديمة ، وكان هذا التراث على وشك أن يضيع في ظلام العصور الوسطى ، ثم ترجموا هذا التراث الى اللغة العربية وراحوا يتدارسونه ويضيفون اليه ويبتكرون حوله ابتكارات عظيمة في مختلف العلوم ، وعلى هذا يبسندوا واضحا لكل باحث في الطب والعلوم ، كيف كان الغرب والعالم كله تلاميذ للمسلمين فيها •

ومن أجل هذا ينبغي أن يتعرف طلاب الكليات العملية بالبلاد الإسلامية على جهود المسلمين في هذه الدراسات وأن يتعرفوا على الأسماء

اللامعة التي يمكن القول إن الطلاب الغربيين يعرفون عنها أكثر مما يعرف الطلاب المسلمون ، مثل :

- ١ — في الطب والصيدلة : الرازي ، علي بن العباس ، الزهاري ، ابن رشد ، ابن سينا ، ابن زهر .
- ٢ — في العلوم : جابر بن حيان ، الرازي ، الكندي ، ابن الهيثم .
- ٣ — في الرياضة : عمر الخيام ، الخوارزمي ، الخازن ، جابر .
- ٤ — في الفلك : الفزاري ، البيروني ، البتاني .
- ٥ — في الموسيقى : سعيد بن مسجع ، ابن محرز ، الموصلي ، اخوان الصفا ، ابن باجه ، الطوسي .
- ٦ — في الجغرافيا : المقدسي ، الاصطخري ، الزرقالي ، الإدريسي .
- ٧ — في علم الاجتماع : ابن خلدون .

وفي كلمة موجزة نذكر أننا في مجال العلوم الانسانية تركنا تراثنا الرفيع ، ورحنا نقتبس مما لدى الآخرين ، وربما كان ذلك ممكناً في عهد ضعف المسلمين ، لأن المغلوب يحاول دائماً أن يقلد الغالب ، أما الآن فقد استعدنا الكثير من قوتنا ، وعلينا أن نتعرف على تراثنا ، وحضارتنا ، ونعتمد الى الحياة تلك القوة الهائلة التي طمسها الجهل عبر السنين .

تلك كلمة موجزة عن الحضارة الاسلامية الأصيلة ، حضارة الخلق والابداع والابتكار وكذلك عن الحضارة التجريبية ، حضارة البعث ، والإحياء وسنفضل القول فيها في الأجزاء التالية من موسوعة الحضارة الاسلامية ان شاء الله .

النظم والحضارة

شرحنا آنفا اتجاهي الحضارة الاسلامية فذكرنا أن حضارة الخلق هي الفكر الاسلامي الأصيل الذي لم يكن معروفا قبل الاسلام كراى الإسلام في السياسة والاقتصاد والتربية • وأن حضارة البعث هي تلك الحضارة التي عرفها العالم قبل الاسلام ، ثم خمدت ° وأعاد المسلمون إحياءها ، كالجهود التي قدمها المسلمون في الطب والرياضة والفلك وغيرها ، والحضارتان جميعا فكر ، سواء جاء هذا الفكر عن طريق القرآن الكريم وأحاديث الرسول ، أو جاء عن طريق العلماء المسلمين الذين بحثوا في الرياضيات والعلوم والفلك وغيرها •

أما النظم الاسلامية أو The Islamic Institutions فهي المؤسسات التي أقامها المسلمون لتطبيق الحضارة ووضعها موضع التنفيذ •

وعلى هذا فالحضارة فكر ، والنظم وسائل لتطبيق هذا الفكر • فرائى الاسلام في السياسة حضارة ، والمناصب المرتبطة بالسياسة والتي ابتدئها المسلمون لتطبيق الفكر الاسلامي ، نطُم ، كمنصب الخليفة والوزير والكاتب ، وما يتصل بها كالشرطة والحسبة •

ونهج الاسلام في الاقتصاد حضارة ، والمؤسسات التي اقترحها المسلمون لتطبيق هذا النهج نظم ، كبيت المال والدواوين ، ووسائل جمع الأموال وانفاقها •

وحث الاسلام على تعليم العلم وتعلمه ، وبيان فضل العلم وابرار مبادئ كثيرة فيه كتكافؤ الفرص ، وكالتعلم من المهد الى اللحد ، وكطلب العلم ولو في الصين كما جاء في الحديث الشريف ، والحث على تعليم المرأة • كل هذا وأمثاله من الفكر التربوي جوانب مهمة من الحضارة الاسلامية ، أما المؤسسات التي ابتكرها المسلمون لتحقيق هذه المبادئ فهي نطُم مثل

بناء المدارس والمعاهد وإقامة المكتبات ، ومثل الشهادات الدراسية والأوقاف على التطعيم •

والجهاد للدفاع عن الاسلام والذود عن المستضعفين من المسلمين ، والفكر الذى ابتكره الاسلام عن الأسرى حضارة • أما المؤسسات التى أقامها المسلمون لتحقيق هذه المبادئ فهى نظم ، كالحصون والقلاع والرباط ودور السلاح •

والمبادئ التى وصل لها المفكرون المسلمون فى مجال الطب مثل اكتشاف مرض الجدرى ومثل الطريقة التجريبية وطرق البحث العلمى ، وكذلك تلك المبادئ التى أعادوا بعثها للوجود ، وأضافوا عليها الكثير من فكرهم ، كل هذه حضارة فى مجال الطب ، أما المؤسسات التى أقامها المسلمون لتحقيق ذلك فهى نظم كالمستشفيات والكشف الدورى على المرضى فى السجون وعلاجهم ، وعزل بعض المرضى حتى لا ينتشر الوباء •

وهكذا يتضح الفرق بين النظم وبين الحضارة ، وينبغى أن نلاحظ أن بعض النظم عرفها العالم قبل الاسلام كمنصب الوزير وكالدواوين ، ولكن الاسلام أقام هذه النظم على أسس جديدة تتفق مع الاسلام واتجاهاته •

ويتضح من مطالعة أجزاء موسوعة النظم والحضارة الاسلامية أن كل جزء منها يحوى حضارة فى جانب ونظما فى هذا الجانب نفسه ، وسيرى القارئ ذلك فى ضوء هذا البيان •

الحضارة الإسلامية والفن

هناك استعمال واسع لكلمة فن ، وذلك كالحديث عن فن التربية وفن الحرب ، ولكننا نقصد هنا الفنون التي يقوم بها الانسان ليستثير عاطفة الجمال ، وهذه الفنون تشمل الموسيقى والتصوير والنحت ، وهناك من يضيف اليها الشعر والرقص والتمثيل والعمارة والزخرفة ، وقد تحدثنا في كتاب « الحياة الاجتماعية في الفكر الاسلامي » عن الموسيقى والغناء ، وانتبشنا عنهما وعن الرقص اقتباسات مهمة من كبار المفكرين المسلمين (١) وبخاصة من الامام الغزالي (٢) ونريد هنا أن نتحدث عن مكانة بعض الفنون الأخرى من الحضارة الإسلامية ، وبخاصة الفنون الجميلة كالتمثيل والنحت والشفون التطبيقية كالعمارة والزخرفة .

وأول ما نشير هو حكم الاسلام في التصوير والنحت . . .

وقد اتجه الفكر الاسلامي الى الاجماع على جواز تصوير ما ليس فيه روح كالزخرفة من أوراق الشجر ، والزخرفة بالكتابة وتصوير النباتات والجماد ، أما تصوير ما فيه روح أى الانسان والحيوان فلم يرد عنه في القرآن الكريم ما يجعله حراما ، وقد ورد في أحاديث الرسول ما يشير الى منعه ، فقد أنذر الرسول المصورين بأنهم سوف يكلفون يوم القيامة أن بنفخوا في صورهم المروح وليسوا بفاعلين (٣) .

ويتجه كثير من المفكرين الى أن ألغى ليس للحرمة بل للكراهية بدليل أن المسلمين ترخصوا على مر الزمان في تصوير ذوات الروح وتجسيدها (٤) .

(١) انظر الحياة الاجتماعية في الفكر الاسلامي للمؤلف ص ١٧٩ - ١٩١ .

(٢) انظر احياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٣) انظر « التصوير في الاسلام عند الفرس » للدكتور زكى حسن ص ١٩٠ .

(٤) دكتور عبد الوهاب عزام : تقديم الكتاب السابق ص (٢) .

وفي تقديري أن النهي عن تصوير الإنسان والحيوان ارتبط بحالة العرب قبل الإسلام إذ كان النحت عندهم متجها لغرض صناعة الأصنام والأوثان ، فأراد الرسول صلوات الله عليه أن يبعد المسلمين عن هذه الصناعة وما شابهها ، وأن ذلك على نسق نهيه عليه السلام عن زيارة القبور إذ كان بعض العرب يعبدون أرواح الآباء والأجداد ويحجون لقبورهم ، ويقدسون ما وضعوا عليها من حجارة ، فلما تمكن الإسلام من طوبهم ولم يعد هناك خوف من عبادة الآباء والأجداد ، سمح الرسول بزيارة القبور ، وقال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فالآن فزوروها » .

وربما يسأل سائل : لماذا لم يسمح الرسول بالتصوير على نحو ما سمح بزيارة القبور ؟ والاجابة أن زيارة القبور كانت فيها عظة ، وكانت ضرورية لأن المسلمين يشيعون الموتى من حين الى آخر فيجدون أنفسهم بين المقابر مما يجعل زيارة القبور قضية يشغلهم حلها ، وذلك ما لم يوجد في التصوير أو النحت .

وأرى من دراسة القرآن الكريم أن التصوير والرسم والنحت والتجسيم مباح لسببين :

أولهما : أن الله سبحانه وتعالى أذن للسيد المسيح أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، قال تعالى : « واذ نخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » (١) وهذا يدل على جواز أن نصنع من الطين أو من مادة مماثلة تجسيدا لحيوان أو طائر أو ما مثلهما .

ثانيهما : أن القرآن الكريم حافل بالصور الفكرية التي تمثل بالكلمة الحقيقة أحداثا يحسها الإنسان أنها يمكن أن تصوّر وتجسد مزيدا للعظمة والفهم ، وقد أسماها الأستاذ سيد قطب فنونا في كتابه « التصوير الفني

في القرآن» وأورد منها نماذج كثيرة ، وعلقَ عليها بأنها تحوى مثلاً من الجمال الفني (١) .

ومن الصور الفنية رائعة الجمال التى وردت في القرآن الكريم قوله تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة ، أصابها وابل ، فأنت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل قُطِلَ » (٢) فهذه صورة يمكن أن ترسم بقلم صناع وان كانت أفلام الرسم تعجز عن الوصول الى الغاية التى وصلت لها كلمات القرآن الكريم ، ولا شك أن هذه الآيات تخلق في الذهن صورة مجسدة لهذه الجنة ...

ومن هذه الصور قوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » (٣) . وقوله تعالى « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » (٤) .

وقوله تعالى في تصوير حال المسلمين في غزوة الخندق « اذ جاءوكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زأغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » (٥) .

وعن مشاهد يوم القيامة يورد القرآن الكريم صورة معبرة خطيرة قال تعالى « ان زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » (٦) .

(١) التصوير الفني في القرآن ، ص ٢١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٣١ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية العاشرة .

(٦) سورة الحج ، الآية الثانية .

وصور أخرى كثيرة وردت في القرآن الكريم لا تقوى ريشة على إبرازها • وقد صورتها الكلمة أروع تصوير ، وخلقت في الذهن صورة لها ، وإذا كانت قد خلقت في الذهن صورة فليس هناك ما يمنع أن تصور هذه الصورة بريشة شرحا للفكرة وتمكيننا لها •

ويضاف الى ذلك مما يدل على حِلِّ الرسم والتصوير أن صور كبار الشيوخ والعلماء تملأ الصحف والكتب دون استتكار منهم ، وأن تماثيل العظماء توجد في كثير من الميادين دون استتكار كذلك •

وبعد هذه الدراسة عن موقف الاسلام من أنواع الفنون نعود لذكر لمحة عن مكانة هذه الفنون في الحضارة الاسلامية ، والحق أن الحضارة الاسلامية اهتمت بالفنون اهتماما كبيرا ، فقد ورث المسلمون في دمشق وبغداد والقاهرة والهند حضارة فنية رائعة عن الفرس وبيزنطة والفراعنة والهنود ، وكان إلهساس الفن عاليا عند هذه العناصر ، وكانت صور الفنون تغمر كثيرا من الأماكن وبخاصة الأثرية ، ومن هنا ظهرت الفنون الجميلة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي امتدادا لما كان موجودا قبل الاسلام ، وعندما شاع أن تصوير ما فيه روح مكروه أسرع الفنان المسلم الى الزهور والأشجار ثم الى الآيات القرآنية والفسيفساء وغيرها ليأخذ منها بديلا في رسومه وزخرفته • وقد اهتمت الفنون الاسلامية بتصوير المخطوطات والتصوير على التحف المختلفة كالخزف والزجاج والنسيج وغيرها كما شملت الحفر وصناعة الفخار والخزف ، ومن الفنون الجميلة التي ارتبطت بالعالم الاسلامي فن الخط الذي زين به الجدران في المساجد والقصور وغيرها وهو الذي يسمى التصوير الجداري الذي كان يشمل صورا أو رسوما تزين بها جدران الحمامات والقصور ، ومن أقدم أنواع التصوير الجداري ما ظهر في « قصر عمرا » الذي كشفت نتائجه في بادية

الشام، ويظن أن بانيه أحد الأمراء الأمويين وقد حفلت جدرانها بصور كثيرة حيوانية ونباتية (١) .

ويستجبه البحث الجديد الى أن هذا القصر كان استراحة بناها الوليد ابن عبد الملك : وسقف هذا البناء وجدرانه مزينة بموضوعات مصورة وزخارف مختلطة .

ومن الصور الجدارية كذلك ما ظهر في قاعات الحريم بقصر الحوش الخائى في سامرا التى أنشأها المعتصم بالله الخليفة العباسى ، ومنها كذلك رسوم غدر عليها في جبة « أبو السعود » بالقاهرة وتعود الى أيام الفاطميين .

ومن أهم جوانب التصوير التى اهتم بها المسلمون تصوير المخطوطات وتزيين الكتب بالصور الصغيرة « المنمنمات » ومن أشهر الكتب التى برزت فيها هذه الصور كتاب مقامات الحريري ، وتدل الصور الموجودة فيه على مهارة كبيرة في تصوير لاجموع ، وحركاتها المختلفة ، ودقة عظيمة في تصوير الحيوانات (٢) .

وتتمتاز المنمنمات الاسلامية بالألوان الزاهية وبكثرة استعمال الذهب والفضة .

ومن أبرز اتجاهات الفنون الاسلامية الاهتمام بالتحف المعدنية والحلى فان الاهتمام بصناعة المعادن قد استقر في صدر الاسلام مع الاحتفاظ بالتقاليد الفنية المحلية ، ومن أبرز ما خلفه لنا العصر الفاطمى بعض المباخر والتماثيل التى على شكل حيوان أو طائر ، وخلف لنا العصر المملوكى

(١) دكتور عبد الوهاب عزام : مقدمة كتاب التصوير الاسلامى عند

الفرس .

(٢) دكتور زكى حسن : المرجع السابق ص ٢٦ .

نماذج من التحف المعدنية الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة كالأواني والشمعدانات وصناديق المصاحف والمحابر وغيرها •

وفي مجال الحفر توجد عند المسلمين أعمال رائعة من الحفر في الحجر والرخام وزخارف بالغة الجمال ، ولم يقتصر الحفر على الحجر والرخام بل تعداه إلى الحفر على العاج والعظام ، واستعمل في مصر كثيراً حشو الكراسي والأثاث بالعاج والعظم ، كما كثر الحفر الرائع على الأثاث •

ولدينا نماذج رائعة من أعمال الفخار والخزف أنتجت منها تحف وتماثيل وأباريق وأكواب وكؤوس •••

وفي مجال النسيج عرّف العصر الفاطمي بوجه خاص بالاهتمام بالطراز وكانت هناك دار للطراز تنتج الملابس البهيجة المزركشة التي تختلف باختلاف مكانة الأشخاص ، وكانت هذه الملابس تهدي لذويها في المناسبات المختلفة ، كما كانت تمثل خليعاً من الرضا والتقدير •

وقد اقتبس الفن الإسلامي عناصر من الفن الفارسي والفن المصري والبيزنطي والهندي والعربي ، واندمجت هذه العناصر مكونة فناً إسلامياً كانت له السيطرة في عالم الفنون عدة قرون •

تاريخ المناهج الإسلامية

مناهج التعليم في صدر الإسلام

انحرافاتنا في عصور الظلام

وجوب تصحيحها

مقدمة

خصصت* هذا الجزء الأول من موسوعة الحضارة الإسلامية
 لدراسة مهمّة عن « تاريخ المناهج الإسلامية » والحق ان هذه الدراسة
 شديدة الصلة بواقع المسلمين في النواحي السياسية والاقتصادية
 والاجتماعية *.. لأن انحراف المسلمين في مجال السياسة والاقتصاد وغيرهما
 نشأ عن انحراف المناهج : فاذا تدارسنا بدقة المناهج الإسلامية ، وما حدث
 بها من خلل فاننا نضع أيدينا على الداء ، ونلتزم بالمبادرة للبحث عن السواء *
 والعتور على الداء كان صعبا ، واستلزم دراسة طويلة ، دأبها الصبر
 ودقة الملاحظة ، أما العثور على الدواء فلم يكن صعبا بعد أن عرفنا
 الداء ، وقدّ وصفت في هذا الكتاب الداء والذواء ، واللهم اشهد أنى قد
 بلغت .

ان كثيرين من علماء المسلمين لا يريدون تغييرا فيما يهرفون من
 الدراسات الإسلامية ، وبعضهم أصبح محترفا أو باحثا عن الهدوء والمال
 في ظل أى شيء ، ونقول لهؤلاء ان التغيير لن يقلل من مكانتهم ولا من
 إطماعهم في الترف والهدوء والمال ، وقد يمنحهم المزيد .

أما بقاؤهم على ما هم عليه بعد أن أنبثق النور فمستزيلة خطيرة ،
 وليس هناك عاقل من علماء المسلمين يستطيع أن يتحمل أمام الله ما يعانيه
 الاسلام والمسلمون من اضطراب وقلق .

هيا بنا جميعا نتعلم ونعلّم ، لعل المستقبل يكون أحسن من الماضي
 والحاضر ، فاننا اذا قدمنا لتلاميذنا علم مقارنة الأديان ، وعلم الحضارة

الاسلامية ، وصححنا اتجاه باقى العلوم الاسلامية كالفقہ والتفكير
فاننا نخلق جيلا جديدا ، نطمح أن يعيد للاسلام مجده ، وليكن جيلنا حامل
الرأية ، فذلك فضل عظيم •

انها دعود خالصة أرجو أن تنال عناية الباحثين والدارسين •

وعلى الله قصد السبيل •••

تحريف المناهج وخطورته

أرجو أن يسمح لى القارئ الكريم أن أذكر أن هذا البحث القصير نتيجة جهد طويل ، وأن كاتبه يطمح أن يقرأ بعُمق ، فإذا قنع القارئ به أو ببعضه ففكذ ما ينبغي من تغيير فى المناهج الاسلامية حتى نتخلص هذه المناهج مما حدث بها عن عيوب ، وحتى نستطيع أن نربى المسلمين على النهج الصحيح .

وقد كانت التساؤلات التالية تقف أمامى وتشغلنى :

— هل المواد التى تُدرّس بالمعاهد والكليات الاسلامية تربي فى الدارس روح الاسلام ؟ •

— لماذا عجزتْ معاهد العلم الاسلامية عن حسن التوجيه ؟ •

— وبالتالي لماذا لا يستطيع المتخرج فى الجامعات الاسلامية أن يقدم الاسلام لغير المسلمين ويدفعهم الى حبّه والاقبال على فهمه ؟ •

— بل لماذا لا يستطيع متخرج فى الجامعات الاسلامية أن يقابل جمهورا من المثقفين المسلمين الذين جذبتهم أضواء الغرب ليردهم الى أضواء الاسلام ؟ •

— لماذا كثر بين المسلمين التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية وشاعت الرشوة والاهمال وعدم التعاون وغيرها من الصفات التى تتنافى مع الاسلام ؟ •

— لماذا يرى بعض الشبان أنهم وحدهم المسلمون وأن من سواهم من المسلمين ليسوا مسلمين ؟ •

— ولماذا يصل الأمر الى أن يقتل بعض المسلمين بعضا باسم الدين ؟ ••

— هل من الاسلام أن يُغرى بعض المسلمين جحافل التتار ليزحفوا على مسلمين آخرين ويدمروهم ، لمجرد الاختلاف في المذهب ؟ فقد أثبت التاريخ أن التتار عندما حاصروا مدينة الري كان سكان البلدة منقسمين على أنفسهم بسبب الاختلاف بين أصحاب المذاهب الاسلامية الأربعة على تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، فأتصل قاضى القضاة السافعى بالتتار واتفق معهم على أن يفتح لهم أبواب المدينة لينتقموا من خصومه ، غير أن التتار بعد أن فرغوا من اباداة خصومه انتلبوا عليه وعلى أصحابه ، لأن التتار لم يطمئئوا لمن خان بلاده (١) .

— هل من الاسلام أن تدمر قري بأكملها كما يقول « ياقوت » بسبب الصراع بين أتباع المذاهب الأربعة ، وأن يضرب الحنابلة الخطيب البغدادي وهو يلقي درسه في جامع المنصور ، لا لشيء إلا لأنه لم يكن يتبع مذهبهم (٢) .

وأسئلة كثيرة مشابهة عرضت لى واستوقفتنى طويلا .

ثم هناك قضية أخرى هى انتشار الاسلام السريع في مختلف الربوع في صدر الاسلام ، وتغلغه في أجناس متعددة ، ونمكته من أقطار وقارات ، ثم توقفت انتشاره بعد ذلك ، فلم يعد يدخله كل عام الا عدد قليل ، بل على العكس من ذلك يبتعد عنه بعض نابعيه ، إن لم يكن بإعلان التخلي عنه ، فبالاغضاء عن التزاماته ، وبسلوك منهج الغرب المسيحي في اتجاهاته .

من أجل هذه التساؤلات وهذه القضايا عكفت على دراسة طرييلة رجاء أن أتعرف على الأسباب التى أدت الى هذه النتائج ، وقد تبين لى بوضوح أن المناهج الاسلامية وما طرأ عليها من خلل هو السبب الرئيسى لكل هذا المعناء ، وهذا وضع أمامى أسئلة تدفع الاجابة عنها كثيرا من الأشعة حول هذا الموضوع ، وهذه الأسئلة هى :

(١) دكتور ابراهيم العدوى : العرب والتتار من ٥٦ - ٥٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان : ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

- كيف كان الاسلام يعظكم في صدر الاسلام ؟ *
- كيف عظمه رسول الله صلوات الله عليه ؟ *
- وكيف علمه مبعوثوه الى الأمكنة المختلفة ؟ *
- كيف علمه مصعب بن عمير في يثرب ؟ *
- وعلي بن أبي طالب في اليمن ؟ *

ومعاذ بن جبل بمكة عندما تركه الرسول بها عقب فتحها وعودة الرسول الى المدينة ؟ *

وكيف قدّم علماء المسلمين الاسلام للأمم المفتوحة في عصر عمر بن عبد العزيز الذي يسمى عصر اسلام الشعوب المفتوحة (١) ؟ *

وهكذا رحت أدرس تاريخ المناهج الاسلامية بكل الجهد وكل الصبر ، وقد تبين لي بعد دراسة طويلة للمصاير التاريخية أن المناهج الاسلامية الأولى التي حققت أعظم نجاح ، حدثت فيها أحداث خطيرة تسببت فيما نعانيه الآن من اضطراب وخلل وقصور ، وقد جاء هذا الاضطراب من ثلاث نوافذ :

النافذة الأولى : اختلفت من المناهج ، وبالتالي من المعاهد الاسلامية انفع العلوم الاسلامية وأعظمها وأجلها قدرا ، تلك التي كانت تحمل الاسلام الى الناس وتجذبهم اليه وتجمع المسلمين حول فكر واحد ، ومن أهم هذه العلوم مقارنة الأديان والخطابة الاسلامية ، وسنوضح فيما بعد كيف غنى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بهذين العاملين ، وكيف كانا من أهم العلوم التي أبرزت المآثر التي قدمها الاسلام للجنس البشري ، وعندما

(١) انظر الجزء الثاني من موسوعة التاريخ الاسلامي المؤلف .

نقول عني القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بموضوعات مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية فإن هذا يعنى ضرورة وضعهما في قمة المناهج إذ أن العلوم الإسلامية أنبثقت من الكتاب والسنة (١) .

النسافة الثانية : انحرفت عن الطريق الصواب علوم إسلامية أخرى فالذاهب الفقهي التي تعدّ نعمة من نعم الإسلام أصبحت نقمة وسببا في الاختلافات والأزمات والعدوان ، كما كثرت الفروض في الفقه ، بل وجدت في بعض كتب للفقه الحيل لأخذ الربا ، والحيل للتخلص من دفع الزكاة وهكذا ، وفي تفسير القرآن كثرت الاسرائيليات ، وفي الحديث الشريف نقول أعداء الإسلام على الرسول صلوات الله عليه ، ونسبوا إليه ما لا يجوز أن ينسب إليه واندس بعض ذلك في كتب الحديث ، وفي التاريخ الإسلامي كثرت انحراف الأحداث ، وفي اللغة العربية انتقل التطعيم من اللغة إلى القواعد ، ثم من القواعد إلى شواذها مما أضعف التعرف على اللغة العربية وإجادتها ، وسنتشرح ذلك بشيء من التفصيل فيما بعد .

النسافة الثالثة : برزت علوم ادعت أنها إسلامية ، وهي في الحق ليست كذلك مثل علم الكلام الذي يقول مؤلفوه إن موضوعه ذات الله ... وهذا منكر يردّه قوله عليه السلام « تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » وسنعطى بعض التفاصيل عن هذا الموضوع فيما بعد ، ومثل علم المنطق الحافل بالغموض والجفاف ، وقد كنا نهفظة دون فهم لنؤدى فيه الامتحان ، ومثل الفلسفة التي — كما نقول أدق المصادر — أنها لا تبدأ بمسلمات مهما كان مضمرها ، ولا تجعل الايمان سندا (٢) وقد تلقت هذه الفلسفة عناصر كثيرة من الفلسفة اليونانية ، ومن أجل هذا هاجم الامام الغزالي علم الفلسفة في كتابه « تهافت الفلاسفة » ولهذا كله لا تجعل

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٧ وما بعدها .
(٢) انظر The Encyclopaedia of Islam Art. Phi

بعض الدول الإسلامية الفلسفة في مناهجها ، ومن أجل انحراف الفلسفة
اتجه العلماء المسلمون الى محاولة بعث روح إسلامية بها وأسموها
« فلسفة إسلامية » ولكنهم لم يستطيعوا ذلك كما اعترف الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد عبد الرحمن بيمار شيخ الأزهر وهو في الأصل أستاذ فلسفة
وسنرى فيما بعد كلماته •

والعلاج الحقيقي أن نعود للمنهج الإسلامي الصحيح ، فنحیی العلوم
المفيدة التي اندثرت ، ونصحح مسار العلوم التي انحرفت ، ونحذف العلوم
الدخيلة ولا نبقي منها الا ما ثبت نفعه وضرورته •

ذلك مجمل الحديث عن المناهج الإسلامية في رحلتها الطويلة ، وهو
يبرز ما عانته من أثقال وما تعرضت له من مكائد ، وفي دراستنا فيما بعد
سنورد تفصيلا لهذا الإجمال نوضح فيه لماذا ومتى وأين حصل هذا
التغيير الخطير المعتمد في المناهج •

ثم إن هذا الانحراف في المناهج الذي أدعى إلى اختفاء الحضارة
الإسلامية أدعى بالتالى الى اختفاء الفكر الإسلامى فى السياسة والاقتصاد
وغيرها من واقع الحياة ، وأصبحت الأقطار الإسلامية بعيدة عن روح
الإسلام وتوجيهاته ، كما أصبحت تعيش فى ظلام دامس •

فاذا اتضح لنا أن تغييرا خطيرا حاد فى المناهج فائنا يجب أن نتجه
بكل الجهد وكل الصبر لتسحيح المناهج متخذين من مناهج صدر الإسلام
المنبثقة من كلام الله وأحاديث رسوله خير منار لنا •

وبعد أن نصحح المناهج ننتقل الى نقطة أخرى خطيرة هى تنظيم
تقديم هذه المناهج الصحيحة الى الطلاب والى الجماهير ، ثم ستجىء
الخطوة الضرورية وهى بروز نتائج الدراسة الجديدة فى واقع الحياة ،
فتصبح الحياة فى الدول لاسلامية حياة اسلامية حقيقية فى مجالات السياسة
والاقتصاد والتربية والتعليم والعلاقات الدولية وغيرها •

وقبل أن نبدأ في ذلك يجدر بنا أن نقدم بعض الدراسات النهميدية
للموضوع لتساعدنا على ضرورة التعرف على المناهج الصحيحة التي تجعل
للتعليم الاسلامى يؤتى أطيب الثمرات :

أولا - موقف الاسلام من العلم :

رفع القرآن الكريم شأن العلم ووضعه في مكانة سامية جلية ، وأكبر
دليل على ذلك أن أول سورتين نزلتا من الذكر الحكيم تقرران قيمة الكلمة
المقروءة والكلمة المكتوبة ، والسورة الأولى التي تتكلم عن الكلمة المقروءة
هى سورة اقرأ ، قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق * * * » والسورة
الثانية التي نزلت بعد سورة اقرأ بناء على رأى الأكثرين ^(١) هى سورة
« ن » التي مطلعها : « ن والقلم وما يسطرون » وعلى هذا فالآيات الأولى
تتكلم عن القراءة والآيات الثانية تتكلم عن الكتابة * .

وبعد ذلك تجيء في القرآن الكريم آيات كثيرة تنبت جلال العلم ومكانة
العلماء ومنها قوله تعالى :

- شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط (٢) .
 - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٣) .
 - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (٤) .
- ويقول صلوات الله عليه في هذا المجال :
- اطلب العلم من المهد الى اللحد * .
 - من عظم العالم فقد عظمنى * .
 - يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء * .

(١) انظر الانتان في علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٣) سورة الزمر الآية التاسعة .

(٤) سورة المجادلة الآية ١١ .

وقد ذكرنا من قبل أن الاسلام أعلن لأول مرة في تاريخ البشرية لن العلم حق للجميع ، فقد كان العلم قبل الاسلام خاصا بالكهنة ، وكانوا هم الذين يستطيعون كتابة العهود والمواثيق والمعاهدات ، ولم يكن لسواهم حتى الملوك والأمراء ، نصيب يذكر في طلب العلم ، ويقول Philip Hitti ان معاصري هارون الرشيد والمأمون من أمثال شارلمان وسادة مملكته كانوا يتعشرون في كتابة أسمائهم ^(١) ، وقد ارتفع هذا التخصيص بالآية الكريمة « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » ^(٢) فأصبح المسلمون جميعا بين معلم ومتعلم ، وقال صلى الله عليه وسلم في هذا المجال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وينبغي أن يكون واضحا أن العلم المشار اليه لم يكن محصورا في العلوم الاسلامية ، بل شمل كل العلوم التي تفيد المجتمع بدليل قوله عليه السلام ، اطلبوا العلم ولو في الصين • ومن الواضح أنه لم يكن في الصين علوم اسلامية •

ثانيا - السلوك والعلوم :

اهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالتربية الاسلامية ، وكان مفهوم التربية عند المسلمين يشمل العناية بالسلوك ، كما يشمل العناية بالعلوم ، وفي مجال السلوك يقدم الامام الغزالي دراسة واسعة في كتابه « احياء علوم الدين » نقتبس منها سطورا قليلة :

يقول الغزالي : الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة غالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل الى كل ما يمال اليه ، فان عوّد الخير وعلمه ، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عوّد الشر ، أو أهمل شقى وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه ، ورقبة من أهمله ميتحتّم أن

(١) History of the Arabs p. 315.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

يُصان الصبي عن الآثام ، وأن يعلّم محاسن الأخلاق ويحفظ من قرناء السوء ، ولا يعودّه الوألى التمتع ، ولا يحجب اليه الزينة وأنساب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر •

ويقرر الغزالي أن تربية الصبيان ليست مقصورة على تعليمهم ، وإنما تشمل ألوانا أخرى لا تقل أهمية عن التعليم ، ويذكر الغزالي منها المراقبة ، وتقوية خلق الحياء لدى الصبي عند ظهوره فيه ، وأن يسلّم الطريق المستقيم في الطعام والشراب واللباس ، ويثقل الغزالي ذلك تفصيلا دقيقا ، ثم يذكر أن الصبي ينبغي أن يجازى إذا ظهر منه خلق جميل ، أما إذا ظهر منه انحراف فينبغي أن يتغافل عنه أول مرة ، فإن كرر ذلك عوتب ثم عوقب ، ويشعّد على المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويمنع أن يفتخر على أقرانه ••• ويمنع اليمين صادقا كان أو كاذبا إلا لضرورة •

أما في مجال العلم فإن الغزالي يرى أن تعليم القرآن وتفهمه أساس لتعلم الشبان ، ويتبع ذلك أحاديث الرسول ، وآراء الأخيار ، وحكايات الأبرار (١) •

تلك لمحات موجزة مما ذكره الغزالي عن تربية السلوك في الإنسان ، وينبغي أن تأخذ هذه الدراسة مكانها في المناهج الإسلامية •

ويتحدث ابن سينا أحاديث فياضة عن سلوك الطالب ، ويجعله أهم من العلوم بالنسبة إليه وإلى المجتمع حوله ، فهو يقول : ان الفضائل الخلقية اسمى من الفضائل العقلية ، لأن الجاهل بالعلوم قد لا يضر ، ولكن الجاهل بالآداب والسلوك لا يتوقف ضرره (٢) •

وجاء في كتاب منهاج المتعلم ما يلي (٣) : وعلى الأب أن يؤدب ابنه

(١) أحياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٧ - ٥٩ •

(٢) القانون : ج ١ ص ٧٩ وما بعدها •

(٣) مخطوط مجهول المؤلف : ظهر الورقة رقم ٩ •

ويسلمه الى معلم ، فان لم يفعل ظهر الانحراف في جميع أعضائه ، وبخاصة في لسانه .

وستشير فيما بعد الى ما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول من توجيهات لخلق السلوك الطيب في المسلم ولايعاده عن ذميم الصفات ، ولا شك أن هذه الآيات وتلك الأحاديث كانت المشعل الذي وجه العلماء والمفكرين المسلمين الى العناية بالسلوك كالعناية بالعلوم . أو أكثر من العناية بالعلوم .

ثالثا : العلوم النظرية والعلمية بالمعاهد الاسلامية :

كانت كل العلوم موجودة بالمعاهد الاسلامية ، قبل أن يوجد التخصص الدقيق ، وقد روى أن الشعر والعروض والطب والميقات والتفسير والحديث والفقه كانت كلها تدرس في المسجد ^(١) ، ولم يبدأ الفصل بين العلوم الا عندما ابتدعت علوم كانت تقتنفى طيبة تدريسها مع ما يجب للمسجد — الذي كان مركزا للدراسات السابقة — من هدوء وجلال كعلم الكلام وعلوم الجدل والمناظرة .

وعلى هذا فان طالب العلوم المختلفة من طب أو رياضة أو فلك أو سواها كان عليه أن يعرف قدرا من الدراسات الاسلامية يعرفه مسؤولياته تجاه الدين والدنيا قبل أن يتخصص في المادة التي يريد أن يتخصص فيها .

ومن أجل هذا وجد بين المفكرين المسلمين من نبغ في العلوم الدينية والعلوم التجريبية جميعا ، كابن مسكويه الذي كان طبيبا وفياسوفا ومؤرخا وباحثا في الأديان ، وكابن سينا الذي كان حجة في الفلسفة والطب والفلك والرياضة ، وكابن رشد الطبيب الفقيه الفيلسوف ، وكالكندي الذي أجاد الطب والجغرافيا والفلك والرياضيات والموسيقى وغيرها .

(١) انظر الموضح المرزباتي : ص ٢٨٩ ومحاضرات الأنبياء للأصنهباني ج ١ ص ٢٠ وابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء : ٢٠٧ .

رابعاً : كلمات وعبارات اصطلاحية :

ظهرت مع الأيام والسنين كلمات اصطلاحية تؤدي مدلولات كانت موجودة من قبل ، فالحلال والحرام في الاسلام أصبح يسمى « فقها » وشرح ألفاظ القرآن الكريم وآياته أصبح يسمى « تفسيراً » والمجادلة بالحسن أطلق عليها عند البيرني والمسعودي وابن حزم والشهرستاني ... الديانات والفصل والملك والنحل ثم أطلق عليها حديثاً « مقارنة الأديان » ، والنهج الذي جاء به الاسلام في السياسة والاقتصاد والتربية والعلاقات الدولية أصبح يعرف بـ « الحضارة الاسلامية » وهكذا ، وسنستعمل هذه التعبيرات الاصطلاحية ، اذ أن مدلولاتها قديمة والتعبير الجديد هو لغة العصر .

وبعد هذه المقدمات نعود لصور التاريخ لنرى كيف كان الاسلام يتقدم في صدر الاسلام ، ثم كيف انخرقت الأحوال بالمناهج الاسلامية .

المناهج الإسلامية في صدر الإسلام

قلنا سابقاً ان مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية كانا من أبرز العلوم التي كان الإسلام يقدم عن طريقها ، وطالما كسب هذان العلمان النصر للإسلام ، ومرجع الاهتمام بهذين العلمين أن القرآن الكريم اهتم بهما اهتماماً واسعاً ، وكذلك امتمت بهما السنة الشريفة ، ولا شك أن أى فرع من فروع المعرفة يهتم به القرآن والسنة فانه يكون جديراً بالعناية والتقدير .

ومن الواضح في التفكير الإسلامي أن المسلمين الأوائل كانوا يهتمون بتدبر القرآن تبعاً لما رسمته لهم الآية الكريمة : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ^(١) » فقد فهموا منها أن المقصود بالقرآن ليس حفظه وإنما تدبره والعمل بما يأمر به ، ويروى السيوطي في ذلك أن الرجل من الصحابة كان يحفظ من القرآن عشر آيات ثم لا يتجاوزها حتى يفهم معناها ويؤدي ما طلب فيها ^(٢) .

ومن هنا كان الاهتمام بمقارنة الأديان وبالحضارة الإسلامية استجابة للقرآن الكريم ثم للحديث الشريف .

فماذا نرى لو عدنا للقرآن الكريم والسنة الشريفة حول هذين الموضوعين ؟

ذلك ما سنشرحه فيما يلي :

(١) سورة ص الآية ٢٩ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٠٠ .

مقارنة الأديان : علم إسلامي مهم

ان آيات قرآنية كثيرة ، ومواقف متعددة للرسول ترينا أهمية هذا العلم الذى يشمل الحديث فيه عدة قضايا مهمة مثل قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية البعث والنشور ، وقضية الحساب ، وغيرها . ونبدأ بأن نذكر أن آيات القرآن الكريم قد رسمت الاهتمام بهذا العلم ، قال تعالى :

— وجادلهم بالتى هى أحسن (١) .

— ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن (٢) .

من الواضح أن مجادلة غير المسلمين بالحسنى هى علم مقارنة الأديان ، ولم يكف القرآن بالحث على المجادلة بالحسنى ، بل أورد بعض الآيات التى تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى : « فمن يخلق كمن لا يخلق ؟ » (٣) فهذه الآية تجرى مقارنة بين الخالق الأعظم وبين الآلهة التى لا تستطيع أن تخلق شيئاً . ومثل ذلك قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » (٤) فهذه الآية تقارن بين الواحدانية وبين التعدد ، وتوضح أن التعدد يقود الى الفساد والدمار ، وقد تحدث القرآن الكريم عن جميع الأديان سماوية كانت أو وضعية ، تحدث عن اليهود واليهودية ، وتحدث عن المسيح والمسيحية ، وتحدث عن عبدة الأصنام والطاغوت والملائكة والشياطين . وسماها القرآن الكريم أديانا مع بطلانها قال تعالى : « لكم دينكم ولى دين » (٥) . وسنرى فيما بعد ابن حزم الأندلسى وهو يعدد الأديان التى أوردها الله سبحانه فى كتابه العزيز ، ويعلمنا أن نتعرفنا عليها وأن نقارن بينها لنذكر جهالتها وسوء مزاعمها .

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(٣) سورة النحل الآية ٦٧ .

(٤) سورة الانبياء الآية ٢٢ .

(٥) سورة الكافرون الآية الأخيرة .

فاذا ذهبنا الى سيرة الرسول وجدنا أن مقارنة الأديان كان في قمة العلوم التي كان الرسول يقوم بها الاسلام لغير المسلمين ويثبتته لدى المسلمين ، وخلال المناقشات التي أجراها الرسول وأيدته الآيات الكريمة دخل كثيرون من عبدة الأصنام ومن اليهود ونصارى نجران دين الاسلام ، وفيما يلي نماذج قصيرة لهذه المجالات ولدينا منها الكثير .

كان الرسول والمسلمون يكثرون السخرية من عبادة الأصنام ، وكان القرآن الكريم يؤيّدهم ويمدّهم بأسمى المعاني في هذا المجال ، ومن ذلك قوله تعالى : « أفرايتم للآلات والندى ، ومناة الثالثة الأخرى ، أنكم الذكر وله الأنثى ، تلك اذا قسمة ضبّزى ، إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ^(١) » وقوله : أتعبدون ما تتختون والله خلقكم وما تعملين ^(٢) .

وكانت أصنام العرب وأوثانهم كثيرة ومتعددة ، ومن أجل هذا كانت هشة العرب عميقة عندما قال محمد بالوحدانية وأن لا إله إلا الله ، ويرَوْن القرآن الكريم تعجبهم بقوله « أجعل الآلهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب ^(٣) » ولقد أجابهم الله بقوله « الله لا اله الا هو الحي القيوم ^(٤) » وقوله « ولا تدع مع الله الها آخر ، لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه ^(٥) » وقوله « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ، ولعلّلاً بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ^(٦) » ويقول المفسرون ^(٧) عن هذه الآية : انها جواب المحاجة والمجادلة ، وهي تبين أن

(١) سورة النجم الايات ١٩ — ٢٤ .

(٢) سورة الصافات الايات ٩٥ — ٩٦ .

(٣) سورة ص الآية الخامسة .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٥) سورة القصص الآية ٨٨ .

(٦) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

(٧) انظر الميثاق والنسفي .

التعدد لم يحدث لحدث التنازل والتنازل كما هو حال ملوك الدنيا • وعن طريق المجادلة وشرح الآيات دخل الكثيرون في الإسلام •

وكان الرسول يجلس مرة في المسجد الحرام قبل الهجرة فالتفت حوله بعض المشركين بسائلين أو ساخرين ، وفي حومة النقاش والمجادلة قال عليه السلام : يوم القيامة ينادى مناد : ليذهب كل قوم مع ما كانوا يعبدون ثم نزل قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (١) » فتسلك بعض الحاضرين ودخلوا الاسلام سرا اذ لم يكن في وسعهم أن يعلنوا ذلك ، وعندما نزلت هذه الآية الكريمة ظن بعض الكفار أنهم يستطيعون إخراج الرسول فقتلوا له : هل معنى هذا أن عيسى سيكون في النار مع عابديه ؟ فأجاب عليه السلام بأن كل من أحب أن يعبد من دون الله أو مع الله سيكون مع عابديه في النار ، وليس عيسى من هؤلاء ، وتلا عليه السلام قوله تعالى : (مخاطبا عيسى) « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي المهن من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، أن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ... » (٢) •

وهناك محاوراة هامة جرت بين الرسول صلوات الله عليه وبين عدى ابن حاتم الطائى وكان هذا قد اعتنق المسيحية ، وقد أورد ابن هشام (٣) هذه المحاوراة التى انتهت بأن أعلن عدى دخول الاسلام وتبعه قومه ، وقد ذكرت هذه المحاوراة فى الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامى (٤) •

وهناك محاورات ومجادلات كثيرة حول البعث جرت بين الرسول وبين بعض المشركين وبخاصة أبى بن خلف ورواها القرآن الكريم مثلا على الاتجاه الاسلامى القويم قال تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ،

(١) سورة الانبياء الآية ٩٨ •

(٢) سورة المائدة الآيات ١١٦ - ١١٧ •

(٣) السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦٦ وما بعدها •

(٤) ص ٢٦٤ وما بعدها من الطبعة العاشرة •

قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحيىا الذى أنشأها أول مرة (١) .
وجرت مناقشات بين اليهود وبين الرسول حول الكتب المقدسة وكان
« محسور بن سبحان » هو المتحدث عن اليهود ، فقال للرسول : ما دليلك على
أن القرآن من عند الله ، فنزل قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافاً كثيراً (٢) » .

وأدرك اليهود عظمة القرآن الكريم فتواصوا بعدم النظر فيه حتى
لا يغلبهم ، فنزل قوله تعالى يحكى قولهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن ،
والسّفوّاء فيه » (٣) .

— وجرت مناقشات واسعة بين الرسول وبين اليهود يرويهما القرآن
والسنة ، فقد كان اليهود كثيرون الجدل مع الرسول ، وقد دخل الرسول
عليهم مرة بيتاً كانوا يجتمعون فيه اسمه « بيت المدراس » فدعاهم الى الله
والى وحدانيته ، وناقشهم فى ادعائهم بأنهم الأخيار وأنهم بمنجاة من النار ،
وأجرى مقارنة بين كتبهم المحرّفة وبين القرآن الكريم ، وأيدته آيات القرآن
الكريم وسجلت هذه المحاورات ، ومن ذلك قوله تعالى :

— ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله
ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا
النار الا أياماً معدودات وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون (٤) .

— « وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشكّدون
أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو اله واحد ، وأنا برىء
مما تشركون (٥) » .

(١) سورة يس الآية ٧٨ .

(٢) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٢٤ .

(٥) سورة الانعام الآية ١٠٩ .

— مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا (١) ١٠

— يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَى تَطَّلِعَ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ (٢) •

وقد دخل كثير من قادة اليهود الاسلام بعد هذه المحاورات وأخلصوا له مثل عبد الله بن سلام وشعابة بن سعيد وأسود بن عبيد ، ولولا تعصب اليهود ، وما كان يطفئ عليهم من عمى يجعلهم لا يفكرون ، لكان من الممكن أن يكثر تدفقهم على الاسلام • وهناك حديث طويل أورده البخاري (ج ٥ ص ٦٩) ويرى مجادلة ومناقشة بين الرسول وبين عبد الله بن سلام انتهت باسلام عبد الله •

وجرت مناقشات كثيرة بين الرسول ووفد نجران من النصاري ، وقد ذكر هؤلاء للرسول أن المسيح إله لأنه أحيا الموتى وأبرأ المرضى وعرف الغيب ، فقال لهم الرسول : ان ذلك كان بعون الله ومشيئته ، وتلا عليهم قوله تعالى « وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ » (٣) ، وتلا أيضاً قوله تعالى : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ » (٤) وسأل واحد منهم الرسول قائلاً : أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما نعبد عيسى ؟ فقال الرسول : معاذ الله أن نعبد غير الله ولست إلا عبداً لله ، ونزل قوله تعالى : « مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ » (٥) •

(١) سورة النساء الآية ٤٥ •

(٢) سورة المائدة الآية ١٣ •

(٣) سورة آل عمران الآية ٤٩ •

(٤) سورة المائدة الآية ١٩ •

(٥) سورة آل عمران الآية ٧٩ •

ويذكر التاريخ أن كثيرين من نصارى نجران دخلوا الإسلام بعد هذه المناقشات ، ولدينا الكثير من المحاورات والمجادلات في قضايا الأديان وبخاصة قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، ولكننا نكتفى بهذه الفمحة ، ونحيل من يرغب في دراسات واسعة حول هذا الموضوع الى الرجوع الى سلسلة مقارنة الأديان التي كتبتها في أربعة مجلدات ، وأعينت طبعاتها عدة مرات ، وترجمت إلى عدة لغات •

على أنه بقى أن نقول عن مقارنة الأديان أنه علم كبير الفائدة للإسلام ، إذ أن الأديان من منبع واحد هو الله سبحانه وتعالى : والإسلام خاتم الأديان ، ولذلك كان أتمم وأكمل ، وقد وضحنا ذلك في دراستنا عن « تطور الرسالات مع تطور الجنس البشرى » التي قدمناها بالجزء الثالث من سلسلة مقارنة الأديان ، ثم ان علم مقارنة الأديان سيعرض للباحث تاريخ كل دين ، وما حدث به من خلل أو انحراف خلال رحلته التاريخية الطويلة ، كما سيوضح علم مقارنة الأديان أسباب بُعد بعض المسلمين عن الدين الصحيح ، ويعالج هذا الأمر بعناية ليعود المسلمون الى دينهم القويم •

وهن أجل أهمية علم مقارنة الأديان اهتم به المسلمون الأوائل اهتماماً كبيراً ، وعقدوا له حلقات مجادلة ، وحلقت عرض ، وحققوا فيها نصراً مؤزراً ، وكتب فيه المسلمون في وقت مبكر ، أو عندما كتبوا العاوم الإسلامية المختلفة ، ومن أشهر الكتاب المسلمين في علم مقارنة الأديان النوبختي (ت ٢٠٢ هـ) الذي كتب كتابه (الآراء والديانات) والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) وقد كتب كتابين عن (الديانات) والمسبحي (ت ٤٢٠) وكتب كتابه (درك البغية في وصف الأديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع في حوالي ٣٠٠٠ ورقة ، وكثر بعد ذلك التأليف في هذه المادة ، ومن أبرز الكتب التي كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنواناً لها كتاب (الملل والنحل لأبي منصور البغدادي) (ت ٤٢٩ هـ) وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦) وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني (ت ٥٤٩ هـ) وغيرها من الكتب •

ولم يكن هذا العلم موجوداً قبل الاسلام وانما ابتكره المسلمون ،
ويذكر آدم مٲر (١) ذلك بقوله : ان تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى ،
ذلك التسامح الذى لم يَسْمَعْ بمثله فى العصور الوسطى كان سبباً فى ظهور
علم مقارنة الأديان ، ولم يكن هذا العلم وسيلة لدى المسلمين للحط من
الأديان الأخرى ، وانما كان دراسة وصفية علمية لا تعصب فيها ، تؤدى
الى نتائجها الطبيعية •

وسنرى فيما بعد كيف ولماذا اختلفى هذا العلم من المناهج الاسلامية
ومن المعاهد الاسلامية ، وكيف انتقل زمامه الى الغرب ، فأصبح اليهود
والمسيحيون يعرفون ديننا ونحن لا نعرف أديانهم ، وأصبحوا يتخذون
هذه المعرفة وسيلة للهجوم على ديننا ، بل وصل الأمر ببعض المسلمين الى
اعتبارهم علم مقارنة الأديان تضييعاً للوقت أو ربما عُدُوته منكرأ ، والتجربة
العلمية التى قمت بها تثبت فائدة علم مقارنة الأديان ، فما كدت أنشر سلسلة
مقارنة الأديان حتى تخطفها الناس وأعيدت طبعاتها تسع مرات فى مدى
وجيز على الرغم من الأعداد الهائلة التى تطبع فى كل طبعة ، وترجمت الى
عدة لغات ، وأخذت مكانها وشقت طريقها الى جمهور عريض من المنقذين ،
ولعبت دورها فى جذب عدد هائل الى الاسلام فى الولايات المتحدة واستراليا
وجنوب شرقى آسيا وغيرها من البقاع ، كما لعبت دورها فى ربط قلوب
مسلمة بالاسلام كانت قد أوشت أن تبعد عنه بجاذبية الغرب وجفاف
الدراسات الموجودة عن الاسلام •

الغرب والدعوة لإحياء مقارنة الأديان :

على أن اتجاهنا الحديث لإحياء علم مقارنة الأديان أثار نائرة الخوف
لدى المتعصبين من المستشرقين ولدى من يناصرونهم من أصحاب النفوذ ،
ولهذا سرعان ما أدركت بعض الجامعات بالغرب خطورة إحياء علم مقارنة

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٦٦ ، ١٠

الأديان بأرض الإسلام ، وخافت أن ينتعش في المعاهد الإسلامية فأسرعت بإنشاء أقسام له في جامعاتها ، ودعت له الطلاب من مختلف الأنحاء ويسرت لهم السبيل للحياة ، وعندما كُنْتُ في مؤتمر إسلامي بالرياض عام (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م) كانت جامعة بسلفانيا بأمريكا توزع منشورات عن المعهد الهائل الذي افتتح لهذه الدراسة ، وتدعو الراغبين للالتحاق به . وتذكر ألوان التيسيرات التي ستقدم للطلاب هناك .

وهذه صيحة نقدمها قبل فوات الأوان ، فاني أخشى أن يُدرس هذا العلم من زوايا تفسد الإسلام كما هي العادة لدى الأغلبية العظمى من المستشرقين ومن سار في فلكهم .

الحضارة الاسلامية

ذكرنا في المقدمة العامة التي أوردناها في صدر هذا الكتاب أن الحضارة الاسلامية من أسمى العلوم الاسلامية وأكثرها فائدة ، لأنها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى من مآثر ، وهي منحة الاسلام لهداية البشرية ، وأنها ينضوى تحتها ثلاثة أنواع :

حضارة الخلق أو الحضارة الأصيلة : وهي الحضارة الاسلامية الأصيلة التي جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام ، كالنهج الاسلامي في السياسة وفي الاقتصاد وفي التربية والحياة الاجتماعية والعلاقات الدولية وغيرها .

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية : وهي الحضارة التي كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ، ثم أحيها المسلمون وطوروها وابتكروا في مجالاتها ، وهي الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية كالطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى غيرها .

حضارة التاريخ أو الدول : وهي الحضارة التي تقدمها دولة من الدول الاسلامية لشعبها أو له ولغيره من الشعوب في مجال الاقتصاد (الزراعة والتجارة والصناعة) وفي مجال الصحة ، والعمران ، والتعليم ، والأمن الداخلي ، والأمن من العدوان الخارجي ، وهذا النوع (الثالث) من الحضارة مكانه التاريخ الاسلامي ، فالكاتب في التاريخ الاسلامي أو معلّم التاريخ عندما يتحدث عن تاريخ دولة من الدول ، ويعرض الأحداث المرتبطة بها ، ينبغي أن يقف وقفة يذكر فيها جهدها في الاقتصاد والصحة والتعليم . . أما النوع الأول والثاني من أنواع الحضارة فيكونان مادة قائمة بذاتها هي مادة الحضارة الاسلامية وهي التي نشير لها هنا وهي التي دونناها في « موسوعة الحضارة الاسلامية » بأجزائها العشرة .

وعندما نتتبع المعلمين الأول في الإسلام نجد كثيرا من الاهتمام بوجهه للحضارة الإسلامية، وطبيعي أن الرسول كان المعلم الأول وأجاديته الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة، ففي المجال السياسي يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

- وشاورهم في الأمر (١) •
- وأمرهم شورى بينهم (٢) •

فيستشير في غزوة بدر وينزل على رأى الحباب بن المنذر عندما أيدته الأغلبية في اختيار مكان الموقعة، وفي غزوة الأحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة، ويرجع عن رأيه هو في المصالحة مع المهاجرين من أهل الطائف، وتدلنا الروايات التاريخية على أنه كان يكثر من استشارته لأصحابه، حتى قال أبو هريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان أبو بكر وعمر في مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم، وقد روى أنه قال : « وأيم الله لو أنكما تتفقان على أمر ما خالفكما فيه » ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول وساروا على نهجه بكل دقة وعناية •

وفي المجال الاقتصادي تنطلق آيات كثيرة جدا لتلزم الغنى أن يعطى الفقير حقه مما يملك، وقبل الإسلام كان الفقير هو الذى يعمل للغنى أو يقدم له كسبه : ومع آيات الذكر الحكيم يقف المعلم الأول موقفاً رائعا حين يقول :

- ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم •
- أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله •
- من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له •

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ •

(٢) سورة الشورى الآية ٣٨ •

إذا جئنا الى مجال التعليم ظهر أمامنا ما سبق أن وضحناه من أن الاسلام فتح باب العلم للجميع بعد أن كان العلم خاصاً بالكهنة ، وقد أوردنا من قبل الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وأنشأ المسلمون المساجد منذ وقت مبكر جداً ، وكان التعليم من أهداف المسجد ومسئوليته ، وسرعان ما تخرج جيل من العلماء يتحدرون من أسر فقيرة أو مختلفة الاتجاهات في الحياة العملية .

وفي مجال العلاقات الدولية فتح الإسلام أبواباً للمسلمين ليقوموا بعلاقات مع الدول والجماعات غير الإسلامية ، وتشمل هذه العلاقات نظام السفارات والتبادل التجاري ، وتبادل العملات ، كما تشمل التعاون الثقافي ، وكثيراً من الارتباطات الاجتماعية ، وقدم الإسلام كذلك فكرةً جديدةً يخفف ويلاين الحرب إذا كان لا بد من الحرب ؛ فالزمن لا يقتل طفلاً أو شيخاً أو امرأة ، ولا يهدم منزل ، ولا يحرق زرع ، ولا يؤذي حيواناً ، وكانت تلك مآثر لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لا يزال الكثيرون من الناس يجهلون بها وبخاصة من غير المسلمين ، والآيات والأحاديث في ذلك أشهر من أن تورد هنا وقد ذكرتهما في الجزء التاسع من موسوعة الحضارة الإسلامية .

وكان للحضارة الإسلامية دور كبير في تحرير الرقيق وتحرير العقول وفي موضوعات كثيرة أخرى ، أشرنا لها في المقدمة السابقة وقد أوردناها بإضافة في الموسوعة سالف الذكر .

ومن الواضح أن مبعوثي الرسول الى البلدان المختلفة اتبعوا نهجه في عرض قضايا مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية ، بالإضافة الى تعليم الصلاة وغيرها من التشريعات التي كانت قد نزلت ، فيروى أن الرسول عندما أرسل مصعب بن عمير الى يثرب قال له : أقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام وأمهم في الصلاة ، وعندما بعث معاذاً الى اليمن أوصاه بقوله : علمهم مكان الاسلام بين الأديان ، ويحتر ولا تعسر ، واعلم أنك ستقابل قوماً من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة ألا اله إلا الله

وحده لا شريك له • وفى يوم خيبر أراد الرسول أن يعطى الراية رجلاً يفتح الله عليه ، فسأل : أين على ؟ فعرف أنه يشتكى ألماً فى عينيه فدعا له فبراً وحضر ، فقال له الرسول : اذا نزلت بساحتهم فادعهم الى الاسلام فان جادلوك فجادلهم بالتى هى أحسن ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم (١) •

فاذا قفزنا الى عهد الشريف الرضى وجدنا حلقاته مع الصائبة كانت مكاناً خصباً لعرض قضايا الأديان والحضارة الاسلامية ، وكانت تجذب الوفير من الناس فى كل لقاء لدخول الاسلام (٢) •

وهكذا كانت الحضارة الاسلامية منحة الاسلام لهداية البشرية ، وهكذا جاءت الحضارة الاسلامية لبنى الانسان بما يضمن لهم السعادة لو تدارسوها واتبعوها ، ولكن هذه الحضارة اختفت تقريباً من مناهج الدراسة ، ولم يبق لها الا شبح هزيل قليل المدلول ، وسنرى فيما بعد كيفية ولماذا ذبل هذا العلم العظيم •

بيت الحكمة ودوره فى الحضارة :

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويؤكد هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد منذ انشاء جامعة الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق • م • وفى بيت الحكمة الذى تحدثنا عنه من قبل ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة وفى موضوعات متباينة الى اللغة العربية ، وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة أثرتنا لها من قبل : وقد وصلوا الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات ، فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والأدوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نُقلت الى

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٦٨ وانظر كذلك الصحيحين •

(٢) انظر رسائل الشريف الرضى •

أوروبا فوضعت أساس عصر النهضة ، وهكذا ازدهر في بيت الحكمة ما أسميناه من قبل (حضارة البعث) •

علوم أخرى مع مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية :

استكمالا لمنهج الدراسات الإسلامية نقرر أنه كانت هناك علوم أخرى مهمه بجانب مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية ، وسنذكرها دون حاجة الى أن نطيل الوقوف معها لأنها معروفة مشهورة ، وذلك كالفقه الإسلامي الذي يشرح التشريعات الإسلامية في شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم أن يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الإسلامي ، وكتفسير القرآن الكريم الذي كان يقصد به إيضاح ما قد يغمض على الانسان من كلمات الكتاب الحكيم أو عباراته ، وكدراسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وكعلوم اللغة التي تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله والتي كتب بها الفكر الإسلامي ، وسنتكلم عن هذه العلوم وما حدث لها بعد قليل •

التعليم بالاعتداء :

ولكن ينبغي أن يتضح أن تعليم هذه الدراسات كان في الصدر الأول للإسلام يتم بروح اليسر ، وكان فيه كثير من القصد والاعتدال ، فقد عظم الرسول الصلاة للمسلمين تعليما واقعياً في فترة وجيزة ، إذ تروى : « أمامهم صلى ثم قال : صلوا كما رأيتموني أصلي ، وفي الحج قادهم الرسول لأداء الشعائر وقال لهم : خذوا عني مناسككم ، وفي تفسير القرآن كانت تغمض كلمة أو آية على بعض الناس فيسألون الرسول عن معناها فيجيب عن ذلك ، وقد روى أن الرسول سئل عن معنى كلمة ضيزى في قوله تعالى « قسمة ضيزى » فقال « جائرة » ولما نزلت الآية الكريمة « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (١) ،

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ •

سأل على بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال الرسول : الشجاع الأول من النهار الذى يطارد سواد الليل •

ومن تتبع تاريخ المناهج فى صدر الاسلام يتضح لنا أن الرسول كان لا يجب أن يسأل عن الأشياء التى لا تدعو الحاجة اليها ، وكان ذلك اتباعاً لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ^(١) » وقد شاع عند المسلمين الأول هذا الخلق أى ألا يسأل الرسول عن تفسير آية أو ايضاح حكم لم تدع الضرورة له ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ما رأيت قوما قط كانوا خيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كانوا يسألونه إلا عند الحاجة ، وكان عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن ^(٢) •

وينبغى أن نوضح أن التعليم عن طريق التجربة هو الذى لا يزال متبعاً فى الحياة الواقعية حتى اليوم ، فالصبي يتعلم الصلاة والصوم من ذويه وهو حَدَثٌ ، ويعيش على ذلك حياته حتى لو اتجهت ثقافته الى الدراسات الدينية دون أن يجِدَ فى التفاصيل والفروض التى يدرسها ما يستدعى اجراء أى تعديل ذى بال فيما تلقاه من ذويه فى مطلع العمر •

وقد صام الآباء والأجداد وصلوا ، وأدوا فريضة الحج ولا يزالون يفعلون ، وهم يتبعون التجربة العملية التى سن الرسول صلوات الله عليه سننتها ، دون حاجة الى التفاصيل والفروض التى أدخلتها عصور الظلام كما سنرى فيما بعد •

ومع العلوم التى كانت موجودة بالمناهج اهتم المسلمون بالسلوك واتباع الفكر الاسلامى فى الأخلاق والمعاملات ، والقرآن الكريم ، وأحاديث الرسول فيهما ثروة هائلة فى هذا المجال ، وكان المسلمون الأول - كما

(١) سورة المائدة الآية ١٠١ •

(٢) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للمؤلف ص ١٣٩ •

ذكرنا من قبل — اذا حفظوا عشر آيات من القرآن توقفوا دون أن يتجاوزوها حتى يفهموا معناها ويعملوا بما بها • وهذا جعل السلوك الإسلامى والحضارة الإسلامية يسيران جنباً الى جنب مع حفظ القرآن الكريم •

تلك صورة سريعة للمناهج الإسلامية فى انعصور الإسلامية الأولى ، وقد أثمرت هذه المناهج آنذاك وأينعت ، وتحملت الفكر الإسلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس ، وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى ، وجمعت المسلمين حول مركز واحد لا يفرق فيه ولا مذاهب ، ولا غموض فيه ولا فروض ، وسنرى فيما يلى كيف امتدت يد الظلام الى هذه المناهج فحولتها من حال الى حال •

عصور الظلام وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

بدأت عصور الظلام تطلّ قبيل نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، حينما ظهرت انجرافات مدّعى التشيع التى أدت الى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، واتجهت للمبالغة فى مكانة الامام على ، ولكن الامام وقف منهم موقفاً حازماً على نحو ما شرحنا فى مكان آخر (١) . بيد أن مبالغات الشيعة استأنفت نشاطها بعد مقتل الامام على حتى انتهت باسقاط الأمويين وإقامة الخلافة العباسية .

ومن الواضح أن الفرس هم الذين حملوا عبء مقاومة الأمويين ، فقد عز على الفرس أن تسقط امبراطوريتهم بسيوف العرب ، وأدرك الفرس الآلاء حول لهم فى مواجهة العرب عسكريا ، فاتجهوا لمحاربة أفكارهم الاسلامية وافسادها وكانوا بذلك من أهم العناصر التى أفسدت المناهج الاسلامية ليفسدوا الاسلام عن هذا الطريق (٢) .

واستطاع المماليك أن يستولوا على السلطة ابتداء من العصر العباسي الثانى فتفكك العالم الاسلامى وانحل الى دول متعددة متصارعة ، فظهر منذ ذلك الوقت ملوك وغاصبون لم يتعمق الاسلام فى قلوبهم ، ولم تتوافر فيهم شروط السيادة .

وظهرت المذاهب الأربعة وهى فى الأصل نعمة لأنها تضع أمام المسلمين حلولاً متعددة يختارون منها ما يناسبهم ، ولكن الأجيال التالية

(١) انظر الحديث عن الشيعة ومدعى التشيع فى الجزء الثانى من موسوعة التاريخ الاسلامى للمؤلف .

(٢) انظر حديثنا عن الزنج والقرامطة وغيرهم من الحركات التى قامت على الخليج العربى بمنطقة يتضح بها نفوذ الفرس ، وذلك فى الجزء السابع من موسوعة التاريخ الاسلامى .

تعصبت لهذه المذاهب ، واعتبرتها أصلاً للشريعة ، واعتبرت المصادر الإسلامية الأولى فروعا ، ويقول الأستاذ الشيخ محمد الخضري في ذلك :
بلغ الأمر باتباع المذاهب أن جعلوا الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، فأصبحوا يتخذون رأى الإمام أصلاً فإن خالفته آية أو حديث مهماً مؤولان أو منسوخان ، وفي ذلك يقول أبو الحسن عبد الله الكرخي : كل آية تحالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو مؤول منسوخ (١) .

تلك بشكل مجمل هي الأسباب التي قادت للانحراف الذي سنعرض لابرار بعض التفاصيل عنه فيما بعد ، ولكن ينبغي أن نذكر أن البصرة والكوفة لعبتا دوراً مهماً في الاتجاه نحو الانحرافات ، فهما في أرض كانت قد اجتثها الفرس أكثر من ألف عام قبل الفتح الإسلامي (من سقوط الكلدانيين سنة ٥٣٧ ق م حتى الفتح الإسلامي سنة ٦٣٣ م) وكان يقيم بها عدد من الفرس ، وفيها أقام كسرى إيوانه المشهور ، وقد صعب على الفرس في هذه المنطقة أن يصبحوا خاضعين للعرب ، فأثاروا المشكلات وابتدعوا المذاهب وكانوا وراء كل الحركات التي صارت الإسلام (٢) .

ويقول Wellhausen (٣) إنه ومجيداً بالبصرة والكوفة عدد كبير من الأجانب وبخاصة جماهير الإيرانيين الذين كانوا أسرى حرب ثم اعتنقوا الإسلام .

ووجدت بالبصرة والكوفة مدارس اللغة العربية التي نقلت اللغة إلى القواعد وتعمقت في ذلك ، وفي هذه المنطقة نشأ علم الكلام في القرن

(١) تاريخ التشريع الإسلامي ص ٣٣٣ .

(٢) انظر الحركات الفارسية بمنطقة الخليج في الجزء السابع من موسوعة

التاريخ الإسلامي للمؤلف .

(٣) Arab Kingdom and its Fall p. 71. (٣)

الهجرى الثانى ، وقد جلس واصل بن عطاء (١٣١ هـ) يعلمه لأول مرة فى مسجد البصرة كما سترى فيما بعد •

لكل ذلك ظهر أخطر حدث أدى الى ضعف الدراسات الاسلامية وهو الانحراف بالمناهج الدراسية على النحو الذى ذكرناه من قبل •

ومظاهر هذا الانحراف هى . كما ذكرنا من قبل :

(أولا) اختفاء أهم العلوم الاسلامية من المناهج •

(ثانياً) انحراف علوم اسلامية أخرى •

(ثالثاً) بروز علوم جديدة أسمت نفسها اسلامية وهى ليست من الاسلام فى شئ وسنتكلم بشئ من التفصيل عن كل مظهر من هذه المظاهر فيما يلى :

العلوم التي اختفت من المناهج

قلنا من قبل إن علم مقارنة الأديان وعلم الحضارة الإسلامية اختفيا من المناهج ابتداءً عن عصور الضعف ، وسنوضح فيما يلي لماذا اختفى هذان العلمان :

اختفاء علم مقارنة الأديان وأسبابه :

اختفى علم مقارنة الأديان للأسباب التالية :

١ - ازدحمت قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب كما ظهر فيها الأطباء والوزراء من غير المسلمين ، وبنفوذ هؤلاء ضعف صوت علم مقارنة الأديان الذي كان يطعن في التثليث وفي ألوهية عيسى وغيرها من المبادئ التي كانت الزوجات المسيحيات والعظماء المسيحيون يدينون بها ، وقد استطاع أصحاب النفوذ بالرهبة أو الترغيب أن يسكتوا أصوات المتحدثين في مقارنة الأديان ، وأن يقللوا أهمية هذا العلم في المناهج الإسلامية ، ثم يخلعونه خلعاً من الدراسة ، وفي عصر عبد الناصر حدث شيء قريب من ذلك ، فقد حاولت إدارة المطبوعات أن توقف كتباً في مقارنة الأديان بسبب تدخل بعض أصحاب النفوذ من المسيحيين ، ولولا ما اضطنعت من حيل لتحقيق لأصحاب النفوذ ما أرادوا عن طريق تأثيرهم في الحاكم .

٢ - زحف الصليبيون على الشرق الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وأرادوا تدمير العالم الإسلامي ، وأحس المسلمون أن الصليبيين لا يعرفون التسامح الديني ولا الجدل بالحسنى ، وأنهم يستحلون دماء المسلمين بدون ذنب أو جريرة ، فراح المسلمون يواجهون الصراع بالصراع ، وبالتالي خفّت صوت المجادلة بالحسنى ، ويوماً بعد ضعف علم مقارنة الأديان واتجه للذبول .

٣ - في عصور الضعف اتجه لكثير الفقهاء الى اللتعصب للمذاهب كما قلنا من قبل ، وقلّ أو انعدم اطلاع أتباع مذهب على المذاهب الأخرى وأدلتها ، ومن باب أولى قلّ أو انعدم اطلاعهم على الأديان الأخرى وقضاياها ، وبدل أن يعدّوا ذلك نقصا عدّوه حسنه ، وناموا في ساحتها .

٤ - كان كل من أتباع ديانات ما قبل الاسلام يرى أن دينه هو الدين الأوحى ، ويعدّ ما سواه من الأديان درطه وضلالا لا تستحقّ بحثا أو دراسة ، فلما اختلط الصليبيون بالمسلمين في فترات الهدنة بفلسطين ، وسمع المسلمون هذا القول من الصليبيين دان به بعضهم ووجد من المسلمين من يرى أن البحث في الأديان الأخرى مضيعة للوقت . بل ربما عدوه مكروها أو حراما ، ناسين ما سبق أن أوردناه من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول التي تحت عليه ، وقد انحدر هذا الاتجاه من قرن الى قرن .

ومن عجب أن الصليبيين الذين أشاعوا هذا الرأي في المسلمين التقطوا الزمام وتعلموا من المسلمين أسس علم مقارنة الأديان ، وراحوا به يغمزون الاسلام والفكر الاسلامي .

ومات هذا العلم العظيم في ثنايا هذا الظلام ، وفقدت المناهج الاسلامية بفقده علما يعدّ من أنفع العلوم الاسلامية وأمتعها .

اختفاء علم الحضارة الاسلامية وأسباب ذلك :

تكلّمنا من قبل عن أنواع الحضارة الاسلامية فذكرنا أنها تشمل حضارة الخلق وحضارة البعث (الحضارة التجريبية) وحضارة التاريخ أو الدول . وأوحزنا ما ينطوى عليه كل نوع من هذه الأنواع . وقد اختفت هذه الحضارة من المناهج بمؤامرات ينبغي التعرف عليها وبالتالي القضاء عليها .

وهذه المؤامرات أو هذه الأسباب هي :

- اختفى المنهج الاسلامي في مجال السياسة لأن هذا المنهج يهتم

(م ٩ - المناهج الاسلامية)

بالشروط التي يلزم أن تتوافر في الخليفة أو الرئيس ويُنزِم رلى الأمر بالشورى خلال حكمه ، ويجيز عزله عند الاقتضاء ، ولا يقبل التوارث في الحكم •

وكل هذه المبادئ كانت في عصور الظلم ضد رغبة الحكام • فقاوم هؤلاء هذا الاتجاه الذي يمثل ركنا مهما من أركان الحضارة الإسلامية وكانت وسيلتهم للقضاء عليه ابعاده عن المناهج حتى لا يعرفه جيل الطلاب ويختفى يوما بعد يوم •

— اختفى النهج الإسلامى فى مجال الاقتصاد لأن الثراء كان فى أيدي أصحاب النفوذ ، ولم يرد هؤلاء أن يدفعوا حق الفقير وحق الدولة ، فاتجهوا الى محاربة الاتجاهات الإسلامية الاقتصادية ، وبالتالي تعطل جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية ، وقنع الباحثون بالحديث عن الزكاة مع أن الزكاة ليست إلا جزءا من الالتزامات التي يلتزم الأغنياء بها تجاه الفقراء وتجاه الصالح العام (١) •

— اختفى النهج الإسلامى فى مجال الرق ، ذلك النهج الذى يقضى على الرق تبعا لقوله تعالى « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منّا بعد واما شداء (٢) » ويقول عليه السلام : (شر للناس من باع الناس) وكان اختفاء النهج الإسلامى استجابة لرغبات القصور التي حشدت بالمعوانى والعبيد ، فلم تسمح هذه القصور بتعليم ما يتنافى مع منفع السادة ولذا اذهم •

— واختفى النهج الإسلامى فى موضوع العلاقات الدولية الذى أوجزناه آنفا ، لأن شعار الحرب غلب على القدوم ، ولأن الزعماء كانوا يتوقون للنصر بأى ثمن ، كما كانوا يسعون للغنائم ، فازالوا من المناهج ما يخالف رغباتهم فى هذا الاتجاه •

(١) انظر فى ذلك كتاب الاقتصاد فى التفكير الإسلامى للمؤلف •

(٢) سورة محمد الآية الرابعة •

وهكذا اخففت من المناهج الاسلامية أنواع الحضارة الاسلامية ،
وعاماً بعد عام ، وقرناً بعد قرن خلت المعاهد الاسلامية من الحديث عن
هذه الحضارة التي هي مفخرة الاسلام والمسلمين ، ولم يبق من الحضارة
الا قدر يساحب كالأشارة الى قصر الحمراء بغرناطة أو الجامع الأزهر
بمصر ، أو الجامع الأموي بدمشق ، أو كالتغنى بالحضارة الاسلامية
التي زحفت من الأندلس ، أو من فلسطين الى أوروبا ^(١) فعلمتها علوماً
أهمها أصحابها الأصليون ، وقنعوا منها بالذكريات .

وفي مطلع النهضة الفكرية بالعالم الاسلامي اتجهت الدول الاسلامية
لإرسال المتخرجين المتفوقين من جامعاتها لاستكمال دراساتهم العليا في
أوروبا فجلس الطلاب المسلمون يتلقون مناهج البحث وصور النقد
والمقارنة ... عن المستشرقين ، ولم يكن المستشرقون حريصين على إبراز
الحضارة الاسلامية الأصلية أو أحيائها ، فتركوها في الظلام ، ولكتهم لم
يستطيعوا اخفاء النظم الاسلامية وهي المؤسسات التي أقامها المسلمون
عبر التاريخ لتنفيذ الحضارة كالجامعات والمكتبات والمستشفيات والمناصب
لأن هذه النظم كانت حقيقة واقعة ، وكانت من الشهرة بحيث لم يمكن
تجاوزها ، فدرسوا لنا في أوروبا منهجاً عنوانه النظم الاسلامية
Islamic institutions وعاد المبعوثون المسلمون فألّفوا في النظم
الاسلامية ، ولم يقربوا من التأليف في الحضارة الاسلامية .

(١) عن طريق الأندلس انتقلت الى أوروبا حضارة المسلمين التجريبية ،
تدريس ملوك أوروبا على الاسادة بما لدى المسلمين من طب وهندسة ...
دربوا الطلاب للجامعات الاسلامية وشجعوا ترجمة الكتب العربية في هذه
العلوم الى لغاتهم . اما النشورى والنهج الاقتصادى وحقوق المرأة ... فقد
قاوموا ملوك الغرب لأنها تنقص حقوق السادة ، ولكن هذه العلوم قاومت
ووجدت طريقها الى الغرب خلال الحروب الصليبية بواسطة الاحتكاك بين
المسلمين والمسيحيين وبخاصة في فترات الهدنة ، ثم انتقلت الحضارة الاسلامية
نوعياً عن طريق أوروبا الى أمريكا وغيرها من ربوع العالم وقد ذكرنا ذلك
في المقدمة السابقة التي صدرنا بها هذا الكتاب .

وكان اخفاء الحضارة مقصودا ، لأن بعض المستشرقين عرّفوا سمات الحضارة الاسلامية وأشاروا اليها اشارات عابرة في بحوثهم كما فعل Emerton, Kirk and Gosiph Calmith وغيرهم ولكن أحدا منهم لم يعمل على التنقيب عليها وعرضها كاملة ، وهو الدور الذى حاولت أن أقوم به .

ووجد بين المسلمين بل بين المفكرين من يقول أن عصر صدر الاسلام كان مشغولا بالدعوة ، واتجه العصر الأموى للغتوحات. والتوسع ولم تزدهر الحضارة الا في العصر العباسى . وهذا رأى يتجه الى ان الحضارة الاسلامية هي حصيلة الترجمات الى اللغة العربية وبخاصة في بيت الحكمة ، وهذا رأى ضعيف نشأ عن عدم التعرف على الحضارة الاسلامية الأصيلة التى قدمها القرآن وأحاديث الرسول في مطالع الاسلام ، ولم يكن دور بيت الحكمة الا شديد الارتباط بالحضارة التجريبية ، أما الحضارة الاسلامية الأصيلة فقد جاءت مع القرآن الكريم وأحاديث الرسول ، وتم تفصيلها وتدوينها في العصر العباسى الأول كما ذكرنا من قبل .

وعندما اختفت الحضارة الاسلامية الأصيلة اختفت أيضا حضارة البعث وحضارة الدول ، فقد تراجع المسلمون ، ولم يهتم زعماء الدول الاسلامية بتقديم شئ للشعوب بها ، وقنع الحكام بالأنانية وأن يعيشوا لأنفسهم لا للناس .

وهكذا أصبحت الحضارة الاسلامية مجرد ذكرى ، بل عادها كثيرون ممن لا يعرفون قدرها ، فقد رأينا بعض الكليات تحاول أن تحذف من المناهج الدراسية الساعات القليلة المخصصة للحضارة الاسلامية ، وأغلب الظن أن ضعف الوعي بهذه المادة هو الذى دفع الى هذا الاتجاه ، وقد تساءلت شخصا عن سبب ذلك فقل لي نحن لا نحذفها وانما ندمجها في التاريخ الاسلامى . والاجابة تدل على عدم ادراك الفرق بين التاريخ الاسلامى وبين الحضارة الاسلامية ، وهو ما حاولنا ابرازه هنا .

العلوم التي انحرفت عن المسار الصحيح

إذا حُتُّنا الى العلوم الاسلامية التي لم تختف من المناهج ، فاننا نجد الكثير منها قد انحرف عن المسار الصحيح ، وانتقل من روحانية الاسلام وجماله الى ماديات خسنة بعيدة عن صفاء الاسلام . وهذا الانحياز يشول به كل الباحثين في سُئرن المناهج الاسلامية ، ونبل أن انطلق عارضاً نماذج من انحراف الفقه والتفسير وغيرهما من العلوم الاسلامية أقنيس سطوراً من بعض الباحثين المسلمين :

رأى الأستاذ محمد المبارك :

قام المرحوم الأستاذ محمد المبارك الوزير السوري (سابقاً) بدراسة النظام الحالي للتعليم والمواد التي تدرس بالمعاهد والكليات الاسلامية ، وفي ذلك كتب يقول :

« أكثر ما يقرأ في التفسير هو تفسير الجلائن والنسفى على ما فيهما من اسرائليات • والغالب في طريقة التفسير فهم الآيات مجزأة والروى سرباً بآيات الأحكام دون تحقيق ودون الرجوع الى مجموع الأدلة ومقارنة الآراء ، ولذلك لم ننتج هذه الطريقة السعق في فهم مقاصد القرآن وكلياته الكبرى •

« وفي الفقه اتجهت الدراسة اتجاهاً مذهبياً ، ولا يدرس الطالب الا مذهبه ، ولا يطلع على المذاهب الأخرى ، وبهذا غلبت الحموية المذهبية •

« وفي أصول الفقه لم ينجح الدراسة لمعرفة طريق استنباط الأحكام ومناقشة الأدلة وفحص المناهج الأصول ، وإنما جردت الدراسة في ذوائب وأنكاف ترمى وتحفظ ...»

« وفي اللغة العربية انصبت العناية على مواد النحو والصرف والبلاغة وأصبحت مواد اللغة والأدب شعره ونثره قليلة انحص ، ويندرس النحو وتكرر دراسته الى حد الاسراف

« واتجهت البلاغة الى كتب تغلب عليها الصبغة الفلسفية والى التعقيد فى الأسلوب مع بُعد عن الذوق الأدبى ، وعلى هذا لا يوجد أى أثر للبلاغة فى تحسين أسلوب من يقرأونها ، ولا فى تكوين ملكة أدبية لديهم ، أما كتب اللغة والأدب كالأمالى والكامل والعقد الفريد والأغانى فقلّ بل ندر من يقرأها (١) » .

رأى الأستاذ الحبيب الجنحاني :

ومثل هذا ما يقوله الأستاذ الحبيب الجنحاني عن تشر الثقافة الإسلامية فى بلاد المغرب ، ونقتبس من كلامه بضعة سطور :

« توقفت الحركة العلمية بالمغرب أيام الوطاسيين توقفا تاما تقريبا . ثم بدأت تنشط فى عهد السعديين ، ولكنها لم تعدم العوائق التى عاقتها عن استئناف السير الى الامام اذ أصبحت العلوم فى حالة من الابهام والجمود باعثة على النفرة ، فقد انتشرت الشروح المملة لمسائل الفقه ، كما انتشر أيضا علم الكلام وفن القراءات ، وطفى التصوف الكاذب .

« وأما علوم اللغة فقد انتشرت أيضا لا سيما النحو والبلاغة ، ولكن انتشار هذين العلمين كان عقيما ، فالنحو اعتمد على المنظومات ، والبلاغة اتجهت الى الألفاظ والقواعد والزخرفة الثقيلة ، مما كان سببا فى بروز التكلف الفاضح والذوق البليد (٢) » .

ولسقط للقارئ بعض التفصيلات عن احراف المهاج فى هذه العلوم .

الفقه :

حفل الفقه الإسلامى بأروع مجموعة من الشريعات تمتاز بالنسب والالحكمة ، ولكن كتب الفقه اتجهت عند عرض هذه التشريعات اسجاها عجيبي ، فقلما تحدثت عن حكمة التشريع . حتى فى الموضوعات التى ينبغى أن يبدأ

(١) بحث مقدم للمؤتمر العالمى للتعليم . سلاوى ص ٨ و ١٠ .

(٢) الحبيب الجنحاني : المتري صاحب سنج الخطيب ص ٢٧ - ٢٨ بايجاز .

الحديث فيها بابرار حكمة التشريع كالزكاة ، ومع أن أكثر انفتهااء بخلوا
بفراغ يشرحون فيه هذه النقطة المهمة نخدمهم يتجهون الى تفاصيل واسعة
فيما لا يحتاج الى تفاصيل ، وأمامي الآن حشد من الكتب المفردة بالأزهر ،
وفيه تفاصيل عجيبة عن أنواع المياه . وتفاصيل في باب النجاسة وغيره
من الأبواب ، وبالإضافة الى التفاصيل ازدحمت كتب النجاسة بالخروص
التي قد لا تحدث مدى الحياة وفيما بلى بعض النماذج لذلك :

— لو اسنأك بامسبع غيره وهى خشنة أجزأه ذلك ، قاله في شرح
المهذب وفي أصبعه خائف ، الراجع في الروضة لا يجزىء والراجع في شرح
المهذب الاجزاء ، وبه قطع القاضي حسين والحاملي والبغوي والشيخ
أبو حامد ، واختاره الدرياني في البحر . يا لله ! كيف شغل هؤلاء جميعاً
أنفسهم بهذه المسألة الساذجة ! ! التي لا يعقل أن تحدث مع مر السنين
والقرون .

— لو غرز الصائم سكيناً في ساقه لم يفطر ، ولكن لو غرزها في جوفه
فانه يفطر .

— لو أدخل الصائم بعض خيط في جوفه قبل الإمساك . وبقي العض
الآخر خارج الجوف فانه يعطّر اذا شد الخيط وأخرجه من جوفه ، ويفطر
كذلك اذا ابتلع الجزء الخارجى .

— اذا كان للرجل ثلاث نسوة ثم يدخل بواحدة منهن . اسم واحد
منهن زينب والأخرى عمرة . والثالثة حمادة . فقال لزينب أن طلقك فزينب
طالق ، ثم قال لعمرة : ان طلقك فحمادة طالق . ثم قال لحمادة : ان
طلقك فزينب طالق . فطقت زينب نكيتها واحدة فان زينب طقت نكيتها
التي طقتها ، وتطلق عمرة نكيتها بالحث . ولا يقع الطلاق على سريماً .
ويستمر محمد بن الحسن في فروض حرن هذا الموضوع عند المستأ الى
عالم أفاض وتحتاج الى متخصص في علوم الرياضة .

وإذا تركنا مسألة المروض قابلتنا صورة اعجب في كتب الفقه ،
 هي أن من الفقهاء من حارب روح الاسلام برسم النحل للقراء لتخلص
 من بعض الأحكام الشرعية ، ونضرب لذلك مثالين :

— إذا أراد المالك أن يتخلص من دفع الزكاة فإنه يجب أمواله لزوجته
 قبل أن يحول الحول ، وترد الزوجة المال لزوجها قبل أن يحول الحول
 على ملكيتها للمال وهكذا ، وعلى هذا لا تجب الزكاة على أى منهما •

— إذا أراد أن يأخذ ربا عن قرض فإنه يبيع للمقترض شيئاً يملكه
 بنمن مرتفع ويقبض الثمن ثم يشتريه من المقترض بثمن منخفض ، ويبقى
 له اسرق ، ويمنحه القرض بعد ذلك بدون زيادة ، لأنه أخذ الزيادة
 مقدماً •

وإذا تركنا الحيل قابلتنا المذهبية في الدراسات الفقهية ، تلك المذهبية
 التي صرفت كثيراً من الفقهاء عن المصادر الأساسية للتشريع الاسلامي
 وجعلتهم يتجهون لدراسة كتب امام معين ، ويدرسون طريقته التي استنبط
 بها ما دونه من أحكام وقد وصل بهم التعصب للمذاهب أن جعلوا الأصول
 فرعاً والفرع أصلاً ، فأصبح رأى الادماء أصلاً عندهم ، فان خالفته آية
 أو حديث ، فهما مؤولان أو منسوخان كما ذكرنا من قبل نقلاً عن أبي عبد الله
 الحسن التكريفي • وقد اتبعه الفقهاء في عدم الاعتناء بهذا الانحياز على
 أغرام دين أن غير واحد من الأئمة قال : « إذا صح الحديث فردد مذهبي
 وانصروا بتولي عرض الحائط » •

وانتيت المذهبية الى ابارة الأحقاد والانحلافات ، بل الى الصراع
 والحروب كما أسرنا من قبل نقلاً عن ياقوت وعن الخطيب البغدادي •
 تلك لحظة سريعة عن انحرافات الفقه في عصور الظلام • ولنترك الفقه
 إلى علم آخر من العلوم الاسلامية •

النتيجة :

سبق أن تحدثنا عن التفسير وعن إزدحامه بالاسرائيليات ونقرر أن اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام صعب عليهم تحريف القرآن لأن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظه بقوله :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١) .

وعند ذلك اتجه اليهود الى التفسير ليُدخلوا عن طريقه ما شاءوا من انحرافات على أنها التأويل الحق للذكر الحكيم .

ويعتبر تفسير ابن كثير نموذجاً للتفسير الحافلة بالاسرائيليات ، وقد اعترف بذلك الأساتذة الأزهريون الذين قاموا بتحقيقه ونشره حديثاً ، فذكروا في صفحة ١٢ من الجزء الأول أنه يمتليء بالاسرائيليات التي لا تستند الى عقل أو نقل ، وقد جاء في ص ٦٨ قوله أن الله قد خالق الأرض على ظهر جهنم .

ويجىء لنا في التفسير سؤال مهم يرتبط بطريقة التفسير وتاريخ ظهوره ، والاجابة عن هذا السؤال تحدد مكانة التفسير بين العلوم الاسلامية .

والموضح أن بعض الكلمات أو مدلول بعض الآيات كان يخفى على المسلمين منذ عهد الرسول صلوات الله عليه ، وكان المسلمون بلجأون للرسول لفهم ما غمض عليهم ، وقد روي - كما ذكرنا من قبل - أنه عليه السلام سئل عن معنى كلمة « خيزى » في قوله تعالى « قسمة خيزى » فقال : جائزة * ومن الآيات التي لم يفهم المسلمون معناها قوله تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (٢) وقد سأل على بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال : هو

(١) سورة الحجر الآية التاسعة .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

الشعاع الأول من النهار الذى يطارد سواد الليل ^(١) . وقد ظل الحال على ذلك طيلة القرنين الأول والثانى أى كان الصحابة والمتابعون يفسرون ما غمض على الناس ، وكانوا يقدمون التفسير مما روه عن الرسول أو عن صحابته .

هذا هو مدلول تفسير القرآن الذى يجب ألا نتعداه ، أى أن نوضح معانى الكلمات ومعانى الآيات التى تخفى على الناس ، ولا تجوز الزيادة على ذلك ، أما أخذ الأحكام من القرآن الكريم فذلك عمل الفقهاء الذى سيجمع الآيات التى تتحدث عن الصلاة أو الصوم أو المال وغيرها ، ويجمع الأحاديث عن هذه الموضوعات كذلك ثم يستنتج الأحكام ، وللبلاغيين وهم يتحدثون فى البلاغة أن يقتبسوا من القرآن الكريم ما يوضح أهدافهم . وللباحثين فى الحضارة الإسلامية أن يعودوا للقرآن الكريم وأحاديث الرسول فيها فيض يساعد هؤلاء الباحثين على عرض جانب الحضارة الإسلامية وخصائصها ، أما التمداد فى التفسير لغير التفسير فهو خروج عن الغاية ، واعطاء قرصة لأعداء الاسلام لينقثوا سمومهم ، ثم أن الامام السيوطى يحذر من المفسرين الذين يخوضون فى كل شئ وهم الذين ظهروا فى عصور الضعف ويسمىهم « عوام المفسرين » ^(٢) .

فاذا جئنا الى تاريخ ظهور علم يسمى « علم التفسير » فاننا نرى أنه ليس من علوم صدر الاسلام ، وأنه لم يظهر إلا فى مطلع القرن الهجرى الثالث ، ويحكى لنا ابن النديم قصة ذلك فيقول ^(٣) : ان عمر بن بكير كان منقطعاً الى الحسن بن سهل (٢٣٦ هـ) فكتب الى الفراء (٢٠٨ هـ) يقول ان الأمير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشئ بعد الشئ من القرآن فلا يحضرنى فيه جواب ، فان رأيت أن تجمع لى أصولاً أو تجعل فى ذلك كتاباً أرجع اليه فعلت فبدأ الفراء يكتب تفسيراً متصلاً متكاملًا للقرآن

(١) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للزائف ص ٩٨ .

(٢) الالتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٤٠ .

(٣) الفهرست ص ٦٦ .

الكريم كنه ، ويختتم ابن النديم روايته هذه بقوله : ان أحداً لم يفعل قبله مثله •

ونحن نحیی الفراء أن قام بهذا العمل المتكامل ليوضح لغير العرب ولحدودي الثقافة من العرب ما غمض عينيهم من الذكر الحكيم ، وطبيعة مثل هذا العمل أن يشرح ما يحتاج للشرح فقط أما أن يتخذ تفسير القرآن وسيلة لحشد آراء المعتزلة أو الأحكام الفقهية أو البلاغية ... فقد فتح هذا التصرف الباب للأساطير ولالسرأئليات ، وهذا ما لا يتفق مع جلال القرآن ، ولا مع علم التفسير الذي ينبغي أن يظل في نطاق إيضاح كلمات القرآن أو آياته ، وأن يربطها بأسباب النزول الأكيدة ليزيدها شرحاً وبياناً ، وما عدا ذلك من الأفكار فلا مجال له في علم التفسير •

وللأسف نقرر أن التفسير أحياناً يجلب الغموض ، فإننا عندما نقرأ القرآن الكريم نطرب لما في أسلوبه من حسنة وطلاوة وأدب ، فإذا قرأنا للتفسير اختلف أحياناً ، كأن التفسير يثبهم ولا يشرح •

ولنأخذ مثلاً لذلك من كتاب التفسير المقرر على القسم الثانوى بالأزهر وهو تفسير النسفى ، وليكن المثال الذى نوردده هو الآيات الأولى من سورة القمر وتفسيرها •

يقول الله تعالى : اقتربت الساعة وانشق القمر : وإن يروا آية يعرضوا ويتولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغن النذر « (١) •

والآيات واضحة الدلالة على أنها إنذار للمعارضين ، وتخفيف لهم بقرب قيم الساعة ، وبأن القمر سينشق لا محالة ككل الأجرام التى ستبتر لهول القيامة : ثم ان الآيات تصف الكفار بالأعراض عن كل آية

ومعجزة تحث على الايمان وبأنهم يقولون عن هذه الآيات انها سحر متكرر ، وهم بهذا الموقف كذابون يتبعون ما تزينه لهم أهواؤهم ، ولا شك أن هذا الضلال له نهاية ، وتذكر الآيات الكريمة أن ما جاء به محمد من أخبار للأمم السابقة ، ومن الحقائق الكونية كان يكفى لجزهم لو فكروا ، ولكن الحكمة العظيمة والنذر القوية لا تنفع من أغلق عقله وقلبه ، ولم يتردد اتباع الصراط للقويم .

ماذا يقول الشيخ النسفى فى شرح هذه الآيات الكريمة ؟ اينما نثبت فيما يلى كلماته .

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرىء وقد (انشق القمر) نصفين وقرىء وقد انشق أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدمه . قال ابن مسعود رضى الله عنه : رأيت خراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة وللمجهول على الأول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على أهل الأقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً ، لأن الطباع تجلبت على نشر العجائب . فهذا الاعتراض يجاب عنه بأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم بخيم .

(وإن يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الامان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قرى من المرة أى القرة ، أر دائم هارد (وكذبوا) النبى صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن فى وقته وتيل كل ما قدر واقع ، وقيل كل أمر من أمرهم واقع مستقر أى سينت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون للخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازديجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته أى منعه ، وأصله

ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالا لأن التاء جرف مهموس والراء حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسب ، وهذا في آخر كتاب سيبويه (حكمة) يدل من ما أو على حكمة (بالغة) نهاية الصواب أو بالغة من الله اليهم (فما تغن النذر) ما نافية النذر جميع نذير وهم الرسل أو المندر به أو النذر مصدر الانذار •

وهكذا سجد كلام النسخى ينسمل فكرياً غير هسلهم به يعتمد على أقوال غير ثابتة ، كالقول بأن القمر قد انشق فجلاً ، وكقوله ذون تنليق ما أسند الى ابن مسعود من أنه رأى حراء بين فلقتي القمر ، وهو كلام غير مفهوم ، وشمل كلام النسخى كلاماً لسبويه ، ثم أن طريقته في التفسير مفككة تشرح كلمة كلمة دون أن تعطى معنى عاماً واضحاً للآيات الكريمة •

ومن صبور التفاسير ما أورده الزركشى من أن الألف والسلام في « الحمد لله » مختلف فيهما ، فقليل للاستغراق ، وقيل لتعريف الجنس ، ومنع كونها للاستغراق قليل وهي نزعة اعترالية (١) •

الحديث :

قلنا آنفاً — عند الكلام عن التفسير — ان لليهود وغيرهم من أعداء الاسلام عندما صمم عليهم تحريف القرآن الكريم لجأوا الى تفسيره ليُدخلوا عن طريقه ما شاءوا من انحرافات على أنها مدلول القرآن الكريم ، ونقول هنا ان محال الحديث الشريف كان خصباً لهؤلاء الظالمين ، ومما ساعدهم على ذلك أن الحديث لم يدور في عهد الرسول ختسية أن يختلط بالقرآن الكريم ، وقد روى عن الرسول صلوات الله عليه أنه نهى عن كتابة غير القرآن ، فقد قال فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري : « لا تكتبوا على ، ومن كتب على غير القرآن فليمحسه ، وحدثوا على ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » •

(١) الشكول للعالمى ص ٨ •

ويؤخذ من هذا الحديث نقطتان ، النقطة الأولى نهى الرسول عن تدوين الأحاديث ، والنقطة الثانية احساس الرسول باحتمال الوضع وتحذيره منه •

وكان عديم تدوين الأحاديث فرصة أمام مدعى التشيع ومعهم اليهود ليضعوا حشدا من الأحاديث وينسبوها للرسول ، ولعل حديث « غدير خم » كان من مطلقها ثم تثبت أحاديث أخرى في مختلف النواحي (١) •

وقد بذل أعداء الإسلام أقصى الجهد لترويض أحاديث كاذبة يرويها بعض من عرف بالعدالة والنزاهة ، ومما يدل على ذلك قول الشعبي : لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا ، وأن يمتثلوا بيّتي ذهابا على أن أكذب على رسول الله كذبة واحدة لقبلوا ، ولكنى والله لا أفعلها أبدا (٢) •

فاذا امتنع الشعبي وسواه من الأبرار على هؤلاء ، فقد كان لهؤلاء وسائل متعددة ليصلوا الى هدفهم ومن هذه الوسائل نشر الكتب ، فان جامعي الأحاديث المشاهير ابتداء من الامام البخارى تركوا ما جمعوه في رقاع مخطوطة ، وطبعت هذه المخطوطات بعد ذلك بأمد ليس بالقصير ، ومن المحتمل أن يدا عبثت بمؤلفات هؤلاء فأضافت اليها قبل نشرها ما ليس منها ، ولم يخل زمن من الأزمنة من هؤلاء الطغاة (٣) ..

وقد لاحظ بعض المفكرين المسلمين هذا الوضع فأعلنوا استنكارهم لذلك ومن هؤلاء الأستاذ على محمد عيد الذى نشر مقالا بصحيفة الأخبار في ديسمبر ١٩٧٦ عنوانه « كلام لا يصدقه عقل يدرسونه في الأزهر » والعنوان واضح الدلالة على انحرافات كثير من العلوم الاسلامية وبخاصة ما نسب للرسول من أحاديث •

(١) انظر بعض هذه الأحاديث في الجزء الثانى من موسوعة التاريخ ص ١٢٤ وما بعدها •

(٢) ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ •

(٣) انظر دراسة عن هذا الموضوع في موسوعة التاريخ ج ٢ ص ١٢٨ الطبعة السادسة •

وبعد ذلك بفترة نشر الدكتور محمد الطويل المدرس بجامعة القاهرة مقالا أورد فيه حديثا ورد في البخارى ج ٢ ص ٩ في باب « من أحب الدفن في الأرض المقدسة » ونص هذا الحديث هو : « حدثنا محمود ، وحدثنا عبد الرازق ، أخبرنا معمر ابن طاووس عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه - أى ضربه على عينيه - فرجع الى ربه فقال : أرسلنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال . ارجع فقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنبة ، قال لى ربي ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت » .

ثم نشر الدكتور محمد حسان في صحيفة الأخبار الصادرة في ١٩٧٧/١٢/٣٠ مقالا أكثر شمولا قال فيه :

لو قدر لهذا الامام الجليل « البخارى » أن يثبث اليوم حيا ليطلع على كتابه لتحسر ألما على ما حدث فيه من دس وتحريف . . ولا مدت يده تنزع منه تلك الصفحات التى دثت فيها الروايات الاسرائيلية الباطلة . . فقد وجداء عداؤا الاسلام فى ثقة المسلمين المطلقة فى أحاديث البخارى الفرصة مواتية لبث سمومهم فى لسان النبوية الشريفة فراحت الأيدي الآثمة تدس الروايات الفاسدة وساعدها على ذلك العوامل التالية :

- ١ - عصور الفتن والغزوات الاستعمارية التى مرت بالأمة الاسلامية .
- ٢ - أن الطباعة منذ ظهورها كان أكثر أصحابها من أعداء الاسلام ، وقد امتد احتكارهم لها مدة طويلة مما سهل أن يطبع صحيح البخارى بعد التحريف والدس .
- ٣ - أن صحيح البخارى قد اعتمد أساسا فى جمعة للأحاديث على شرط « صحة للسند » وهذا يسهل مهمة الأيدي العابثة ، فما أسهل أن تدس هذه الأيدي حديثا مكذوبا بعد أن تضع له سنداً موضع دقة وتقدير .

٤ — تعطش العقل الاسلامى وتوقفه قرونا طويلة عن أية محاولة لتنقية التراث الاسلامى ، مع اقراره بأن فيه الكثير من المدسوسات *

ويقدم الدكتور حسان نماذج مما ورد فى البخارى ولا يمكن أن يكون من كلام سيدنا رسول الله ، ولا مما ارتضاه البخارى ومن ذلك :

١ — « أن سيدنا موسى عندما جاءه ملك الموت لتقبض روحه هبكه ففقا عينه » طبعة الحلبي ج ٢ ص ١٥٤ (وهو الحديث الذى رويناه من قبل) *

٢ — « أن الحجر هرب بماليس سيدنا موسى عندما نزل ليستحم ، فرآه بنو اسرائيل وهو عار تماما ، وأن المولى عز وجل هو الذى فعل به ذلك حتى يتأكد بنو اسرائيل من أن جسده ليس به برص وأنه ليس بأدر (أى عظيم الخصيتين) كما كانوا يتقوّلون عليه » ج ١ ص ٤٣ *

والحجر لا يهرب بالملايس إلا بمعجزة ، وليس من معجزات موسى هرب الحجر ، ثم إن عثرنى موسى وسط قومه كشف لهجرة تخالف التشريع الإلهى *

٣ — « أن سيدنا ابراهيم قد كذب ثلاث كذبات منها اثنتان فى ذات الله ، وأن الكذبة الثالثة أنه جعل زوجته تقول لأحد الملوك أنها اخته خوفا من أن يقتله ليتزوجها ، وتركها تذهب الى الملك الذى راودها عن نفسها لينجو هو برقبته » ج ٢ ص ١٤٦ *

٤ — « أن سيدنا سليمان أقسم أن يطوف فى ليلة واحدة على تسعين امرأة تحمل كل منهن ببطل » ج ٤ ص ١٧٦ *

ولا يعرف التاريخ هذا العدد من الأبناء لسليمان *

ولا يمكن أبدا أن يكون الامام الجليل البخارى هو الذى روى هذه الأحاديث لأن بعضها يتعارض مع الفكر الإسلامى تعارضا تاما ** وبعضها

يطعن طعناً واضحاً في رسل الله بالإضافة الى أنها تتعارض بشدة مع بديهيات العقل، واعتقادى أن هذه الأحاديث دخيلة على صحيح البخارى خلال الفترة الطويلة التى مرت بين وفاة الامام سنة ٢٥٦ هـ وبين طبع صحيحه •

وليس بدعاً بعد هذا أن نعود لكتب الحديث بالتنقيح متبعين القاعدة التى ارتضاها علماء الحديث وهى رد الحديث الذى يتعارض مع آيات القرآن الكريم الصريحة أو مع بديهيات العقل وسائر ما هو يقين • ولا يعنى هذا الموقف أى تشكيك في السنة كما يخاف البعض ، بل أن ترك كتب الحديث على هذا الوضع هو الذى يدعو الى التشكيك وعدم الثقة ، أما رفع بضعة أحاديث من البخارى وغيره فانه يترك لنا ذخيرة واسعة لا شكوك حولها ، ولا تحتاج للدفاع عنها •

ثم اننا إذا دافعنا عن البخارى كله ، وتمسكنا به كله ، فان هذا يعنى اننا نضعه في منزلة كتاب الله ، وذلك جهل نعيذ علماء المسلمين من الوقوع فتيهه •

وإذا تركنا صحيح البخارى واتجهنا الى الجامع الكبير للسيوطى وجدنا صيحة عالية يردددها خيرة العلماء ، تذكر أن به عشرات الآلاف من الأحاديث المدسوسة ، وأن السيوطى نفسه اختار ما يوثق به من أحاديث الجامع الكبير فدونها في الجامع الصغير ، ومع هذا اتجه الأزهر لنشر الجامع الكبير وهو شئ يدعو للعجب •

وفي دراساتى عن الأحاديث المرتبطة بالسيرة النبوية واجهت كثيراً من الأحاديث التى وردت في البخارى ، ولكن علماء الحديث لم يقبلوها ولا يستطيع أن يسلم بها فكر المؤمن ، ومن هذه الأحاديث ما اتصله بالأسراء والمراج ، ولا شك أننى كمسلم أجزم بحدوث الأسراء والمراج ، وأرى أن ذلك حدث بالروح والجسد ، ولكنى لا أستطيع أن أقبل ما ورد من أن موسى قال لرسولنا عليه السلام : أنا أعلم بالناس منك ، وقوله (م ١٠ - المناهج الإسلامية)

له :- أمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا ، فهذه الأوصاف لا تطابق الواقع ، ويظهر فيها روح الأسرائيليات (١) .
وفي هذه الدراسة عن الاسراء والمعراج يصعب على المسلم أن يقبل النقسط التالية :

١ - ركب الرسول براقا تصفه الرواية بأنه حيوان فوق الحمار وتحت البغل .

وإن روح الحقد ظاهرة في هذا النص ، والإنسان يتساءل : لماذا لم يتل تحت الحصان ، فالحصان في حجم البغل ؟

٢ - في بيت المقدس صلى الرسول بالأنبياء ركعتين .

٣ - صعد الرسول ومعه جبريل الى السماء ، ووقف أمام كل سماء ليدق جبريل الباب ، ويسأله الملاك الواقف بالباب : من أنت ؟ من معك ؟ أو بشعث محمد ؟ وهل أذن له ؟ ... وبعد الاجابة يفتح الباب لهما ويسيران الى الباب التالي وهكذا ...

٤ - بعد السموات السبع توقف جبريل وطلب من الرسول أن يتقدم هو ، لأن جبريل لا يستطيع أن يتقدم أكثر من ذلك .

٥ - فترضت الصلاة على المسلمين خمسين صلاة في اليوم والليلة ، ولكن في عودة محمد احتيسه موسى في السماء السابعة ، وسأله عما فترض عليه وعلى أمته ، فأعلمه الرسول ، فقال له موسى : أمتك لا تنوى على ذلك وأنا أعلم بالناس منك ، أرجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فعاد محمد ، فجعلها الله خمسا وأربعين ثم أعاده موسى مرة ثانية وثالثة ورابعة ... وفي كل مرة تنقص خمسا أو عشرا الى أن صارت خمس صلوات ... وقد حاول موسى أن يعيد الرسول مرة أخرى بعد ذلك ، ولكن الرسول أجابه بأنى أخجل من ربى أن أعود بعد ذلك ، وفي رواية لأنه عاد فعلا ولكن الله قال له : لا يبدل القول لدى وثبكتها خمسا .

(١) اقرأ كتاب الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات والخيال - للمؤلف .

وقد تدارس المفكرون المسلمون الأحاديث التي تصوّر الاسراء والمعراج بهذه الصورة ، ومن الذين تدارسوا هذه الأحاديث ابن كثير ، وقد وصف بعض ما ورد من أحاديث حول الاسراء والمعراج بالاضطراب ، وحدد ما ينبغى أن يعتقده المسلم وما ينبغى أن يتركه .

وفيما يأتى كلمات أجن كثير :

وإذا حصل الوقوف على هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه .

والحق أنه عليه السلام أسرى به من مكة الى بيت المقدس ، وهناك صلى ركعتين ، ثم عرج به الى السماء ، وفرض الله عليه الصلوات خمسين ثم خففها الى خمس ، رجمة منه ولطفًا بعباده ، وذلك القدر هو ما ينبغى أن يقتنع به المسلم ويستبعد ما سواه (١) .

ويتضح للذين تدارسوا الاسراء والمعراج بعمق ما يلي :

١ - أن الاسراء تمّ من مكة الى بيت المقدس دون ذكر الوسيلة .

٢ - صلى الرسول ركعتين بدون ذكر أنه أمّ الأنبياء ، أما الأنبياء عليهم السلام فقد ماتوا والقرآن الكريم يقرر أنه لا بعث قبل يوم البعث ، قال تعالى « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » فالبعث يكون يوم القيامة فقط وإذا قيل أن أرواحهم هي التي حضرت الصلاة قلنا انه ليس لنا أن نحرك الأرواح أو نتكلم عنها فقد قال تعالى « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » وعلى هذا فاشته هو الذي اختص بالروح .

٣ - عرج به الى السماء بدون حاجة الى دق باب ووقوف أمام الأبواب .

(١) تفسير ابن كثير : النوى ج ٥ ص ٢٤٥ ، وانظر التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية للمؤلف ج ١ ص ٢٢٦ وما بعدها من الطبعة الثانية عشرة .

- ٤ - فرض الله عليه الصلاة خمسين ثم خففها الى ثمانين تفضلا منه يداون وتسايط موسى عليه السلام وبدون تعدد للذهاب والعودة •
- ٥ - يقرر ابن كثير ضرورة استبعاد ما سوى ذلك وضرورة تركه تماما وهذا ما نراه •

ومن العلماء الثقات المعاصرين الذين تدارسوا أحاديث الاسراء والمعراج فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى عضو مجمع البحوث الاسلامية ، وقد ذكر أن أحاديث الاسراء والمعراج وردت في البخارى في سبع روايات مختلفة في تحديد زمان الاسراء والمعراج وفي تحديد المكان الذى بدأ منه الاسراء ، وفي تحديد الطريقة ... واختلاف الروايات في حديث ما على هذا النمط ينفى عنه عند علماء الحديث صفة الحديث الصحيح والحسن •

مصطلح الحديث :

رغبة في الاختصار نقنع بأن نذكر أن المقرر على القسم الثانوى بالمعاهد الأزهرية في مصطلح الحديث هو التعرف على ما يلى :

الحديث المعضل - الحديث المدلس - الحديث المعلق - الحديث المرفوع - الحديث المدرج - الحديث المقلوب - الحديث المصحف - الحديث المحرف - الحديث المبهم - الحديث المعلق - الحديث المحفوظ • وغير هذه من الأسماء التى قد يحفظها الطالب للامتحان وسرعان ما ينساها •

اللغة العربية :

اللغة العربية مهمة جدا للدراسات الاسلامية ، قبحها نزل كتاب الله وجاءت أحاديث الرسول وكتب التراث الاسلامى • والتعرف عليها ضرورى لكل باحث في الدراسات الاسلامية ، والتعقق في آدابها وبلاغتها يساعد مساعدة كبيرة على فهم بلاغة الكتاب العزيز واعجازه •

ويؤسفنا أن نقرر أن اللغة العربية أوشكت أن تختفى من مناهج
الدراسات الإسلامية ، وقد حلت محلها قواعد النحو والصرف ، فبدل أن
يدرس الطالب اللغة أصبح يدرس قواعد اللغة وتنويعات اللغة أو أهدمت ،
بل أن الطالب بدل أن يدرس قواعد اللغة اتجه به المدرسون لدراسة
شواذ القواعد كدوائر أفعال التفضيل التي تصل الي بضع وثلاثين دائرة ،
وكأحوال الصفة المشبهة التي تصل الي ست وثلاثين ، ويضاعفها النحاة
أحيانا فيصلون بها الي بضع مئات ، وكالاعلال والابدال ، وبدل الدراسة
الشاملة الأبواب النحو التتقط المدرسون بعض الأبواب لدراستها بالتفصيل
وتركوا سائر الأبواب يجهلها الطلاب •

وقد حلت بعض هذه الانحرافات بالبلاغة ، فأصبحت في كثير من
الحالات قواعد ورسوما ، وأصبحت لها شواهد محددة كأن القاعدة قد
وضعت لهذا الشاهد بعينه وان تعسر وجود نظائر له ^(١) ، ولبعد الي كتاب
« المنهج الواضح في البلاغة » ^(٢) وهو المقرر على الصف الأول بالقسم
الثانوي بالأزهر لنقتبس سطورا من علم البيان ، وهالك نص عبارته :

قال بعض بني أسد :

كلا أخويننا ذو رجال كأنهم أسود الثرى من كل أغلب صيغم

وقال زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

(١) سيأتى عند الحديث عن توزيع المناهج الإسلامية اقتباس من المربين
بوزارة التربية والتعليم ، يصف البلاغة القديمة بالفموض والتعقيد .

(٢) من الملاحظ في النحو والبلاغة أن المؤلفات الحديثة تصف نفسها
بالوضوح كالبلاغة الواضحة ، والمنهاج الواضح في البلاغة ، والنحو الواضح ،
والنحو المصنى ، كأن المؤلفين يشعرون بالفموض والاضطراب فيها سببهم من
مؤلفات ، ويحاولون خلق الوضوح في مؤلفاتهم الحديثة .

وقال سوار بن مضرب السعدنى :

وإنى لا أزال أخسا حروب إذا لم أجن كنت منجنّ جان

ومن الطبيعى أن مؤلف الكتاب اتجه قبل أن يتحدث عن علم البيان إلى شرح المفردات الغامضة فى هذه الأبيات ، وإلى شرح المعنى الاجمالى ، واستعمال هذه الأبيات القديمة ، التى لا ينسب أولها لشاعر معين ، والتى ينسب ثالثها لشاعر غير معروف ، والتى تكثر فيها المفردات الغامضة ، والتى يحتاج فهمها لفكر وتدبر ، ثم تكرر استعمال هذه الأبيات فى أكثر المؤلفات عن البيان ... كل هذا يبعد القضية عن « البيان » وينقل البيان إلى الغموض ، ومع هذا فلتسّر مع المؤلف لنرى كيف وضّح إقسام علم البيان من هذه الأبيات ، انه يقول :

هذه أمثلة ثلاثة تدل جميعها على وصف الجرأة والإقدام ، غير أن الأول منها طريقته التشبيهية ، فقد شبه الشاعر أولئك الرجال البراسل بأسود الشرى فى الجرأة والإقدام .

« والثانى طريقة الاستعارة فقد شبه الشاعر المدوح بالأسد فى الجرأة ثم فرضه أسدا حقيقة واستعار له لفظه .

« والثالث طريقته إكنائية ، ذلك أن أخوتهم للحرب دليل ملازمته لها كما يلزم الأخ أخاه ، وهى كناية عن شجاعته وقوة بأسه .

« وأوضح التراكيب دلالة على وصف الشجاعة هو الأول للتصريح فيه بطرفى التشبيه والأداة ، ويليه وضوحا الثانى لاختفاء ذكر المشبه ، وأقلها وضوحا الثالث كما ترى .

« وعلى هذا فعلم البيان عند البيانين هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ... »

ويمكننا أن نقول أن هذا التعموض الذي لازم علم البيان هو الذي أدى به هو ومادة النحو والصرف ليصبحا من أبرز مواد الرسوب في الكليات المتخصصة في الدراسات العربية ، فاننا اذا عدنا الى نتائج الامتحان في بعض الكليات المتخصصة في اللغة العربية وآدابها بجامعة القاهرة وجدنا دوائر حمراء حول درجات النحو والصرف والبيان لأكثر من نصف الطلاب ، أما اذا عدنا للطلاب أنفسهم فاجحين أو راسبين فاننا نجدهم ضعاف الأسلوب ، ونجدهم في النحو والصرف يعرفون دوائر لأفعل التفضيل ويجهلون الفاعل والمفعول به وأوليات النحو ، وهذا ما يلزمنا أن نعيد النظر في مناهج اللغة العربية •

وانتقلت عدوى القواعد الى العروض فبعد أن كان مرتبطا بالشعر العربي لبيان ما به من موسيقى وضبط نعم ، وبعد أن كان يقوم بتدريسه الشعراء والأدباء ، انتقل به الحال ليصبح قواعد جافة ، ويقوم بتدريسه المتخصصون في النحو والصرف ، ورحم الله الشاعر العربي الذي دخل مسجد البصرة ، فانتهى الى حلقه يتذكرون فيها الأشعار والأخبار ، فجلس وهو يستطيب كلامهم ، ثم اخذوا في العروض فلما سمع كلامهم فيه خرج مسرعا وهو يقول :

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني

حتى تعاطوا كلام الزنج والروم (١)

ولعل من أثر العروض وطرق تدريسه ما يرويه الدكتور محمد كمال جعفر الأسناذ بكية دار العلوم من أنه كان يقول الشعر الجيد ، فلما درّس له العروض على هذا المنهج وهو طالب توقفت موهبة الشعر فيه •

ولو أخذنا بالقياس لذكرنا امكان أن يتأثر الطالب بقواعد النصوص

(١) الاصلهاتى : محاضرات الانبياء ج ١ ص ٢٠ •

والصرف فتضعف عنده موهبة النطق الصحيح التى تكون أحيانا سليقة عند بعض الناس •

ولو قمنا بخراسة احصائية للساعات المخصصة للغة العربية فى كلية من الكليات المتخصصة فى دراساتها لوجدنا أنها حوالى عشرين ساعة فى الأسبوع وهو قدر هائل يمكن أن يخرّج انسانا ممتازا فى اللغة العربية حتى اذا كانت مواهبه متوسطة ، ولكن الواقع أن أكثر المتخرجين فى هذه الكليات ضعاف فى اللغة العربية ، لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم بأسلوب مقبول بالكلمة المقلوبة أو المكتوبة ، ولا يستطيعون الالتزام بأشهر القواعد النحوية كالمبتدأ والخبر ، والفاعل ونائب الفاعل ، ويرجع ضعفهم فى التعبير الى أنهم لم يدرسوا اللغة ذاتها ، وانما أفنوا وقتهم فى دراسة القواعد وبخاصة الشاذ منها ، ثم أنهم لم يقرءوا كتب الأدب كالأغاني والأمالى والعقد الفريد ، ولم يقرءوا دواوين الشعراء ، ولم يتدربوا على الكتابة أو الإلقاء ، فقد أصبحت اللغة قواعد لا غير ، وكان عكوفهم على شواذ القواعد وعلى التفاصيل التى لا جدوى فيها من أبرز الأسباب التى حرمتهم اجادة اللززم من أبواب النحو ، وجعلتهم يتعشرون ان تكلموا أو كتبوا ، فهم ضحية منهاج سقيم قدم لهم النحو على أنه اللغة ، وحشا اذهانهم بما لا يازم من تفريعات القواعد ، وحرمتهم ما يحتاجون اليه منها •

وهذا هو الداء الذى يتحتم أن نسرّع فنجد له الدواء •

والأكثر من ذلك أن كثيرين من مدرسى النحو والصرف لم يقنعوا بتقديم قواعده بأسلوبهم ، بل التزموا وألزموا الطلاب بأن يأخذوا هذه القواعد من آفية ابن مالك وأمثالها ، ولا تغنى عندهم معرفة القاعدة بدون ذلك ، كأن كلام ابن مالك سيف مصلت على الرقاب ، ولا يزال ذلك يعيش حتى العهد الحاضر •

وفى جلسة بالعاصمة المثلثة بالسودان أثرت هذا الموضوع وانضم لى أكثر الحاضرين من المفكرين ، وأبدينا دهشتنا من أن عشرين ساعة فى

الأسبوع لعلوم اللغة العربية طيلة أربع سنوات لا تأتي بطائل ، ويخرج الطالب ضعيفا في اللغة العربية . وأجاب أستاذ متخصص في النحو والصرف بأن السبب أن الطالب يدخل هذه الكليات وهو ضعيف في علوم اللغة . ولكنه ووجه بعاصفة شديدة تقرر أن عشر ساعات في الأسبوع أو حتى خمس ساعات تقدم لطالب لا يعرف كلمة في اللغة العبرية أو الألمانية ... تكفى خلال أربع سنوات ليجيد الطالب اللغة العبرية وآدابها والكثير من تراثها . ولم يحرر الأستاذ جوابا .

ان السبب الحقيقي الذي اضعف الطلاب بالمعاهد والكليات المتخصصة في اللغة العربية هو سوء المناهج ، وهو الاهتمام بالقواعد في النحو والصرف والعروض والبلاغة ... وهو البعد عن القراءة في كتب الأدب ، وهو عدم التعاون بين أقسام اللغة ، إذ لم توضع خطة متكاملة لتخلق طالبا يشترك الجميع في خلقه وتنقيفه في مجال اللغة العربية وآدابها كما يحدث بالنسبة للطلاب في كليات الطب أو الهندسة أو الزراعة أو غيرها .

ونختم حديثنا في هذا الموضوع بكلمة لابن حزم الأندلسي عن النحو هذا نصها :

« يكفى أن يعرف الطالب من النحو ما يصل به الى ضبط الألفاظ ، وما زاد على ذلك فليس بضروري » (١) .

ومن الواضح أن شواهد النحو والبلاغة تتردد من كتاب الى كتاب في كثير من الأحوال ، فكأنهم يضعون قاعدة لمثال قابلهم مع أنه قل أن توجد أمثلة أخرى مماثلة ويتضح ذلك من أمثلة الاستعارة والكنية وما ماثلهما ، وإذا وضع المؤلفون المحدثون مثالا من عندهم فإنهم يضعونه على نسق المثال الذي ذكره المؤلفون الأول ، فهو محاكاة وصناعة وليس مثالا طبيعيا ، وأذكر أننا تعلمنا أن « ما » المصدرية تكون هي وما بعدها مصدرا يكون له مكان في الجملة ، وكان المثال الذي تكرر لذلك هو :

(١) التقريب (من رسائل ابن حزم) ص ١٩٨ .

يسيرك المراء بما ذهب الليالي وكان ذهابهم له ذهابا
والتقدير : يسر المراء ذهاب الليالي .

وأذكر أننا حاولنا تقديم مثال آخر فتعسر علينا وكانت « ما » دائما
تكون محلا لصناعة لما ورد في البيت المسبق ، اذ تتجه على الرغم منا
لتكون « ما » الموصولة .

هذا ، والأمل واسع في الجيل الجديد الذي يمسك الزمام الآن في
هذه العلوم بكلبات الأزهر الشريف وكلية دار العلوم ليعيدوا الاهتمام
بدراسة اللغة وآدابها على الوجه الأمثل .

التاريخ الاسلامي :

وانحرف تدوين التاريخ الاسلامي كذلك في ضجيج الانحرافات التي
أصابت الدراسات الاسلامية ، فانتجعت عنايته للحروب والدماء ، وخلا
أو أوشك من التأريخ للحركات الحضارية والفكرية .

وانحرف كذلك بقضايا سجلها غير دقيقة ولا موثقة ، فتاريخ
الأمويين كتب في عصر العباسيين ، وحن هنا ظلم الأمويون ، ومثل ذلك
يقال بالنسبة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وبالنسبة للخديوي
إسماعيل ، وبالنسبة لتاريخ جمال عبد الناصر وغير هؤلاء ، فكم هوجم
من يستحق المدح ، ومثدح من يستحق الهجوم ، واختفت عند الكثيرين
أسماء جديرة بالخلود كعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك (١) .

وحرّف التاريخ كذلك حينما لم يعتمد على القرآن الكريم أو الحديث
الشريف فيما ورد فيه قرآن أو حديث ، وللأسف تكاد الكتب التي كتبت عن
تاريخ الرسول تخلو من الآيات القرآنية والأحاديث ، حتى اذا لم تكن الرواية

(١) اقرا عنهما في الجزء رقم ٣٧ من المكتبة الاسلامية لكل الاعمار
للبؤلف .

قادرة على إبراز الفكرة ، وأية رواية تستطيع أن تبرز المعنى الذي يبرزه قوله تعالى : « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » (١) .

وحرف التاريخ الاسلامي عندما توقف تدوينه عند سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ وبغداد إن كانت قد سقطت فإن عواصم أخرى إسلامية كثيرة لم تسقط ، ثم ان بغداد التي سقطت أفاقت من الضربة بعد حين .

وحرف التاريخ الاسلامي عندما زاد اهتمام الكتاب بالفتن ، وعندما اختفت روح الإسلام عند كثير من الباحثين ، وعندما ظهر المستشرقون الذين اتجه كل اهتمامهم أو أكثره للقضايا التي تثير الخلاف والاضطراب كالشيعة والخوارج والقرامطة والنصيرية والموالي والباطنية والاسماعيلية ، كأن التاريخ الإسلامي ليس إلا هؤلاء ونلاسف اعتمد كثير من المؤرخين المسلمين على هؤلاء المستشرقين ، فترجموا كتبهم أو نقلوا أفكارهم في مؤلفاتهم .

وهكذا بدل أن يلعب التاريخ الإسلامي دورا في دفع المسلمين للأمام أصبح هذا التاريخ عائقا ومثيرا للمشكلات والمساوى .

وحرف التاريخ الاسلامي كذلك عندما وُجّه الاهتمام فيه لتاريخ الدول العربية وأهملت الدول الاسلامية غير العربية ، كما أهملت الأقليات الاسلامية بالدول غير الاسلامية ، مع أن تعداد المسلمين غير العرب أضعاف المسلمين العرب ، وتسبب عن هذا الانحراف تمزق العالم الاسلامي بدل الوحدة التي أرادها بقوله « ان هذه أممكم أمة واحدة »

والرأى الذى نراه فى ذلك أن يكتب التاريخ الإسلامى شاملا كل مناطق العالم الإسلامى فى جميع العصور ، وعند تدريسه يُعَرَّض هذا التاريخ مجملا لكل الطلاب المسلمين، ثم يُعَرَّض منه بالتفصيل بعض الفترات كفترة صدر الإسلام (فترة الرسول والخلفاء الراشدين) وكالزحف الصليبي متمثلا فى الحروب الصليبية وفى الاستعمار الذى شغل العالم الإسلامى كله ، كما يفصل أيضا تاريخ القطر والمنطقة التى يعيش فيها الطالب .

والرؤية المستقبلية بالنسبة للتاريخ سهلة ، وذلك بإعادة كتابته بروح إسلامية وبمطلق الالتزام ، وحينئذ سيصبح تاريخا مشرقيا ، وسيكون دعامة لخدمة المستقبل الإسلامى ، وإذا جاز لى أن أوضح مدى اليسر فى الوصول لتلك الغاية فإننى أسجل أننى كتبت تاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن فى عشر مجلدات شملت كل ما أشرنا له من التزامات ، وقد ظهرت الطبعة الثانية عشرة من طبعاته ، والمطلوب أن تعمم هذه الدراسة أو نظائرها فى كل المعاهد الإسلامية .

وحدث فى تسمية عصور التاريخ الإسلامى تحريف عجيب مصدره

أن مستشرقاً اسمه Wellhausen كتب كتاباً بعنوان :

The Arab Kingdom and its Fall « الدولة العربية وسقوطها »

وهو يقصد صدر الإسلام والدولة الأموية ، وللأسف اقتبس عدد من الأساتذة وعدد من الجامعات العربية هذا التعبير ، فتراهم وهم يؤلفون أو يوزعون جداول المحاضرات يطلقون هذا التعبير على هذه الحقبة . ونحن نختلف معهم فى هذا التعبير ، لأن هذه الفترة لم تكن فترة عربية ، أنها كانت فترة إسلامية بكل ما يحتمله التعبير من معنى ، فقد اتسع النطاق الإسلامى حتى شمل السند ومصر وشمال افريقية والأندلس وغيرها ، وكانت الروح الإسلامية هى التى تحكم هذه المساحة الهائلة ، وإذا كان هناك مظهر من الصراع بين الأمويين والفرس ، فهو مظهر فى موقع واحد من الدولة

الاسلامية ، وكان ردًا على عدوان الفرس على السلطة الإسلامية ، ولم يحدث صراع كهذا في أى موقع آخر بالعالم الإسلامى ، وعلى هذا فإطلاق بعض الباحثين كلمة « الموالى » على المسلمين من غير العرب ، والاعتقاد بأن الموالى كانوا في مستوى أقل من مستوى العرب ، كل هذا خطأ لأن المسلمين في غير بلاد فارس لم يحسوا بأى تفاوت بينهم وبين العرب .

ثم ان كلمة « سقوطها » كلمة نابية تنم عن حققد على العرب والمسلمين ، فاذا كانت الخلافة الأموية قد اختفت ، فان خلافة أخرى قد قامت وبقيت الدولة الإسلامية وستبقى .

ولذلك فنحن نؤيد التقسيم الذى يَطلق على فترة الرسول والخلفاء الراشدين « عصر صدر الاسلام » ثم يجرى بعده عصر الدولة الأموية ، فعصر الخلافة العباسية وهكذا .

تلك لحظة سريعة عما حدث من انحرافات في العلوم الاسلامية ، ومن المحقق أن هذه الانحرافات كانت بمثابة الصدا الذى أوشك أن يغطى على المعدن الحر الأصيل .

العلوم التي برزت على أنها إسلامية وهي ليست كذلك

هناك علوم لم يعرفها صدر الإسلام • وإنما برزت متأخرة ، واتخذت ثوب الإسلام ، وأصبحت من مناهجه ، والعجيب أنها رسخت في المناهج حتى اليوم : مع ظهور السفسطة فيها وعدم حذواها ، وسنظم ببعض هذه العلوم فيهما بلى :

علم الكلام :

علم الكلام — ويسمى أحيانا علم التوحيد — علم ظهر في القرن الثاني الهجري ، وارتبط بواصل بن عطاء (١٣١ هـ) الذي عثى هو وأتباعه عناية كبيرة بعلم الكلام ، وقالوا ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر ، وإنما هو منزلة بين المنزلتين ، وكان واصل يجلس لأتباعه في مسجد البصرة ليدرس لهم علم الكلام الذي كان قد ظهر على يده (١) . وقد أشرنا لذلك من قبل •

ومن هذا يتضح أن علم الكلام علم ليس من علوم صدر الإسلام من جانب ، وأنه من جانب آخر نتاج البصرة التي تحدثنا عن ظروفها فيما سبق •

وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة ، وقد انقرض مذهب المعتزلة منذ أمد طويل ، وانقرضت أفكارهم في خلق القرآن وفي موضوع مرتكب الكبيرة ، ومع ذلك لا يزال هذا العلم موجودا ، وهذا شيء يدعو للعجب •

ويروى أن الامام الجنييد (٢٩٧ هـ) رأى جماعة من رجال علم الكلام يلتفون حول سارية بمسجد بغداد فسأل : من هؤلاء ؟ فأجيب :

(١) ابن حلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٢ •

جماعة ينزهون الله بالدليل . فقال : إمّا طة العيب حيث لا عيب عيب^(١) .

واشتهر بين الباحثين أن المسلمين اتخذوا علم الكلام ليكون سلاحا في أيديهم يردون به الشبه عن الاسلام مثل السلاح الذي يستعمله أعداء الاسلام ، وهذا الكلام كالقاعدة التي ليس لها تطبيق ، فلم يحدث قط أن كان علم الكلام سلاحا يثفيد الاسلام والمسلمين وانما كان فلسفات وتعقيدا بدون جدوى^(٢).

ويقول الأستاذ محمد المبارك في ذلك « الكتب الشائعة في هذه المادة هي جوهر التوحيد للقاني ، والسنوسية وشرحها ، والعقائد النسفية ، وشرح التفتازاني عليها والعقائد العضدية ، والمواقف ، وتطلب على هذه الكتب الصنعة الفلسفية ، وتتصف بالتعقيد ، كما تتصف للتون المتأخرة بالجمود ، وبذكر الخلافات بين المذاهب الكلامية والفرق ، وهي بعيدة عن المنطلقات القرآنية التي تقنع العقل وتغذي القلب وتقوى الايمان ، وهي النهاية المتجمدة لكتب العقيدة على الطريقة الكلامية الفلسفية التي ازدهرت في القرن الثالث الهجري .

« ولا بد أن نذكر أن علم الكلام أو كتب التوحيد التي كتبت على طريقة علم الكلام اشتملت على نظريات فلسفية وآراء في الطبيعة والكون ففقدت اعتبارها وظهر خطؤها أو ضعفها ، ومن الخطورة بمكان أن يستمر طالب العلم الاسلامي في الأخذ بها .. »^(٣) .

وبين يدي الآن شرح البيجوري على الجوهر المسمى « تحفة الريد على جوهر التوحيد » وهو الكتاب المقرر حاليا على المرحلة الثانوية بالأزهر ، ومن الممكن أن اقتبس منه اقتباسات تبين مدى الظلم في تدريسه لأبنائنا ، وأذكر أن فهمه صعب على أنا ، ولا بأس على كل حال من اقتباس

(١) اللع لاني نصر السراج والرسالة القشيرية للقشيري .

(٢) البحث الذي سبقت الاشارة اليه من قبل .

بيت أو بيتين من جوهر التوحيد كمثال لذلك :

ووحدة أوجب لها وقبل ذى إرادة والعلم لكن عمّ ذى
وعم أيضا واجبنا والممتنع ومثّل ذا كلامه فلنتبع

وإذا ذهبنا الى شرح البيجورى زادت الأمور تعقيدا ، ولناخذ مثالا
قصيرا لشرح كلمة العلم فى البيت الأول يقول الشيخ البيجورى :

والعلم معطوف على قوله ارادة ، فهو مثل القدرة أيضا فى الأمور
الثلاثة السابقة وهى تعلقه بالممكنات وعدم تنهاى متعلقاته وإيجاب الوحدة
له باجماع من يعتقد باجماعه ، فانه لم يذهب أحد الى تعدد علمه تعالى
بعدد المعلومات الا أبو سهل الصعلوكى فقال بعلم قديمة لا نهاية لها ،
ولا يرد عليه استحالة دخول ما لا نهاية له فى الوجود لأن الدليل انما
قام على هذه الاستحالة فى الحادث دون القديم (١) ...

وقد ألف الأستاذ حسن السيد متولى مفتش العلوم الدينية بالأزهر
كتابا أسماه « مذكرة التوحيد والفرق » للفرقة الأولى الثانوية ليحل محل
الجوهرة وفى مقدمة أوردها للتعريف بالعلم سار سيرة من سبقه من
المؤلفين فى هذا العلم فقال فى ص ٢٢ : ان موضوع علم التوحيد « ذات
الله .. » ومعاذ الله أن يكون ذلك ، فذات الله ليست موضع بحث ، والرسول
صلوات الله عليه يقول : تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله
فتهلكوا . ويقول الامام محمد عبده ان الفكر فى ذات الخالق طلب للاكتناء
وهو ممتنع عن العقل البشرى (٢) .

ومن الموضوعات التى طرّقتها علم الكلام موضوع عصمة الأنبياء .
وقد اتبع شيوخ علم الكلام اتجاه الشيعة الذين قالوا أولا بعصمة الأئمة
ثم قالوا بعصمة الأنبياء تبعا لذلك ، وعصمة الأنبياء لازمة ومعترف بها فى

(١) ص ١٠٠ من شرح البيجورى .

(٢) رسالة التوحيد ص ٤٨ .

التبسيط ، أما في شئون الحياة التي لا وحى فيها فليسوا بمعصومين بدليل مسألة تأبير النخل ، ومكان غزوة بدر الذي رجح فيه رأى الحباب بن المنذر ، وأمثلة كثيرة معروفة (١) . وقد تأثر جمهور الباحثين برأى علماء الكلام في القول بالعصمة ، ولكن الامام محمد عبده يقول : ومن العسير اقامة الدليل العقلي ، أو لصابة دليل شرعى يقطع بما ذهب اليه الجمهور (٢) . وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير الى هفوات وقع فيها الأنبياء عليهم السلام (٣) .

ليت شعري لماذا يبقى هذا العلم ، ولماذا لا نستبدله به دراسة هادفة عن العقيدة مما كتبه الامام ابن تيمية في رسائله أو الامام محمد عبده أو مما كتبناه في هذا الجيل ونحن ندرس « مقارنة الأديان » .

ويقول الدكتور محمد الجلند مدرس علم الكلام بجامعة القاهرة ان هذا العلم كان من أسباب الصراع بين المسلمين .

المنطق :

قلنا عن علم الكلام انه علم دخيل وليس من علوم صدر الاسلام ، وأنه ظهر بالعالم الاسلامي في مطلع القرن الهجري الثاني ، أما ظهور علم المنطق في المناهج الاسلامية فكان بعد حوالي قرن ونصف من ظهور علم الكلام ، ويروى أن الكندي (٢٢١هـ) هو أول من علق على كتاب في المنطق اسمه « الطوبقىا » ويمثل الكندي حركة الفكر والتعليق بعد حركة الترجمة التي حدثت في بيت الحكمة خلال عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨) ، وبعد الكندي بدأ المسلمون يؤلفون في المنطق ولكن مؤلفاتهم ظلت متأثرة بمنطق أرسطو .

ويدعون خطأ - كما قلنا آنفا - أن المسلمين اقتبسوا علم المنطق

(١) انظرها في كتاب الاسلام من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف ص ١١٧ وما بعدها .

(٢) رسالة التوحيد ص ٨٣ .

(٣) انظرها في كتاب الاسلام من سلسلة مقارنة الأديان ص ٦٢ ، ١٢٢ .

ليستعينوا به في الجدل والمناقشة والحوار وبخاصة في العلوم التي تعتمد على ذلك كعلم الكلام وأصول الفقه ، وأشهد الله أننا كنا نشفق على مدرس المنطق وهو يلقي علينا محاضراته ، ونحس أنه لا يفهم ما يقول ، وكان كثيرا ما يبعد عن المنطق ليتكلم في الحضارة الإسلامية فنبدأ في الاقبال عليه وفهم ما يلقيه ، فاذا عاد للمنطق عاد الغموض للمحاضرة ، وأخيرا عمدنا الى حفظ المقرر لنعبر الامتحان ثم تخففنا من هذا العلم الذي ليس منطقا وهو عن المنطق بعيد .

وينبغي أن نعطي نموذجا قصيرا نقتبسه من كتاب شهير هو « السلم » وشرحه « المختار » وهو المقرر على الصف الثاني بالقسم الثانوي بالأزهر ، وليكن النموذج مطلع الكتاب قبل أن يتعمق المؤلف والشارح في الغموض والابهام ، يقول المؤلف في أرجوزته :

مستعمل ألفاظ حيث يوجد إما مركب وإما مفرد
فأول ما دل جزؤه على جزء معناه بعكس ما تلا
ويقول الشارح :

فصل في مباحث الألفاظ

اعلم أن المنطق لا بحث له عن الألفاظ ، لكن لما كثر الاحتياج الى التفهم بالعبارات واستمر حتى كأن المتفكر يناجى نفسه بالألفاظ متخيلة جعلوا بحث الألفاظ — من حيث أنها تدل على المعاني — بابا من المنطق تبعا ، ولذا فقد قال : (مستعمل الألفاظ) باعتبار دلالاته التركيبية والافرادية (حيث يوجد اما مركب واما مفرد فأول) وهو المركب (ما) أى اللفظ الذي (دل) توطئة لما بعده ويحترز به — مع ذلك — عن اللفظ المهمل كريد ، على رأى من يسميه لفظا (جزؤه) يخرج ما لا جزء له كباء الجر ولامه ، وما له جزء لا يدل كريد وأبكم وتأبط شرا وعبد الله والحيوان الناطق أعلاما ، وأما ما يتوهم من دلالة أجزاء الأعلام الأخيرة فانما ذلك قبل جعلها أعلاما ، أما بعد تصييرها أعلاما فقد صارت دلالتها نسيا منسيا ، وصار كل جزء منها كالزاي من زيد ، نص عليه بعض المحققين ...

وهكذا نجدنا أمام علم دخيل على الدراسات الإسلامية ، وهو في الوقت نفسه حافل بالغموض مما يسبب ضياع وقت الطالب وجهده ، وتكمل المسألة عندما نلاحظ أن الكتب التي اختيرت لتقديم المنطق كتب عقيمة تريد الموضوع إيهاما وظلاما • وكان ابن تيمية يهاجم المنطق ، وقد كتب في ذلك كتابا أسماه « نصيحة أهل الأديان في الرد على منطق اليرنان » •

ومن الشائع — كما قلنا من قبل — أن المسلمين اقتبسوا علم المنطق ليستعينوا به في الجدل والمناقشة ضد أعداء الاسلام • ولكن ذلك كالتقاعدة التي لا تطبق لها ، فلم يعرف أنهم استعملوا المنطق لذلك •

الفلسفة

الفلسفة — بالمنطق — من العلوم الدخيلة التي تظاهرت بأنها لخدمة الاسلام ، وهي في أصولها بعيدة كل البعد عن الاسلام لأنها ذات عناصر يونانية مادية ، وتلك الفلسفة اليونانية التي تتكلم عما وراء الطبيعة قد ظهرت في مصر وسوريا والعراق قبل الاسلام ، وكان ظهورها في مدرسة الاسكندرية ونصبيين وقناسرين وجنديسابور وحمران ، وكان القسس التابعون للكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية يستخدمون من الفلسفة اليونانية وسائل للدفاع عن القضايا المسيحية التي يعتقدونها (١) •

شيخ الأزهر ورأيه في المنطق والفلسفة :

ولعل أكبر دليل على انحراف الفلسفة هو ما نشره الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيبصار شيخ الأزهر السابق وهو في الأصل أستاذ للفلسفة ، فقد سئل عن الجانب العقلي الذي تمثله الفلسفة الاسلامية فأجاب : ان لهذا الجانب العقلي صورتين •• صورة مبرأة من شوائب الدخيل

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب :

Muslim Thought : its Origin and Achievements.

الذي ترجمه المؤلف عن الانجليزية ص ٧٥ وما بعدها •

من الفكر الأجنبي ، وهي التي يمثلها القرآن والسنة في أساسها ، وصورة أخرى متأثرة بفكر دجيل وعوامل طرأت على البيئة الإسلامية ، وحاولت التلاؤم معها ، ولكنها كثيرا ما تنافرت معها ، ولاشك أن نظرة جمهور المسلمين في القرون الأولى للإسلام ، انما كانت نظرة حذر من هذه الفلسفات ونظرة شك وريبة الى حد أن بعض العلماء وضع قاعدة هامة تتعلق بدراسة المنطق كمقدمة للفلسفة وهي أن « من تمنطق فقد ترندق » .

وقال فضيلته : « انه يقال ان بعض المسلمين قد استعملوا المنطق والفلسفة للرد على الشبهات التي تطرأ على الاسلام بالتسلح بسلاح الخصوم من منطق وفلسفة .. ولكن فضيلته يقول لهؤلاء :

انه من الخير أن نرد على هذه الفلسفات ، بالفكر الاسلامي النقي المبرأ من كل مذهب فلسفي أو محاورات أو جدل أو شبهات فلسفية ، فان الفكر الاسلامي في صفاته جدير بأن يرد على هذه المذاهب بما خط الاسلام من مبادئ ، وبما وضع من قواعد ، وبما وجه الانسان اليه من الرجوع الى نفسه لاستخلاص حقائق الكون والوجود ، ومن الأجدر أن يرد على هذه المذاهب الفلسفية الغريبة بالصفاء والتقاء الدين تضمنتهما الفكرة الاسلامية كما جاء بها القرآن والسنة النبوية الشريفة ، لا بمذاهب فلسفية اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت فيها معالم الطريق ، وبذلك لا يكون هناك مجال لداجاة أو لتشكيك أو مغالطة ، وانما نكون على جادة الحق وعلى طريق الله القريم الذي أمرنا الله بأن نتبعه في قوله سبحانه وتعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وسئل عن الصلة بين هذه الفلسفات وبين الاسلام فقال :

هذه الفلسفات انتقلت اليها مشربة بأشياء تتناقض مع الدين أحيانا ، أو مع العقيدة الاسلامية أحيانا أخرى ، كالوثنيات التي كانت شائعة في الفكر الاغريقي حينذاك وفي تصورهم للالوهية فهذه تناقضت مع العقائد

الاسلامية ، ولهذا رفض المسلمون كل ما يأتى من جهة أرسطو حتى المنطق كمقدمة ومنهج (١) .

ومثل هذا ما يقوله الدكتور محمد كمال جعفر أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة عن مصادر هذه الفلسفة ، يقول سيادته (٢) :

لقد تعددت وتعارضت آراء الباحثين حول مصدر أو مصادر الفلسفة الاسلامية كالآتى :

— فمنهم من رأى أن الحركة الفكرية لمدارس علم الكلام الأولى هي الأب الشرعى للفلسفة الاسلامية التى استتقت فيما بعد من ينابيع فكرية أخرى أهمها وأعمها الفلسفة اليونانية .

— الفلسفة الاسلامية ليست الا فلسفة يونانية بلسان عربى ، وقد زُيئت بأفكار أخلاقية ودينية أملت لها ديانة الاسلام ، ولكن هذه الإضافات لا تشكل جوهرها ولا أساسا فى هذه الفلسفة .

— أقرب الآراء الى الاعتدال هو الرأى الذى لا ينكر وجود الفكر اليونانى فى المحيط العربى ، ولكنه يوضح وجود بعض الملامح الأصلية للفكر الاسلامى لا يمكن جحدها ، غاية ما فى الأمر أننا لسوء الحظ نجد هذه الملامح والسمات الإسلامية الأصلية غارقة وسط الاقتباسات الكثيرة من الكتاب اليونانيين .

وفى ضوء هذا الكلام من الامام الأكبر ومن متخصص فى الفلسفة ، يضعف الأمل فى ابراز فلسفة اسلامية حققة ، وعلى هذا ينبغى إبعاد علم المنطق والفلسفة اليونانية من المناهج الاسلامية وأن يدخل الفكر الاسلامى عن وحدانية الله وصفاته وعن النبوة والدار الآخرة والبعث ... فى نطاق العقيدة وفى التعريف بالاسلام فى علم « مقارنة الأديان » .

(١) الأهرام فى ١٩٧٩/١/٢٦ .

(٢) من تضايا الفكر الاسلامى ص ١٦١ — ١٦٢ .

مناهج عصور الظلام تنحدر للعصر الحاضر

اختفت عِرم اسلامية كما قلنا ، وانحرفت عِوم اسلامية أخرى عن المسار الصحيح ، وبرزت علوم مدعية أنها اسلامية وهى فى الحق ليست كذلك ؛ وقد استغرق ذلك التدمير عدة قرون ، ثم جاء عصر المماليك والعصر العثمانى فاكتملت الحياة فى مصر وفى غيرها من المراكز الاسلامية ، وتلقى الأزهر مناهج عصور الظلام دون أن يعيد أحسد النظر فيها ، فأصبحت من المسلمات ، ثم جاء الاستعمار فأضاف الكثير ليزيد من ضعف الدراسات الاسلامية ، وقلل من قدر مدرّس العلوم الاسلامية واللغة العربية ، ولما أصبح ضعف المعاهد الاسلامية شيئاً واضحاً تقدم فأنشأ المدارس ووضع فيها ما يريده من ثقافات وترك الأزهر فى حالته دون تحسين .

ونتيجة لسوء التعليم فى الأزهر فرأى الأستاذ محمد عبده منه عندما التحق به ، وهو يقول فى ذلك «قضيت سنة ونصفاً لا أفهم شيئاً لرداءة التعليم، فادركنى اليأس من النجاح وهربت من المدرس ، على نية أن أشتغل بالزراعة ... وهذا الأثر هو الذى يجده ٩٥٪ من الطلاب بالأزهر ، ولكن أغلبهم تفكّشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئاً فيستثمرون على الطلب الى أن ييلفوا سن الرجال وهم فى أحلام الأطفال ثم يبتلى بهم الناس ...» (١) ولولا ضوء جديد ساقه الله للإمام ليجذبه مرة أخرى للعلم ، لولا ذلك لحرم الفكر الإسلامى من واحد يوضع فى القمة بين العظماء والمفكرين المسلمين .

عبد الناصر والأزهر والاسلام :

وفى عصر عبد الناصر جاء القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قيل أنه اتجاه لاصلاح الأزهر ، ولكنه كان بعيداً عن الاصلاح ، لأنه اهتم بفتح كليات عملية تابعة للأزهر وأصلح المرتبات ، ولكن الكليات الأزهرية

(١) انظر اعلام الفكر الاسلامى فى العصر الحديث لأحمد تيمور باشا

التي بنى الأزهر عليها مجده -وهي كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية بقيت حيث كانت دون أن تمتد لها أية محاولة للإصلاح ، وقد عشت في الأزهر طالباً ووقفت فيه أستاذاً ، فأنا عريق الضلة بمنهج وطالبي من مطلع العقد الرابع حتى الآن ، ومن أخطر عيوب هذا القانون أنه ألزم طلاب القسم الاعدادي والثانوي بالأزهر بدراسة المواد المقررة على القسم الاعدادي والثانوي بالتعليم العام بالإضافة الى علوم الأزهر وإذا كان المنهاج الواحد يعنى الطلاب فمما بالك بمنهاجين ، وكنت النتيجة أن غالبية الأزهريين جهلوا المنهاجين .

ومن أخطر عيوب هذا القانون كذلك أنه فتح الباب لنوابغ الطلاب بالقسم الثانوي الأزهرى ليلتحقوا بالكليات العملية كالطب والهندسة ، وتدفق هؤلاء على هذه الكليات ، ولم يبق للكليات الأزهرية الأصلية أى نصيب من النابغين ، وقنعت هذه الكليات بالفتات .

بل انى أريد أن أضيف أن الدراسات الاسلامية التي تتقدم لطلاب الكليات العملية بالأزهر دراسات لا تستهوى الطلاب بهذه الكليات ، لأنها نموذج من الدراسات التي سبق أن انتقدناها .

وعندما نتحدث عن الأزهر نقصد أنه ذلك المنار العملاق الذى تتأوى به جميع المعاهد والكليات الاسلامية ، وتقتبس منه مناهجه وأسماء كلياته وأقسام هذه الكليات ، بل تستعير الروح والفكر عندما تستعير علماء للتدريس بها ، وقلما نجد جامعة اسلامية فى أى مكان لا يتولى التدريس بها علماء من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من أبناء مصر أو وافدين تعلموا فى معاهد الأزهر وكلياته ، فالأزهر هو المسئول عن انحراف الدراسات الاسلامية فى كل مكان .

وقد كتب كبار الأزهريين ضد قانون تطوير الأزهر وأبرزوه كفنا أسود أعدّه عبد الناصر فى ليل ضد هذا المعيد المتطيد ، كتب الدكتور محمد البهى والشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ صلاح أبو اسماعيل ، كما كتب عن ذلك الأستاذ فتحى رضوان ، ونشرت كلمات هؤلاء فى الصحف وفى

البحوث^(١) ، ولكن للأسف لم يحاول أحد أن يعيد النظر في هذا القانون كأن الناس يخافون عبد الناصر بعد وفاته ، كما كانوا يخافون مظالمه وهو حي •

ومنذ فترة ليست بعيدة ظهر في الولايات المتحدة اقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية ، وممن دخل الاسلام شابان أمريكيان ، قرءا بعض الدراسات الاسلامية وتعلما اللغة العربية ، وقد رحبت احدى الدول الاسلامية بهذا الاقبال فخصصت منحتين لهذين الطالبين النابغين ليتعلما في الجامعات الاسلامية بها •

وفرّح الطالبان بهذه المنحة وسرعان ما شدّوا الرحال الى الجامعة الاسلامية العربية ، والتحقا بحلقات العلم ، وظلا على ذلك بضعة شهور ، ثم أقبلوا على ما أقبل عليه الأستاذ الامام من قبل ، فشدّوا الرحال مرة اخرى للعودة للوطن ، ولما سئلا عن ذلك أجابا بأن ما يسمعانه في المحاضرات بعيد عن الاسلام ولا يجذبهما اليه ، فخلال هذه الشهور كان الحديث عن أنواع المياه وعن الجبيرة وعن المنطق وعلم الكلام وشواذ القواعد ، وما لهذا جاء هذان الطالبان وتركوا الوطن والاهلين ، ونصرخ الطالبان أين الفكر الاسلامي ؟ وأين حضارة الاسلام ، ؟ وأين أخلاقه ؟ وأين اللغة العربية الفصحى وبلاغتها ؟

ما أجدر هذين الطالبين بالاشفاق ، لم يجدا في معاهد الاسلام اسلاماً ففقمنا بما عرفنا من مبادئ جذبتهم من قبل الى الإسلام وعادا قبل أن تأخذهما دوامة المناهج الحالية •

ونشهد كذلك زحف الاسلام في هذه الأيام لدى أرقى الأوساط وكبار

(١) انظر كلمات هؤلاء ودراساتنا عن .. تطوير الازهر أو تدميره في الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الاسلامي ص ٥٥٧ - ٥٦٤ •

المثقفين ، ولئیس اقبالهم على الاسلام الا نتيجة القراءة عن الفكر الاسلامی السليم ، أو الالتقاء ببعض الموهوبين المخلصين من الدعاة وهم قليلون •

تلك هی المناهج التي تتقدم الآن باسم الاسلام ، وهی فی الحق لا تحمل الاسلام ، ولا تغرس اليقين ، وبسببها يعيش العالم الاسلامی فی اضطراب مقلق ، وما أجدرنا أن نسرع باحثين عن الاصلاح والعودة للإسلام الصحيح •

اصلاح المناهج الاسلامية.

ان اصلاح المناهج الاسلامية ليس عملاً عسيراً اذاً خلصت النيات -
واهتم المسلمون بالاصلاح ، فقد عرفنا الداء ، ومعرفة الداء خطبة
مهمة في وصف الدواء ، وأساس الاصلاح أن نعود للانحراف الذي سبق
أن تحدثنا عنه فنقضى عليه ، وقبـد ذكرنا من قبل ان المناهج أصيبت
باضطراب وخلل وقصور ، وأن ذلك جاء للمناهج من ثلاث نوافذ هي :

١ — اختفاء علوم مهمة من المناهج مثل مقارنة الأديان والحضارة
الاسلامية .

٢ — انحراف كثير من العلوم الاسلامية عن الطريق الصواب
كالتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية .

٣ — بروز علوم غير اسلامية وادعاؤها أنها اسلامية مثل علم
الكلام والمنطق والفلسفة .

ويجوز العلاج في فلك الداء كالآتي :

أولاً — إعادة العلوم المهمة التي اختفت :

فيما يتعلق بالعلوم التي اختفت يجب أن نسرع لنعيدها -
لساحة الفكر الاسلامي ونهتم بها كل الاهتمام . نعود لمقارنة الأديان فنحيي
هذه المادة المفيدة ونجعلها من أهم العلوم التي تقدم للمسلم بوجه
عام ولطلاب الثقافة الاسلامية بوجه خاص ونعود كذلك للحضارة
الاسلامية فننسقها ونؤلف فيها ونقدمها للطلاب والجمهور .

وأشهد أن جموعاً هائلة من المسلمين أقبلت على عناي في ميداني
مقارنه الأديان والحضارة الاسلامية أعظم اقبال : وأثنت عليه أعظم الثناء
مما يدل على حاجة الناس لمثل هذه الأعمال .

على أنني أرى أن النهوض بمقارنة الأديان والحضارة الاسلامية

يستدعى أن نقيم مؤتمرات يلتقى فيها المفكرون المسلمون ليتدارسوا
الأمر ، وليقترحوا أهم النظم والوسائل التى تضمن تقديم هاتين المادتين
على أحسن وجه .

ولكنى أحذر من شئ. أخشى وقوعه ، أو قل انه قد بدأ يظهر فعلاً
ذلك أن بعض الجامعات اتجهت لاهياء مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية .
ولكنها للأسف أسندت تدريس هاتين المادتين لغير المتخصصين وغير
المتحمسين ، وكانت النتيجة أن ظهر كائن هزيل مرتبك سمى مقارنة الأديان
أو الحضارة الاسلامية ، وهو ليس كذلك ، ومن أجل هذا أتمنى أن تكون
لجان دقيقة لتضع الخطة التفصيلية لهاتين المادتين ..

ثم اننا نسمع عن وجود مادة الحضارة الإسلامية ، بجانبها مادة
أخرى هى الاقتصاد الإسلامى أو التربية الإسلامية ... ونود أن
نقول بدقة ان الحضارة الإسلامية تشمل النهج الإسلامى فى الاقتصاد
وفى السياسة وفى التربية وغيرها كما ذكرنا من قبل .

ثانياً - تصحيح العلوم التى انحرفت :

نتجّه بحماسة وقوة وكفاءة لتصحيح العلوم الإسلامية
التي انحرفت وينبغى أن ينبرى لذلك كبار المفكرين لاعادة كتابة التفسير
والفقه وعلوم اللغة العربية ، وتنقية أحاديث الرسول صلوات الله عليه
مما يشوبها من دخيل ؛ وكذلك كتابة التاريخ الإسلامى ، وكل المواد
الإسلامية التى أصابها التحريف وقبل أن نجيب بالأساتذة والمفكرين
جميعاً أن يدخلوا هذا المحالّ نذكر بكثير من الاعجاب أن أقلاماً إسلامية
قامت بدور مهم فى هذا المجال ، وما على الآخرين الا أن يضيفوا المزيد
لهذه الجهود .

ففى التفسير كتب الامام محمد عبده تفسير جزء (عم) وهو نموذج
طيب لتفسير كتاب الله ، وكتب الشهيد سيد قطب تفسيراً كاملاً للقرآن
الكريم أسماه « فى ظلال القرآن » وفى هذا التفسير أفكار رائعة ، ولكنه
فى تقديرى مسهب يحتاج الى نوع من الایجاز .

وأتجنى أن يتخلص أساتذة التفسير من ارتباطهم بالكتب القديمة ، فليقرءوها ليقبضوا منها النافع ، ثم ليتجهوا بقدراتهم لكتابة التفسير الذى يوضح ما يحتاج الى توضيح من كلام الله جل وعلا .

وفى مجال الفقه كتب الأستاذ محمد الغزالى « فقه السيرة » وكتب الأستاذ نسيب سابق « فقه السنة » وتلك نماذج نافعة يمكن أن ينتفع بها مدرسو الفقه وأن يضيفوا اليها من ثقافتهم ما أرادوا على ألا تكون هناك تلك الفروض والتفاصيل والحيل التى قدمنا نماذج منها .

وفى مجال العقيدة والتشريع كتب الأستاذ الامام محمد عبده كتاب « رسالة التوحيد » وكتب الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت كتاب « الاسلام عقيدة وشريعة » .

وفى مجال السياسة كتب الأستاذ عبد الوهاب خلاف « السياسة الشرعية » وكتب الأستاذ محمد المبارك « الدولة عند ابن تيمية » وكتب الشهيد عبد القادر عودة « المال والحكم فى الاسلام » وكتب السيد محمد رشيد رضا كتاب « الخلافة » .

وفى التاريخ الاسلامى كان لى الشرف أن كتبت « موسوعة التاريخ الاسلامى » فى عشرة مجلدات تحوى تاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى .

وللأسف لايزال ميدان الحديث الشريف خاليا تقريبا ، ينتظر الباحث النذ الذى يعمل على تنقية أحاديث الرسول من الدخيل الذى اقتحم هذا المجال المقدس ، وإذا قلّت الأحاديث الموجودة بنسبة ٢٪ مثلا فان العدد الباقى منها كفى بأن يملأ حياتنا نورا وخيرا ، ومن العجيب أن يهتم كثير من العلماء بآثار الأحاديث التى تثير خلافات وشكوكا ويتركوا آلاف الأحاديث التى تجمل الهداية وحسن التوجيه والارشاد لبنى الانسان ،

فكم آثار حديث الذبابة وجناحيها من اختلافات وكذلك أحاديث الاسراء والمعراج التي أشرنا إليها ، وأخرى بعلماء الحديث أن يبذلوا الجهد ليقدموا للناس الذخيرة الواسعة من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله في شؤون الدنيا والآخرة •

وميدان اللغة العربية لايزال ينتظر من يجول فيه ويحصل بنقطة وقوة فيجب أن يكتفى أساتذة القواعد بالضرورة منها ، فلا يتركون ضروريا ولا يهتمون بغير الضروري من الأبواب أو من التفاصيل ، ونقصد بالقواعد قواعد اللغة وقواعد البلاغة ، وتأخذ القراءة في كتب الأدب حقها الكامل في الدراسة ، كما يتجه الاهتمام للكتابة والتعبير الشفوي (الخطابة) فكثير من الطلاب يتخرجون من كليات الآداب أو من كلية دار العلوم دون أن يكتبوا بحثا أو يلقوا خطابا ومعارفهم في القواعد معارف لا تتعدى ورقة الامتحان ولا تعيش في مجال الحياة •

الدعوة للإصلاح قديمة

وقد هتف شيوخنا الأوائل في العصور المختلفة يحاربون الانحراف الذي أطل برأسه منذ عهد مبكر ، ونحن هنا نكرر كلامهم لعل الأوان قد آن لتحقيق آمالهم :

منهاج ابن حزم :

يتجه ابن حزم إلى حث المسلمين على سعة القراءة والاطلاع ، وإرشادهم لدراسة مقارنة الأديان والتعرف على المال والنحل ، ويؤكد أن من الضروري لطالب المعرفة من قراءة القرآن وفهم معانيه وقراءة الحديث والسيرة ، ويحذر من التعمق في قواعد اللغة ويكتفى من القواعد بما يساعد على فهم المعنى الذي يختلف أحيانا باختلاف الحركات وقيما يلي كلمات ابن حزم (١) :

(١) التقریب بتحقيق الدكتور احسان عباس ص ١٩٨ .

« واعلم أن الوقوف على الحقائق لا يكون الا بشدة البحث ، وشدة البحث لا تكون الا بكثرة المطالعة لجميع الآراء والأقوال وبالنظر في طبائع الأشياء ، وسماع حجة كل محتج والنظر فيها ، ومعرفة الديانات والنحل والمذاهب واختلاف الناس ، وقراءة كتبهم ، فمن ذم من الجهال الاطلاع على ديانات الآخرين فقد خالف ربه تعالى ، فقد أعلمنا عز وجل في كتابه المنزل أقوال المخالفين من أهل النجس ، البائسين بأن العالم قديم ، ومن أهل الشنوية ، ومن أهل التثليث والمحدثين ، ليرينا تعالى تناقضهم وفساد أقوالهم .

« ثم نرجع فنقول : ولا بد لطالب الحقائق من الاطلاع على القرآن ومعانيه ، ورواية ألفاظه وأحكامه ، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته الجامعة . ولا بد مع ذلك من مطالعة الأخبار القديمة والحديثة والوقوف على اللغة التي نقرأ الكتب بها ، ولا بد له من مطالعة النحو ويكتفيه منه ما يصل به الى اختلاف المعاني باختلاف الحركات في الألفاظ ومواضع الاعراب منها . وأما ما عدا النحو فليستكثر منه ما يمكنه » .

منهاج الجاحظ :

ويهتم الجاحظ باللغة قراءة وكتابة ، ويحذر من الاشتغال بالنحو الا بالقدر الذي يحفظ من فاحش اللحن ومن جهل العوام ، ويقرر أن الزيادة في النحو عن ذلك النطاق مشغلة عما هو أولى .

وفيما يلي كلمات الجاحظ :

لا تشغل قلب المتعلم بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب ان كتبه ، وشعر ان أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد عن ذلك فهو مشغلة عما هو أولى منه ، كرواية الخبر الصادق ، والمثل السائر ، والمعنى البارع وبعض الرياضة ، ويعلم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ، ويحذر التكلف ،

ويحتمل — في قراءة كتب البلغاء — أن يستفيد المعاني لا الألفاظ (١) .

تعليق على كلام الجاحظ وابن حزم :

ولا بد من تعليق عن كلام الجاحظ وابن حزم ، فإن كلامهما في منتهى الخطورة من ناحيتين :

الناحية الأولى — يخاف الجاحظ من فاحش اللحن ، ومن جهل القوام ، ومعنى هذا أن اللحن الخفيف الذي لا يلقى بصاحبه في نطاق جهل القوام ممكن ، وهذا شيء نراه في أحاديث كبار المفكرين وعلماء اللغة ، فهم في خطبهم قد يلحنون ، وقد بتداركون ذلك أو لا يتداركونه ولا يقلل هذا من أقدارهم ، ونستطيع أن نعدد عشرات الصور من هذا اللحن لشعراء مشاهير وكتاب مفوهين ، ولا تزال نسمعه أحيانا من عليّة القوم وهم يرتجلون ولا يقلل هذا من أقدارهم .

الناحية الثانية — يشترك الجاحظ وابن حزم في التوصية بأن النحو لا يدرس لذاته ، وإنما ليحمي الإنسان من الخطأ حينما يكتب أو ينشد شعرا أو يصف شيئا ، ويزيد ابن حزم أن ضرورة النحو تظهر فيما تختلف فيه المعاني باختلاف الحركات .

ومعنى هذا أن تدريس النحو لذاته شيء غير ضروري ، فلا نطالب الطالب بأن يذكر لنا متى يقدم الفاعل وجوبا أو ما هي أنواع الصفة المشبهة أو ما هو أصل « قال » ، بل يكفي أن نعرف ذلك لنستعمله استعمالا عند الحديث أو الكتابة أو القراءة ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى منه كما يقول الجاحظ .

ليت مفكرينا ينحون بطلابهم هذا المنحى ليرفعوا ملكتهم اللغوية وليرفعوا عن كاهلهم عبئا لا ثمار له .

(١) رسالة المعلمين (مخطوط) .

مجمع اللغة العربية بمصر :

وقد عني مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتيسير النحو ، وليت أساتذة النحو والصرف بالكلية المختلفة يقرءون اتجاهات المجمع ويعملون بها ، فهي امتداد وتذكير باتجاهات الجاحظ وابن حزم ، يقول الأستاذ محمد شوقي أمين رئيس لجنة اللهجات ومقرر لجنة الأصول والألفاظ والأساليب ما يلي (١) :

لقد عنيت لجنة الأصول على امتداد عامين بآملين بوضع صيغة ميسرة للنحو المدرسي أو النحو التعليمي حيث كثرت الشكوى من ضعف الجيل الجديد في اكتساب قواعد اللغة ، وقد لاحظ الباحثون وخبراء التعليم والدعويون أن من أسباب هذا الضعف كثرة القواعد المروضة ، وأن فيها تعقيدا ، وأن لها تفرعات يصعب على التلميذ المعاصر تحصيلها في النطاق المقرر لتعليم اللغة العربية في مراحل التعليم ، والمعالج لذلك هو تبسيط القواعد واختصارها بحيث تقتصر على ما لا غناء عنه لكي يكتب الطالب سلامة النطق وسلامة التعبير بالعربية ويكون ذلك بأن تقتصر القواعد على الأحكام العامة التي يندرج تحتها ما جرى في لغة الكتابة العامة من صيغ ومن أساليب ، ويضرب سيادته لذلك مثلا باسم التفضيل الذي ذكر له في كتب التعليم ستة ضوابط أو سبعة ، يستلزم تحصيلها ومراعاتها حودا عقليا على حين أن الدارسة الواعية المستنيرة اثبتت أن صوغ اسم التفضيل لا يحتاج الى أكثر من ضابطين اثنين ، وقد توصل المجمع الى صيغة ميسرة بكفل الاكتفاء بها صون الطالب عن الخطأ في العربية نطقا وكتابة .

وحول وسائل النهوض بالفصحى بين أهل العصر .. قال محمد شوقي أمين عضو مجمع اللغة إنها كثيرة ، ومنها أن يكون هناك قدر مناسب من الضوابط ميسر ، لكي نخرج النحو من تعقيده .

(١) حديث نشره بالأخبار في ١٩٧٩/٤/٢٥ .

وحينما يدعو المجمع الى هذا التيسير فذلك من منطلق غيرته على
الفصحى • فإن تيسير النحو ضرورة قومية من أجل خدمة لغتنا العربية
الفصحى فيستطيع أبناء العروبة على اختلاف فئاتهم التعبير عما في نفوسهم
بلغة عربية سليمة •

ثالثاً - إعادة النظر في العلوم التي ادعت أنها اسلامية :

اتضح لنا مما سبق أن علم الكلام علم نشأ متأخراً وليست له جذور
اسلامية ، وأن علم المنطق علم يوناني . وكذلك الفلسفة وقد اقتبسنا آثافا
قول شيخ الأزهر عن المنطق « مَنْ تَمَنَّق فَقَدْ تَزَنَّق » وقوله إن الفلسفة
يونانية الجذور اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت معالم الطريق ، ومثل
ذلك ما قاله الدكتور كمال جعفر استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة ، وهذه
الأقوال تلزمن أن نقف وقفة صارمة لنسنع حدا لهذه العلوم بحيث لا تشغل
فراغا بين العلوم الاسلامية في معاهد العلم الاسلامية •

صحيح أن هناك جهوداً طيبة بذلها بعض الأباتذة في هذا الميدان
ليخلقوا ما يمكن أن يسمى فلسفة اسلامية ونحن نرحب بهذه الجهود
إذا كانت قد نضجت واستوت على ساقها •

هذا من جانب ومن جانب آخر فنحن لا نرفض تدريس الفلسفة
اليونانية رفضاً باتاً وإنما نرفض أن تدرس ضمن العلوم الاسلامية ، فإذا
درست الفلسفة اليونانية بعيداً عن الأزهر وعن المعاهد الاسلامية دراسة
عرض ونقد ، فهذا لا يدخل ضمن بحوثنا هنا ، وإن كنا بوجه عام نكره
أن تدرس الفلسفات الملحدة في أرض الأديان •

أما علم المنطق فلا نجد كلمة دفاع عنه ، وأما علم الكلام فنقتنع
بما اشتمله منه علم التوحيد على النسق الذي دونه الأستاذ الامام محمد
عبد في « رسالة التوحيد » أو على النسق الذي دونه في أحاديثنا عن
الاسلام ضمن الحديث عن « مقارنة الأديان » •

ذلك هو طريق الإصلاح وهو ليس صعباً ، ولو حمل كل انسان

(م ١٢ - المناهج الاسلامية)

بعض الجهد وتعاونت الجهود مع بعضها البعض ، لعقدنا الى المنهج الاسلامى السليم الذى يحقق خير الدين والدنيا .
العناية بالسلوك :

بقيت كلمة عن السلوك الذى يجب أن يأخذ مكانه فى معاهد العلم الاسلامية ، وقد ذكرنا من قبل اهتمام الاسلام والمسلمين بالسلوك وعده أهم من العلوم ، وتتخذ العناية بالسلوك قواعدها الأساسية من القرآن الكريم ، ولنتذكر وصف السيدة عائشة لرسول الله قائلة « كانت أخلاقه القرآن » نوجب أن نغرس فى نفس التلميذ والطالب المثل الواسعة لخلق الطيب ، كما وضحا كتاب الله ، لنعرف منلا الصورة التى يذكر المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ^(١) أننا صورة الرجل الكامل رسمتها آيات سورة الاسراء ابتداء من قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالولدين احساناً » ولنعرف توجيه القرآن فى موضوع السخرية من الناس ، والأخذ بالظن أو التجسس ، ودعوة القرآن المسلمين للاتحاد ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، ونهيه عن الحسد ، وأكل مال اليتيم والعدالة مع الصديق والعدو ^(٢) .

ومع كتاب الله تتقدم أحاديث الرسول فى التشريع وفى موضوع السلوك والآداب . وكذلك نهج السلف الصالح ، ولا بد أن يكون الآباء والمدرسون قدوة صالحة للجبل الجديد ، فالقرآن الكريم هو نموذج بيننا وكذلك أحاديث الرسول ، ونحن نفتقد القدوة الحسنة التى تضيء تلميذات الإسلام أمامنا موضع التقنيذ .

ونهتم كذلك بما كتبه الربون-المسلمون حول ضرورة مراعاة سلوك الطالب وتفوقه فى هذا المجال ، كما يراعى تفوقه فى العلوم ، وربما نال السلوك عناية أكبر من العلوم ، فقد سبق أن رأينا فى توجيهات ابن سينا التى اقتبسناها من قبل قوله : ان الجاهل بالعلوم قد لا يضر ولكن الجاهل بالسلوك والآداب لا يتوقف ضرره .

(١) حياة محمد ص ٣٤ .

(٢) اقرأ ما كتبه عن اخلاق المسلم فى كتابنا « الاسلام » ضمن سلسلة مقارنة الاديان .

توزيع المناهج على مراحل التعليم

مراحل التعليم الحالية في العالم الاسلامى متقاربة أو متشابهة ، انها المرحلة الابتدائية فالاعدادية فالتانوية فالجامعية ، وقد نكون هذه المراحل ذات طابع اسلامى خاص كالأزهر بمعاهدة وكلياته ونظائرها في العالم الاسلامى ، وقد تكون عامة أو مدنية إذا صحت هذه التسمية كالمدارس والجامعات التابعة لوزارات التربية والتعليم العالى ، مع ملاحظة أن بعض الكليات التابعة للجامعات المدنية تُخصّص أحياناً للدراسات الاسلامية والعربية ككلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وعلى هذا فنحن أمام المراحل المجلطة التالية :

- ١ — مدارس التعليم العام •
 - ٢ — مدارس التعليم الدينى (ويكثر أن تسمى معاهد) •
 - ٣ — الكليات والمعاهد العليا الاسلامية •
 - ٤ — الكليات والمعاهد العليا العامة •
- وسنقترح النموذج الاسلامى لكل مرحلة من هذه المراحل :

الدراسات الاسلامية بمدارس التعليم العام :

من الحق علينا أن نقرر أن مناهج الدراسات الاسلامية واللغة العربية بمدارس التعليم العام بمنصر مقبولة نوعاً ما ، لأن المربين بالوزارة أجادوا رسم المنهج ، فقد وضعوا لكل فرقة من الفرق الدراسية كتاباً ثنائياً ، يقرؤه الطلاب ويجرون فيه محاضرات ومناقشات ، وتدريج المربون بالكتب مع أعمار التلاميذ وتفاوتهم ولكن من الملاحظ أن بعض الكتب التى اختاروها كانت أعلى جداً من مستوى الطلاب •

وقد كتب المربون بالوزارة كتباً للنحو والبلاغة في مستوى طيب الى حد ما ، ملاحظين اليسر من جانب وشمول كل الأبواب من جانب آخر ،

ونظرة سريعة الى كتاب (البلاغة للصف الثانى الثانوى) ترينا أن الكتاب يحتاج البلاغة القديمة ، ويقدم موضوعات جيدة يسنفيد منها التلاميذ عندما يكتبون أو ينكلمون ، وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب « ... ان البلاغة كانت تعتمد على الأمثلة المبتورة وتنتزع من نصوصها انتزاعاً ، فإذا لم تف هذه الأمثلة بعرض المكرة ، وضعت أمثلة نكملها ، منها ما يحقق غايته ومنها ما أفسده التكلف ، فبان بسبب ذلك تسأل الدراسة البلاغية ، وضعف الاهتمام بها ، وعجزت عن أن تحقق أهدافها في تنمية قدرات التدقيق والنقد ، وارهاف الحس بمواطن الجمال في الكلام » .

أما الموضوعات التى يتدارسها هذا الكتاب فتشمل الحديث عن الأسلوب وعن التقديم والتأخير ، وعن الذكّر والحذف ، وعن القصر ، وما ماثلاً من الموضوعات المهمة ، ويقدم الكتاب أمثلة من موضوعات حية ومما كتبه الأدباء والباحثون والشعراء ، وبخاصة المحدثون منهم ، ويتعد عن التكلف وعن الأمثلة شبيه المصنوعة .

وعلى هذا فكل ما نقترحه في مناهج التعليم العام أن تزيد الساعات المخصصة للدراسات الاسلامية بحيث لا تقل عن ست ساعات أسبوعياً في القسم الابتدائى والإعدادى وعن أربع ساعات في القسم الثانوى ، وأن تخصص هذه الساعات فعلاً للدراسات الاسلامية ، فمن الملاحظ أن مدرس اللغة العربية هو الذى يدرس الدين ، وكثيراً ما يزحف على الوقت المحدد للدين فيستغرقه في دراسة اللغة العربية ، ثم أن يضاف لمنهاج التعليم العام ، قدر مناسب من مقارنة الأديان ومن الحضارة الاسلامية ، ويمكن أن تبدأ الحضارة الاسلامية مع التعليم الاعدادى بشكل مجمل ، ثم يتجه التوسع فيها في التعليم الثانوى أما مقارنة الأديان فتبدأ في التعليم الثانوى ، ويكتفى في التعليم الاعدادى بما به من دراسات اسلامية .

وتكون مقارنة الأديان والحضارة الاسلامية علمين يشبهان التاريخ والجغرافيا وغيرهما من العلوم النظرية التى تقدم لؤلاء التلاميذ ، فيتقدمان

للتلميذ أياً كانت ديانتته • وقد كنا في أوروبا ندرس هذه المواد مع اختلاف أديان الطلاب •

ومدارس التعليم العام بها خطأ كبير في دراسة التاريخ ، فقد تأثر كتاب المناهج بالحالة السياسية فقللوا من شأن أسرة محمد على ، وتحدثوا بإفاضة عن ديون اسماعيل ولم يتحدثوا عن ديون مصر بعد أسرة محمد على ، كما أنهم لم يتحدثوا عن اصلاحات هذه الأسرة حديثاً كافياً ، وبودى أن نصحح التاريخ حتى لا نخدع الطلاب •

الدراسات الاسلامية بمعاهد التعليم الدينى :

تولى معاهد التعليم الدينى للدراسات الاسلامية عناية أكبر ، ومع هذا فان جانب الانحراف فيها واسع كما قدمنا من قبل ، ولذلك نقترح أن يعاد النظر في مناهجها بحيث نصحح العلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، وبحيث نبتعد اتجاهات الاختلاف والغموض فيما يدرس لهؤلاء الطلاب ، ثم يتحتم أن تكون الدراسة لهم شاملة بمعنى أن يعرفوا في القسم الاعدادى فكرة سريعة عن كل أبواب الفقه وأبواب النحو واتجاهات الحضارة الاسلامية ، فاذا انتقلوا الى المرحلة الثانوية انتقلوا الى مزيد من التفصيل في هذه المواد ، وعرفوا فكرة كافية عن مقارنة الأديان ، وعلى العموم فان الدراسة التى أوردناها من قبل عن العلوم التى تعاد الى المناهج ، والعلوم التى تصحح ، والعلوم الدخيلة ، ينبغى أن تطبق بوضوح على المعاهد الاسلامية •

ويكتفى في معاهد التعليم الدينى بالقدر الكافى من الجغرافيا والتاريخ والعلوم والرياضة كما كان الحال قبل قانون تطوير الأزهر ، ذلك القانون المشؤم الذى اتجه للقضاء على الفكر الاسلامى فحشد في هذه المعاهد منهاجى الأزهر والمدارس العامة مع أن المنهاج الواحد منهما يعنى الطلاب ، فما بالك بمنهاجين •

الدراسات الاسلامية بالكليات الاسلامية :

ان الكليات الاسلامية في أمسّ الحاجة للتغيير الشامل ، فطلابها هم حملة راية الاسلام ، وشارحو فكره ، والألسنة المدافعة عنه ، وبقدر ما ننجح في اعدادهم بقدر ما يؤدّون مسئولياتهم خير أداء . *

ثم ان هؤلاء الطلاب هم الذبن مسّهم الضر فيما يتعلق بالمناهج أكثر من الطلاب بالكليات الأخرى ، فطالب الطب يتطور منهجه ، وكذلك طالب الهندسة والفنون وغيرها ، لأن هذه الكليات متصلة بنظائرها في العائم ، والمبعوثون يترسّكون الى الخارج ويعودون بأفكار جديدة تجعل هذه الكليات تسير على قدم المساواة مع نظيراتها في أرقى الدول ، ولكن الطائب في الكليات الاسلامية لا يزال يعاني ما عانته الأجيال قبله من انحراف هذه المناهج ، والبعد بها عن السلامة وعن الطريق الصواب . *

ومن أجل هذا فان منهاج هذه الكليات يجب أن يتغير تغيراً شاملاً ، على حسب ما شرحنا من قبل ، فيزدهر فيه علم مقارنة الأديان ، وتنتعش الحضارة الاسلامية ، ويأخذ هذان العلمان مكان الصدارة ، حتى يمكن فهم الاسلام فهماً صحيحاً ، والاحاطة بمكانته وما قدمه من مآثر للجنس البشرى . *

ويشمل المنهاج الجديد لهذه الكليات تصحيح ما انحرف من العلوم الاسلامية ، ويتخلّص المنهاج من العلوم الدخيلة بقدر الامكان . *

وإذا أردنا أن نعطي بعض التفصيل لهذا المنهاج ، وبخاصة للنواحي المنسبة فيه ، فاننا نذكر ما يلي :

— يعنى في هذه الكليات بقراءة القرآن الكريم قراءة دقيقة مع الحرص على فهم ما غمض من كلماته أو عباراته ، وتوزيع أجزاء كتاب الله

على الفرق الدراسية ، بحيث يقرأ الطالب القرآن الكريم كله ويفهمه
اجمالاً ، ويحفظ بعضه ان لم يكن كله قبل تخرجه .

— يدرس الطالب الأديان السماوية بتفصيل كاف ، ويعرف بعض
الديانات الموضعية وبخاصة الديانات التي لها دعاة ومبشرون كالبودية ،
وكذلك الديانات التي ترتبط بمنطقة يعيش بها الطالب ، والمعاهد الاسلامية
في امريكية تضيف الطوطمية وعبادة الأرواح والأبطال ، والمعاهد الاسلامية
في الصين تضيف الكونفوشية ، والمعاهد الاسلامية في الهند تضيف
الهندوسية والجينية وهكذا ، كما يجيد المقارنة بين قضايا الأديان المهمة
كقضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية التشريع
وهكذا ، ويقسم هذا المهج على سنوات الدراسة بحيث يتيسر للطالب أن
يحيط به قبل تخرجه .

— يدرس الطالب في هذه الكليات الحضارة الاسلامية بكل إقسامها
وأنواعها دراسة شاملة تحليلية ، ليعرف الطالب ماذا قدم الاسلام للجنس
البشرى في مجال السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والتربية
والعلاقات الدولية وهكذا ، كما يدرس النظم الاسلامية لى المؤسسات التي
أنشأها المسلمون لتطبيق الحضارة ، فقد أنشأ المسلمون مناصب ومؤسسات
مختلفة لتطبيق الفكر الاسلامى في المجالات السابقة ، ووضعوا لها نظاماً
وقوانين وشروطاً مومة ^(١) ، وتنقسم الدراسات الحضارية على سنوات
الدراسة بحيث يستوعبها الطالب قبل تخرجه .

— يدرس الطالب فقه السنة دون مذهبية أو تعصب ، ودون فروض
أو حيث ، مع ايراد التيسيرات التي قال بها شيخ المذاهب ، ويحيط الطالب
بموضوعات الفقه كلها خلال مدة الدراسة .

(١) : انظر هذه النظم في موسوعة النظم والحضارة الاسلامية للمؤلف .

— تسير دراسة التاريخ الإسلامى على النحو الذى شرحناه من قبل ، ويعرف الطالب تاريخ صدر الإسلام معرفة جيدة ، ويلم إلمامة سريعة بالتاريخ الإسلامى كله فى مختلف عصوره وأمكنته ، ثم يتجه بمزيد من العناية للتاريخ المحلى ، لى يعرف الطلاب المصريون مزيداً من التفاصيل عن تاريخ مصر ، والسودانيون والسعوديون والاندنيسيون .. مزيداً من التفاصيل عن تاريخ بلادهم ، ومع إبراز العظمة والفائدة من دراسة التاريخ ، تلك الفوائد التى عنى كثيرون من المفكرين المسلمين بالكتابة عنها^(١) ، وعندما نهتم بهذه الفوائد سيتضح لنا أن التاريخ شعاع من الماضى ينير الحاضر والمستقبل .

ويتحاشى الإكثار من الحديث عن الفتن والاضطرابات والدماء وأمثالها مما كسا تدوين التاريخ الإسلامى بالظلام ، ويأخذ الجانب الحضارى حقه فى دراسة تاريخ الدول الإسلامية .

— فى اللغة العربية يعنى بقراءة الكتب كما أشرنا سابقاً ، وتخصص محاضرات قليلة جداً لقواعد النحو والصرف على أن تتجه العناية للقواعد المستعملة ، ويراعى التطبيق عند القراءة ، كما توجه العناية الى بلاغة القرآن الكريم ، والى ما يقابله الطالب من أنواع الفصاحة فى قراءته المختلفة بعد أن يعرف أسس البلاغة وقواعد اللغة بايجاز .

ويوجه اهتمام كبير الى قراءة الكتب الأدبية الشهيرة ، إذ لا يمكن أن يحدّد متخصصاً فى اللغة العربية من لم يقرأ أمالى القالى والعقد الفريد والبيان والتبيين والأغانى ، فكما أن وزارة التربية والتعليم تخصص لكل فرقة من فرق الدراسة الإعدادية والثانوية كتاباً ، فإن الكليات والمعاهد العليا ينبغى أن تخصص لكل فرقة مجموعة كتب شهيرة من العصر الذى يتدارسه الطلاب ، وفى الفرقة الأولى يتدارس الطلاب أهم القصائد والكتب التى تصدر من العصر الحادى وصدر الإسلام والدولة الأموية

(١) انظر الدراسة التى كتبها المؤلفة عن « غائدة التاريخ » واقتبس فيها ما قاله هؤلاء المفكرون بالجزء الأول من موسوعة التاريخ الإسلامى .

أو كتبت عن هذا العصر ، وفي الفرقة الثانية يدرس الطالب بعض الكتب التي كتبت في العصر العباسي أو كتبت عنه ، وفي الفرقة الثالثة يدرس كتباً أندلسية ومصرية ومحلية . وفي الفرقة الرابعة يدرس كتباً من العصر الحديث ، وليس ذلك منهجاً محدداً وإنما هو مجرد اقتراح يمكن تعديله ، والمهم أن ننقذ الطالب من أن يقرأ له الأستاذ ، ويقول له أن الشعر أو التأليف ازدهر في هذا العصر أو ذاك ، وضعف في عصر آخر ، نريد أن يقرأ الطالب بنفسه وأن يحاول أن يصل الى النتائج بأشراف أستاذه وتوجيهه .

. ونحن بذلك نقضى على ظاهرة عزل الطلاب عن المكتبة العربية ، وعن المفكرين العرب والمسلمين عبر التاريخ ، ولا شك أنه مما يدعو الى الخجل أن يتخرج طالب في كلية من الكليات المتخصصة في الدراسات العربية وهو لم يمسك بيده كتب الجاحظ أو أغاني الأصفهاني أو العقد الفريد ، وما هائلها .

ذلك بشكل مجمل هو المنهاج المقترح للكليات الإسلامية أخذاً من دراسة واسعة ، ومن تجربة طويلة بهذه الكليات في عدة دول .

الدراسات الإسلامية في انتقابات العامة :

ان الكليات والمعاهد التي ليست متخصصة في الدراسات الإسلامية بالعالم الإسلامي ينحتم تزويدها بما يرنع مدارك طلابها في الاتجاهات الإسلامية . فليس من العدل أن يترك الطبيب والمهندس والمحاسب بالتبعية الفقيه التي تعلمها عن الإسلام قبل الجامعة ، ولذلك أرى أن نتدارك ذلك بالطريقين التاليين :

أولاً : تدرس الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان بشكل مجمل في جميع الكليات ، وتكرن دراسهما للمسلمين وغير المسلمين كما سبق القول .
ثانياً : يدرس بكل كلية أو معهد أحد جوانب الحضارة الإسلامية الذي يناسب تخصص هذه الكلية ، وتكون دراسة هذا الجانب الإسلامي بالتفصيل على النحو الذي شرحناه من قبل تحت عنوان « برنامج شامل » .

الجماهير والثقافات الاسلامية :

وينبغي على وسائل الإعلام وعلى المفكرين المسلمين ألا ينسوا الجماهير التي تتطلع للتعرف على الاسلام الصحيح ، فيتحتم أن نقدم لهؤلاء الجماهير مجالات واذاعات اسلامية تحوى بحوثاً اسلامية دقيقة جذابة ، وأن نقدم لهم كتباً كذلك تروى ظمأهم ، وتجيب عما يخطر بنفوسهم من أسئلة ، وأن نكف عن تهديد الجماهير ووعيدهم بالنار ، وأن نكف عن تقديم المخرافات مرتبطة بأسمى الأحداث وأجلها وأشهد الله أنني عندما أقدمت على ذلك لُقيت الجماهير على أعمالى بشغف دفعنى لمزيد من الجهد .

ويوم تسير مناهجنا على هذا النحو أو قريباً منه سيختفى المثقف الذى لا يعرف الاسلام ، ويستطيع المتخرج فى الكليات والمعاهد الاسلامية أن يقدم الاسلام للناس ويجذبهم اليه ، ولن يقتل مسلم مسلماً باسم الاسلام ، ولن يحدث تعصب ضد أتباع الديانات الأخرى ، وإنما هى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسينعم المجتمع بروح الاسلام ، وتختفى منه الرشوة والاهمال وعدم التعاون .

واعتقادی أن المناهج السليمة ستفرض نفسها يوماً ، وكل ما أرجوه أن يبذل الجهد للاسراع بذلك ، وكل من يتهم فى هذا العمل العظيم سيسهم فى خدمة البشرية التى لن تجد غير الاسلام هادياً ودليلاً .

خاتمة وأمل

وفى ختام هذه الدراسة يخطر ببالي سؤال هو : ما مدى طمعى فى النجاح مع أن الامام الغزالي أحس بانحراف المناهج فألف كتابه « احياء علوم الدين » وعنوان الكتاب يوضح أن لغزالي أدرك اختفاء علوم الدين فألف كتابه لإحيائها ، وجاء حديثنا الامام محمد عبده الذى عانى شخصياً من سوء المناهج وعمل على اصلاحها ولكن كلاً منهما لم ينجح فى ذلك ؟

والاجابة أنني قوى الأمل فى النجاح وأوشك أن أرى نتائج مشرقة لهذه العناية ، ومصدر هذا الأمل عندى ناحيتان :

لولا : أن دعوة الامام الغزالي كانت مبكرة ، ولم يكن الجيل مستعداً لتقبلها ، فقد كان العالم الاسلامي مكبل الفكر واليدين ، ولكن الجيل الحالي يتطلع الى الاصلاح ويستعد للمشاركة فيه ، ثم اننى أعتقد أن صيحة الامام الغزالي لم تذهب كلها في الهواء فقد خلف تلاميذ كثيرين كرروا نفس الصيحة ولعله آن الأوان لنجاحها •

ثانياً : ان الامام محمد عبده وصف الداء مجملًا ، ولم يفصل القول فيه تفصيلاً شافياً ، فهو يذكر أن التعليم ردىء ، ولكنه لم يوضح سبب الرداءة ، وبالتالي لم يصف الدواء ، صحيح أنه رحمه الله قدّم نموذجاً طيباً لتفسير القرآن الكريم في تفسيره لجزء « عم » وفيما نشر من تفسير لبعض الآيات والصور في مجلة المنار ، كما قدم في العقيدة « رسالة التوحيد » وفي مقارنة الأديان « الاسلام والمسيحية مع العلم والمدنية » واهتم الامام محمد عبده بالدعوة الى العودة بالاسلام الى ما كان عليه في الصدر الأول ، ولكنه لم يحدد معالم ذلك •

أما النهج الذى سرت عليه فهو وصف الداء وصفاً دقيقاً ، ثم تقديم الدواء الشامل كما رأينا من قبل ، وأعتقد أننى بذلك مهدت الطريق للنجاح ، وكل ما نحتاج اليه هو عملية التنفيذ التى تحتاج الى رجال مخلصين للدين والوطن ، لا يحكمهم الخوف أو التردد أو الأنانية ، وأعتقد أننا سنجد هؤلاء الرجال هنا وهناك •

وفي تقديم العلاج خطوات بناءة ، فاذا كنت قد دعوت لاهياء علم مقارنة الأديان فقد كتبت فيه دراسة في أربعة مجلدات أعيدت طبعاتها عدة مرات وترجمت الى عدة لغات ، وهى بلا شك تصلح أساساً لتقديم هذه المسادة ، وإذا كنت قد ناديت باحباء الحضارة الاسلامية فقد كتبت فيها مرسوعة شاملة في عشرة مجلدات . واذا كنت قد دعوت لتصحيح التاريخ الاسلامي فقد اتبعت منهج الاصلاح في موسوعة التاريخ الاسلامي التى كتبتها في عشرة أجزاء كذلك •

وأتيح لى ما لم يتح لغيرى من قبل ، فقد وقفت في مدرجات

الجامعات أدرس هذا الفكر ، وقد تخرج على يدي عدد كبير من الطلاب والمزيدين حملوا معنى عبء هذا الجهد ، وهناك كذلك أحاديثي في الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية ومثالاتي في الصحف والمجلات ، ومحاضراتي العامة في كل مكان ، وقد رأيت فعلا نتائج هذه الجهود •

ذلك هو عملي في مجال تخصصي ، وفي التخصصات المختلفة قام العلماء الأجلاء بدراسات تسير مع النسق المطلوب ، فقد اشترك مجموعة من العلماء في تفسير القرآن الكريم ، وأصدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هذا التفسير باسم « المنتخب في تفسير القرآن الكريم » وقام مجمع البحوث الاسلامية بنشر « التفسير الوسيط للقرآن الكريم » •

وفي الفقه كتب فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق كتابه القيم « فقه السنة » • وكتب كثيرون سواهم كما ذكرنا من قبل •

ويوم تخلص النية ستستكمل الدراسات الاسلامية كتابة وتدويناً ، ولكن ينبغي أن يتضح أن تعديل المناهج هو الأساس ، وأن الكتابة والتأليف عمل تابع لتعديل المناهج ومنفذ له •

ومن هنا فنحن نحیی الحركة الطيبة التي تنادي في الأزهر باعادة كتابة الكتب ، ولكننا نقرر أنها لابد أن تسبقها حركة تصحيح للمناهج ، فلا نريد كتابة في المنطق أو علم الكلام ، وانما نريد كتابة فيما يفيد الاسلام والمسلمين ، ونريد منهجاً سليماً يستعيد العلوم المفيدة ويتبعدها العلوم قليلة الجدوى ، ويصحح الطرم التي انحرفت •

ونعتقد أن هذا الاتجاه سيجد صдаه في النفوس المؤمنة ، وأن الكثيرين سيلبسون هذه الدعوة ، ففي ذلك صلاح الدين والدنيا ، وفيه الخير كل الخير لهم من الناحية الأدبية والمادية •

وستقابل موجة الاصلاح بعض المحافظين أو المعرّقين ، ولكني أرجو أن تدفعهم الموجة لينضموا للكادحين ، أو على الأقل ليخلوا الطريق أمام العاملين •

الأزهر

بين الماضي والحاضر والمستقبل

لا بد من كلمة هنا عن الأزهر ، فالأزهر منارة عالية ، ويوم تصلح
الأمور فيه ستصلح في كل الأنحاء ، وهذه الكلمة تجيء بدافع الخيرة عليه ،
فقد تلقينا العلم في رحابه ، ووقفنا فيه معلمين ، وبذلنا أقصى الجهد لخدمة
المعارف التي أقيم لها الأزهر منذ أكثر من ألف عام .

ولقد كان ماضى الأزهر وضاء بلا شك ، وقد استطاع هذا المعهد العظيم
أن يحمي الاسلام عدة قرون ، كان وحده خلالها حارساً عملاقاً للدراسات
الاسلامية ، ففتح أبوابه وأروقتة للطلاب من مختلف الأنحاء والأقطار ،
وقدم لهم العلم والسكن والطعام ، وعاد هؤلاء الى بلادهم فحملوا أفانين
الفكر التي تلقوها في هذا المعهد العريق .

وعلى هذا فان التاريخ يسجل للأزهر ماضياً ناصعاً ودوراً مشرقاً في
القرون الخالية .

ومر الزمن ودارت دورته ، واستقلت دول اسلامية كثيرة ، وأنشأت
هذه الدول معاهد وكليات وجامعات اسلامية ، وكان الأزهر في كثير من
الأحوال يمثل المعهد الأم لهذه المعاهد وتلك الجامعات ، ونحن الجامعات
الجديدة سرعان ما وصلت أو أوشكت أن تصل الى الرشيد وأن تقف مع
الأزهر موقف المناظر والمنافس ، فماذا أعدّ الأزهر لهذه المباراة ؟ لو بلغة
أخرى ما هو حاضر الأزهر ؟

اننى أدرك حساسية الاخوة الأزهريين ، وأحس أنهم يكرهون النقد
حتى من رجل مثلى أزهرى النشأة شديد الولاء للفكر الاسلامى شديد
الحرص على حسن العلاقة بهم ، ومن أجل هذه الحساسية فيهم فانى أترك
الحديث عن حاضر الأزهر لرجل أزهرى هو فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف

عز الدين عاقول المفتش بالأزهر ، والذي كتب في صحيفة الجمهورية
الصادرة في ٢٠/١/١٩٧٨ يقول :

« هان الأزهر على أهله ، وفقد غيرتهم عليه ، فأبيحت حرماته ،
وانتشر الفساد فيه ، والتحق به من لا يصلح لحمل رسالته .. وأنقل
بالمناهج العديدة النساقة التي جاء بها اليه في غير حاجة ولا فائدة قانون
التطوير رقم ٣٠ لسنة ١٩٦١ فأُرحق طلاب الأزهر بما لا يقره عقل ،
ولا تدعو اليه مصلحة ، ولا تظن له حكمة ، ونسليم عن مناهجهم الدينية
والعربية التي هي رسالة الأزهر ، وحاجة المسلمين منه . وأصبح التعليم في
الأزهر مسخاً منسوخاً لا هو ديني ولا هو ثقافي .. وعجز الأزهر
عن أداء رسالته العلمية ، فصار يخرج للمسلمين أشباه علماء ، لا كفاءة
فيهم ولا غناء بهم .. وأى كفاءة وغناء في طلاب كلفوا بما لا طاقة لهم به
وفرضت عليهم مناهج يضيق عنها وقتهم ، ويقتصر جهدهم ، فانقطعوا عن
اجادة شيء منها ، وتخرجوا فارغين من العلم والمعرفة ، وفقد الأزهر
ثقة الناس في علمائه ، وعجز عن بناء المجتمع الاسلامي الصحيح ، فادعى
العلم غير أهله ، وظهرت الأفكار الفاسدة والمبادئ الهدامة في عقول
شباب المسلمين قادة مستقبل الأمة ، وقد كان لأبناء الأزهر في الثمانون
رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ منهج ديني عربي ثقافي يتفق مع قدرات الطلاب
وحاجة الأمة .. »

الغش الرسمي :

« ولقد ترتب على ازدواج المناهج على طلبة الأزهر عجزهم التام
عن النهوض بشيء منها ، وانتشار الغش والكذب والخداع في كل
الامتحانات الأزهرية حتى صار ذلك واقعاً مسلماً به في الأزهر ، وصارت
نتائج الامتحانات لا تمثل الواقع ولا ينبغي أن يبنى عليها حكم .. وأدلة
ذلك كتابياً موجودة بيدي .. » اهـ .

وكان الغش في الأزهر أصبح شيئاً مسلماً به ، فان الجامعات المصرية لا تقبل الحاصل على الشهادة الثانوية الأزهرية مع أن بها علوم الشهادة الثانوية العامة ، ومن العجيب أن الجامعات المصرية تقبل الحاصلين على ما يعادل الشهادة الثانوية المصرية من كل أقطار الأرض إلا ثانوية الأزهر ، ولا يجد الأزهر قوة يدافع بها عن هذا الاتجاه ، لأنه يعرف موطن الداء فيه وهو ضعف الدراسة أولاً ، والغش ثانياً .

ذلك هو حاضر الأزهر ، وهو كما ترى حاضر مزير لا يتناسب مع ماضيه المشرق ، وأكثر عشرات الأزهر الحالية ترجع الى القانون اللعين ، ألمان رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذى قصد به تدمير الأزهر وحرمان الاسلام والدراسات الاسلامية من الكفاءات الطيبة من الأزهرين ، وعيوب هذا القانون معروفة لدى قيادات الأزهر ، وطالما تناولناها فى أحاديثنا وكتابتنا ، ولكن أحداً لم يتقدم لإنقاذ الأزهر من مثالب هذا القانون الجائر ، ومن أجل هذا نتساءل :

— أما أن للأزهر أن يقضى على ازدواجية التعليم بالمعاهد الأزهرية ، فان المنهج الواحد يثقل الطلاب فما بالك بمنهاجين ؟

— أما أن لنا أن نحافظ على نوابغ الطلاب بالقسم الثانوى بالمعاهد وندفعهم للكلية الدينية ليرفعوا شأن الدراسات الاسلامية ، بعد أن أغرأهم هذا القانون بالالتحاق بكلية الطب والهندسة حتى يحرم الاسلام من صفوة الطلاب وخيرتهم . انها مؤامرة هذا القانون ضد الأزهر وفسد الاسلام ؟

— أما أن لنا أن نعيد النظر فى المناهج الأزهرية كلها ، لنخرج من الأزهر العالم الذى يحسن تقديم الاسلام ، وي جيد ارشاد الجماهير .

— أما أن لنا أن نقضى على نغمة الامتحان فى المقروء ، وأن نعيد الدقة للامتحانات الأزهرية حتى تستعيد الهيئة والسمعة الطيبة .

مرة أخرى ذلك هو حاضر الأزهر وهو حاضر يهتف بشدة الحاجة للإصلاح ، ولا شك أن المسلمين في كل أقطار الأرض يتمنون من قادة الأزهر أن يتجهوا له بمزيد من العناية ، وأن يؤثره على أنفسهم ، فذلك أخلد لهم ، فإذا توانى قادة الأزهر في الاستجابة لنداء الإصلاح فإننا نتطلع أن يقدم عليه أعضاء مجلس الشعب ورجال الصحافة وكل مسلم غيور ، فالأزهر أمل المسلمين جميعاً ، وحصن مهم من حصون الإسلام •

أما مستقبل الأزهر فمتوقف على الجهود التي تبذل لإصلاح الحاضر وهي جهود نعتقد أن بين الأزهرين كفاءات طيبة تستطيع أن تحمّل مسئوليتها ، وأن تقود الركب لتستعيد للأزهر كرامته ومكانته بين جامعات العالم •

والذى نراه ونكرره أن جامعات اسلامية هنا وهناك تصارع للوصول الى الكمال ، وأن كثيراً من الجامعات المدنية أنشأت بها كليات للدراسات الاسلامية تصارع هي أيضاً للوصول الى الكمال ، حتى أوشك زمام الدراسات الاسلامية أن يتحول عن الأزهر وهو شيء ينبغي أن يثير غيرة الأزهرين على معيهم الذى نخشى أن تشيل كفته ، وان كنا نحسب التنافس لخدمة الاسلام والمسلمين ، والبقاء دائماً للإصلاح •

وبالله التوفيق

معاهد الدعوة الإسلامية ومنهج أمثل لها

لبن معاهد الدعوة الإسلامية بالعالم الإسلامي ؟
وما المناهج المثلى لهذه المعاهد ؟

هذان سؤالان مهمان نختم بهما هذه الدراسة عن تاريخ المناهج الإسلامية ، فإن معاهد الدعوة الإسلامية لم توجد بَعْدُ بشكل حقيقى • ولكن الاتجاه بدأ نحو أيجادها ، ولهذا فنحن هنا نتكلم عنها من جانب ، ومن جانب آخر نقترح لها مناهج أقرب الى الكمال قبل أن تفرق في المناهج المنحرفة ، فانها ان غزتها المناهج القديمة كان معنى ذلك أنها تولد ميتة ، وهذا ما نخشاه ونعمل لتتأشاه •

لماذا نحتاج لمعاهد الدعوة ؟ :

ان الذى يتصل بأركان العالم يدرك بسهولة أن هناك ملايين من غير المسلمين يريدون أن يعرفوا الاسلام ولا يجدون الطريق لذلك ، وهناك ملايين من المسلمين يحتاجون لتصحيح أفكارهم وتعميق إيمانهم ولا يعرفون وسيلة لذلك ، لماذا ؟

الجواب أن الجامعات الاسلامية والجامعات المدنية أيضا في كل العالم الإسلامى قد غفلت عن فتح معاهد للدعاة لتقوم بهذا الواجب ، ومن المؤكد أن اهمال هذا العمل وزر كبير يتحمله ولاية الأمور بالعالم الإسلامى من أمراء وعلماء •

ثم أن تقديم الاسلام للعالم مهمة ليست سهلة ، وينبغى أن يعد أولئك الذين يقومون بهذه المهمة اعداداً شاملاً وحصيماً ، وقد اتضح من دراسة النظم المماثلة في العالم أن الداعية له صفات خاصة ، ترتبط بمعلوماته

وشخصيته وقدرته على الحوار ، وهى دعائم ضرورية لنجاح رسالة الداعية ، وبدونها لا يصل الداعية للنجاح المطلوب .

وعلى كثرة ما عندنا من جامعات ومعاهد عليا لا تزال معاهد الدعاة فى مصر وفى العالم العربى والإسلامى قليلة جداً ، بل ليست موجودة على الإطلاق فى بعض البلدان مع شدة الحاجة لهذه المعاهد لمواجهة التحدى الذى يتعرض له مجتمعنا وديننا .

وهناك تقدم واسع فى الدراسات الإسلامية انبثقت عنه جهود المفكرين المسلمين ، ويتحتم أن يتعرف الداعية على هذا التقدم ليكون مسلحاً بالوسائل التى تضمن له نجاحه فى عمله ، والوقوف فى وجه الحركات التبشيرية والاستشراقية المغرضة .

شروط القبول بمعاهد الدعاة :

ان الشروط التى نضعها هنا هى الشروط المثلى التى نلتزم بها ان أردنا أن نخرج طائفة ممتازة من الدعاة ، وهذه الشروط هى :

١ - حفظ القرآن الكريم ، واجادة تلاوته ، وعند الضرورة يكفى بحفظ بعض الأجزاء وحفظ آيات التشريع ، على أن يواصل الطالب جهده لحفظ القرآن الكريم كله .

٢ - الحصول على شهادة عالية من إحدى الكليات التى تعنى بالدراسات الإسلامية (فى مصر : الكليات النظرية بالأزهر ودئية دار العلوم وأقسام اللغة العربية بكليات الآداب) وما يعادل هذه الكليات بالعالم العربى والإسلامى .

ومن هذا يتضح رفض قبول الحاصلين على الثانوية بمعاهد الدعوة .

٣ - اجادة اللغة العربية فى التعبير الكتابى أو الالقاء ، وأن يعرف معرفة جيدة إحدى اللغات الأوربية الكبرى .

٤ - هناك صفات شخصية يتحتم أن تكون بارزة فى الداعية وفى

وهناك نقاط تكميلية ينبغي أن نسجلها هنا لعلها تحظى بالاهتمام :

أولا - تدريس اللغة العربية لغير العرب :

هذا ومن التقصير في ميدان اللغة العربية أن العرب لم يضعوا طريقا سليما لتعليم اللغة العربية لغير العرب ، فإذا وفد وافد من ماليزيا أو نيجيريا ليتعلم اللغة العربية ، فإنه يُدفع به الى المناهج المخصصة للعرب ، وربما قابل آلفية ابن مالك أو قطر الزدى ليتعلم هذا الكتاب أو ذاك على أنه اللغة العربية .

ثانيا - الاهتمام باللغات العالمية في المعاهد الإسلامية :

ومن التقصير المرتبط بالمعاهد الإسلامية في مجال اللغة أن اللغات الأجنبية وبخاصة اللغات العالمية لا تدرّس فيها أبدا ، أو لا تدرس بقدر كاف ويرى بعض المحلفين أنه من تضييع الوقت أن يتعلم طالب الدراسات الإسلامية لغة كالإنجليزية أو الفرنسية ، مع أن المؤتمرات الإسلامية تعقد من حين الى آخر وتكون هذه اللغات لسان المؤتمر بوجه عام *

ثالثا - كتب عن الإسلام باللغات العالمية :

وكلمة استطرادية ونحن نتحدث عن الإسلام واللغات ، هي أنه لا يوجد حتى الآن كتب ذات بال عن الإسلام باللغات الأجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو اليابانية وغيرها وتحتوي هذه الكتب دراسة شاملة موجزة عن الإسلام من ناحية العقيدة وأثرية والأخلاق ، وهذه الكتب ضرورية جداً لتؤدي واجبا تجده التمرير بالإسلام .

رابعا - الأخلاق الإسلامية :

عنى الإسلام عناية بالغة بالأخلاق ، فحارب أخلاق الجاهلية ، وقدم للمجتمع البتري أخلاقا سامية جديدة ، وقد أهتم كثير من الباحثين بالأخلاق الإسلامية وكتبوا عنها كتابات رائعة ، وقد كتبت جزأين

٤ - الدراسة العميقة لعلم مقارنة الأديان ، ودراسة مقارنة الأديان ستضع أيدينا على جمال الإسلام ، وعلى الدور الذى يحمله ليكمل به محاولات الأديان لهداية البشرية ، وسيستفيد الداعية من « مقارنة الأديان » فى مواجهة المبشرين بالمسيحية أو البوذية ، فهؤلاء يتعرفون الإسلام ويتلمسون ما يعتقدونه نقاط ضعف فيه ، ليهاجموه عن طريقها كتعدد الزوجات والطلاق وانتشار الإسلام بالقوة ، ولا يجوز أن يقف الداعية موقف المدافع فقط ، بل يجب أن يعرف كيف يهاجم أحيانا ، ولن يكون ذلك إلا إذا تعرف على هذه الأديان ، ودرسها ، وأدرك ما حدث بها من تحريف على مر السنين .

ويشمل علم مقارنة الأديان دراسة عدة قضايا دينية مثل قضية الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ... وغيرها من القضايا التى تبرز روعة الإسلام وجلاله ، كما يشمل التعرف على الأديان ، والمعتقدات المنتشرة فى المناطق التى سیرتادها الداعية كالطوطمية والبوذية ... الخ .

٥ - الدراسة العميقة للحضارة الإسلامية بنوعها ، أى دراسة الحضارة الإسلامية التى جاء بها الإسلام ، ولم تكن معروفة قبل الإسلام كاتجاهات الإسلام فى السياسة والاقتصاد ، وفى المجال التربوى والاجتماعى والعسكرى ، تلك الجوانب الحضارية التى تعد منحة الإسلام لهداية البشرية ، وتشمل الدراسة مقارنة النهج الإسلامى بالمناهج المعاصرة فى السياسة والاقتصاد وغيرها .

ثم دراسة الحضارة التجريبية التى كانت موجودة قبل الإسلام ثم ذبلت واختفت كالطب والرياضة والفنك مع ابراز دور المسلمين فى احياء هذه الحضارة وشرحها والكتابة فى نطاقها كتابةً أضافت لهذه العلوم كثيرا من الابتكارات المفيدة (١) .

(١) اقرا موسوعة النظم والحضارة الإسلامية للمؤلف (عشرة اجزاء) .

وتختم دراسة الحضارة الاسلامية ببيان انتقال هذه الحضارة من العالم الاسلامى الى الهند والصين ثم الى أوروبا ، ومن أوروبا الى العالم بأسره حتى أصبحت الحضارة الاسلامية أساسا للحضارة العالمية ، وتثبت عن ذلك اعترافات الغربيين من أمثال جورج سارتون وكيرك وغوستاف لوبون وريتشارد كوك وغيرهم (١) .

٦ - دراسة تاريخ العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مع العناية بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، وسيرة السلف الصالح والمصلحين المسلمين ، ومع العناية بتصحيح ما حدث في تدوين التاريخ من أخطاء ، ومع العناية بتاريخ المسلمين من غير العرب الذى تجاهله السابقون أو أوشكوا .

٧ - دراسة خريطة العالم الاسلامى مع بيان أنها خريطة مفتوحة ، أى تحتل مزيدا من الاتساع والامتداد ، وأن بها منافذ جغرافية وفكرية لأزيد من العمق والانتشار .

٨ - دراسة تاريخ الدعوة الاسلامية ، وتحركات الدعاة المسلمين ووسائلهم التى اتبعوها هنا وهناك لنجاح مهمتهم .

٩ - الاستمرار في تقوية اللغات الأوربية التى يعرفها الطالب ، وتقديم لغة شرقية تمثل المنطقة التى يتوق الطالب لارتدادها والدعوة للإسلام بها كلغة الهوسا أو اللغة الأندونيسية .

الانتساب لمعاهد الدعاة :

تفتح معاهد الدعاة أبوابها للانتساب لمن يريد ممن لا تتوافر فيهم الشروط السابقة ، ويرغبون في التزود بالزاد الاسلامى ، دون رغبة في أداء الامتحان ، ودون حرص على نيل اجازة من المعهد ، ولطلاب الانتساب أن يأخذوا شهادة استماع واحاطة إذا نجحوا في امتحان يعقد لهذا الغرض .



(١) اوردنا هذه الاعترافات من قبل .

خلاصة وإضافة :

مؤتمر القمة الإسلامي بأكوييت

يناير ١٩٨٧

عندما دعت الكويت لمعقد مؤتمر القمة الإسلامي بها في يناير سنة ١٩٨٧ ، اتجه المشرفون على المؤتمر الى طبع كتابٍ باللفظات العالمية عن « مستقبل الإسلام وكيف ينبغي أن يكون » *

وتبعاً لهذا الاتجاه اتصل هؤلاء المشرفون بعدد من المفكرين والباحثين في الدراسات الإسلامية لكتابة موضوعات معينة تكون مادة هذا الكتاب ، وشرّفتني أن كنت واحداً من هؤلاء ، وكان الموضوع الذي اتفقنا على أن نكتب فيه هو :

مناهج الدراسات الإسلامية

رؤية مستقبلية

ترمى لإصلاح المناهج الإسلامية ، وبالتالي لإصلاح المجتمع الإسلامي

الطلاب لم ينهلوا الفكر الإسلامي السليم وبالتالي لم يقدموه للمجتمع :

وقد وضحت في هذا البحث حقيقة مهمة هي أن تأخر المسلمين في مجال الحياة السياسية والاقتصادية ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والاتجاهات الخفية نتج عن انحراف المناهج ، فطالب الدراسات الإسلامية لم ينهل من الإسلام على النهج الصحيح ، وبالتالي لم ينقل للمجتمع الإسلامي صورة دقيقة لديننا الحنيف .

وبلغة أخرى فإن طبيعة طالب الدراسات الإسلامية هي أن يقف وسيطا بين معلمي هذه الدراسات وبين جمهور المسلمين ، وهو ينقل للجمهور ما ينتقله من فكر ، فإذا كان ما نقله منحرفا أو هزيلًا كان ما يؤدّيه منحرفا وهزيلًا كذلك .

والمناهج الإسلامية هي عصب الفكر ، وهي مقياس السلامة ، فإذا صلحت صلح المعلم والمريد ، وصلح المجتمع الإسلامي تبعًا لذلك ، وإذا فسدت فسدت كل الأطراف .

وبذلك ارتبط هذا البحث في كثير من جوانبه بهذا الكتاب ، وكان طبعيا أن أقتبس منه بعض ملامحه ، وبخاصة ضرورة أن يعود علم مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية للمناهج الدراسية وأن تصحح العلوم التي مسها الانحراف وأبعدها عن روح الإسلام ، وأن تشطب من المناهج العلوم الدخيلة .

واقترض ذلك أن أنقل كلمات ابن حزم عن ضرورة علم مقارنة الأديان ، وكلمات الجاحظ عن الانحراف في تعليم اللغة العربية ، وكلمات الأستاذ محمد المبارك عن فساد مناهج الدراسات الإسلامية وكلمات الإمام محمد عبده عن سوء التعليم في الأزهر ونهجه الذي تسرب للمعاهد الإسلامية بالعالم الإسلامي .

تلك هي ملامح الاقتباسات التي أخذتها من هذا الكتاب وأودعتها بحضرة الذي قدمته إلى المشرفين على الإعداد لمؤتمر القمة الإسلامي . وبجانب هذه الاقتباسات هناك نقاط جديدة أضفتها لهذا البحث ، ونبها يلي أورد هذه الإضافات :

بحوث إسلامية في أحضان مؤتمر القمة الإسلامي :

تقام المؤتمرات الإسلامية من حين إلى آخر هنا وهناك ، وتكون محلية حينًا وعالمية أحيانًا ، ويتخفى كبار الأساتذة بحوثهم فيها ، وتعلن التوصيات

ثم ينتهى الأمر ، إنها اجتماعات تتم وتنفض دون أن تُحدث نتائج ذات
بإل في الحياة الإسلامية ، وكثيرا ما اشتركت في هذه المؤتمرات وشاهدت
هذه الأحداث ، وكيم كنت أتمنى أن تعيش هذه البحوث ، وان تجد
طريقها لواقع الحياة •

مقارنة بين المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات الطبية :

وكنا نمس بفرق كبير بين المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات الطبية
مثلا ، فإذا كانت المؤتمرات الإسلامية تقنع بالقاء البحوث وعلان
التوصيات ، فإن نتائج المؤتمرات الطبية تنعكس على مناهج التعليم
بكليات الطب ، وعلى عيادات الأطباء ، ومصانع الأدوية ، ومثل هذا يقال
عن المؤتمرات الخاصة بدراسات كليات العلوم أو الهندسة ولعلنا
بدوا من هذا المؤتمر الإسلامي الكبير ندفع نتائج المؤتمرات الإسلامية
لتعيش وتزدهر •

التطور في الكليات العملية والجمود في الكليات الإسلامية :

ونستمر في المقارنة بين الدراسات الإسلامية والدراسات في العلوم
الطبية أو الهندسية ، فنذكر أن معاهد العلم التي تُعنى بالطب والهندسة
في بلادنا ، هي على صلة وثيقة بنظيراتها في أوروبا وأمريكا ، ومن هنا
فالدراسات عندنا في هذه العلوم متطورة الى حد كبير تبعا للتطور
العالمي •

أما في الدراسات الإسلامية والعربية فأننا نمثل الأصل ،
ونعده مسيرين عن التطور ، فإذا وقفنا حيث نحن بهذه الدراسات فإن
هذه الدراسات في العالم كله تقف دون حراك •

وعند الحديث عن المؤتمرات الإسلامية نسأل : هل تعالج بحوث
هذه المؤتمرات مشكلات الحياة ؟ وهل يربط الباحثون بين مشكلات العالم
الإسلامي ومناهج التعليم بالمعاهد الإسلامية ؟

والاجابة الدقيقة هي بالإيجاب عن السؤال الأول ، وبالنفي عن السؤال الثانى ، فالباحثون المسلمون يتدارسون كثيراً من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية ، ولكنهم لا يصلون بها الى مناهج التعليم ، وانما يلقون بها فى المحيط الواسع ، فلا تتبناها جامعة أو هيئة ، وتكون النتيجة أن تضع أصدائها فى مهاب الرياح .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد البحوث لا تتحدث عن مناهج التعليم فى وضعها الحالى فهل هذه المناهج سليمة ؟ وهل هى معبرة عن روح الإسلام ؟ وهل هى متطورة تبعا للتطور الطبيعى فى شئون الحياة ؟ وبالتالي هل تساعد هذه المناهج على إعادة بناء الإنسان المسلم ؟

الإجابة الصريحة بالنفى ، فليست هذه المناهج سليمة على الإطلاق ، وليست كذلك التى عرفها صدر الاسلام ، واستعملها الرسول وهو يبلغ رسالة ربه ، واستعملها مبعوثوه الى الأمكنة المختلفة التى أرسلوا اليها ، ومن هنا يجىء الداء وإصلاح المناهج هو خير دواء .

إهمال الوسائل التى تنتشر الإسلام بالغرب :

ونعنى نقطة أخرى وهى تتمثل بالزحف الإسلامى ، وفى هذا المجال نذكر أننا نشهد فى هذه الأيام زحف الإسلام لدى أرقى الأوساط وكبار المثقفين ، وليس إقبالهم على الإسلام إلا نتيجة للقراءة عن الفكر الإسلامى أنسلم ، أو الانتقاء ببعض الموهوبين المخلصين من الدعاة ، وهم قليلون ، ونقرر للأسف أن أفذاذ العلماء المسلمين كتبوا كثيراً مما جذب ويجذب الناس الى الإسلام ، ولكن كتابات هؤلاء لا تجد طريقها لآذان الطلاب ولا لأبصارهم ، ولا يسمَح لها أن تؤثر فى المناهج الدراسية ، انها ثقافة عالية تشق طريقها للمثقفين ، أما المناهج والمصادر الإسلامية فتعيش فى عالم آخر .

قمتها الايمان العميق بالعمل الذى سيزاوله وهو الدعوة ، والاحساس بأنه يريد أن يعطى من فكره وجهده لخدمة دينه ووطنه ، ثم وضوح الفكرة ، وطلاقة اللسان ، واجادة الحوار والمناظرة ، ثم سماحة النفس ، واتساع الأفق ، وحسن العشرة ، ثم الكرم ، وتسمو الخلق ، والتطور الفكرى ، وسعة الاطلاع ، وقبل هذا وبعده أن يكون قدوة حسنة للناس ، وأن يجعل الآية الكريمة : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » نبراسا له وضوءا يهتدى به .

الدراسة بالمعهد :

مدة الدراسة فى معهد الدعوة سنتان يُعطى الفاجح بعدهما شهادة تعادل شهادة الماجستير من الناحية الأدبية والمادية ، وللحاصلين على درجة جيد جداً فى هذا الامتحان أن يعدوا رسالة لدرجة الدكتوراه خلال مدة لا تتل عن ثلاث سنوات بحيث يقدم الطالب رسالة يسهم بها فى خدمة الدعوة والدعاة .

والدراسة فى المعهد تكون مسائية من الخامسة الى الثامنة ، للتوفيق بين الدراسة وبين الأعمال التى يقوم بها غير المتفرغين لها ، والتفرغ أجدى لو خصصت الدولة مكافأة للطلاب ، وتكون الدراسة ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة فى الأسبوع حسب الأحوال .

خطة الدراسة ومنهج التعليم :

يتجه الاهتمام فى هذا المعهد الى دراسة ما لا يعرفه الطالب من علوم ترتبط بالدعوة ، وتساعد على نجاح مهمة الداعية ، وهذه العلوم هى :
١ - علوم القرآن الكريم من مستوى رفيع ، مع العناية بدراسة مناهج التفسيرين .

٢ - علوم السنة مع حفظ مجموعة كافية من أحاديث الرسول صلوات الله عليه ومع دراسة منهج المحدثين فى ضبط السنة .

٣ - الفقه المقارن مع ابراز روعة الشريعة الاسلامى .

من « المكتبة الإسلامية لكل الأعمار » عن « الأخلاق الإسلامية من القرآن الكريم » ووضحت أن الأخلاق الإسلامية جزء من الإيمان ، ولا يكمل إيمان المرء الا باتباع الأخلاق التي فرضها الله ، وجمعت الآيات الكريمة التي تتحدث عن الدعوة للخير ، وعن الإخلاص في العمل وعن بر الوالدين ، وعن حقوق الجار ، وعن معاملة اليتيم ، وعن الكرم ، وعن الوفاء بالوعد ، والصبر ، والجلم ، والعدل ، وضرورة البعد عن الرشوة ، وعن الخسد ، وعن إثساغة الفرقة ، والسخرية بالآخرين ، والكبر والغرور وعلقت عليها تعليقات سريعة .

ومع القرآن الكريم وقف سيدنا رسول الله يطبق عمليا هذه الالتزامات ويعلن ضرورتها ، كما وردت عنه أحاديث كثيرة وهو يربّي القضاة والولاة والدعاة .

ولكن الأخلاق الإسلامية لم يعد لها مجال ذوبال في المناهج الإسلامية ، وبالتالي اختفت أو ضعفت في المجتمعات الإسلامية .

تصحيح المناهج عمل يطبقه الأساتذة الذين انتقدنا عملهم :

بعد هذه الجولة الموجزة عن انحراف المناهج الإسلامية أحب أن أوضح تفائلي وتأكیدی أن اصلاح المناهج ليس بالمعمل العسير ، وإذا كان مثلاً بعض أساتذة اللغة العربية يتمسكون بكتبهم في النحو والصرف ويرونها ثروة لا يريدون أن يفقدوها فإننا نؤكد لهم أن هذه الثروة ستبقى ملاذا لطلاب الدراسات العليا والمراخين في التحرف على فلسفات القواعد النحوية والصرفية ، ثم إن هؤلاء قادرون بلا شك أن ينزلوا للمحيط الجديد ، وأن يكتبوا دراسات مقارنة عن البيان والتبين والعقد الفريد ودراسات عن شعراء كتاب « الأغاني » وعن الموسيقين في كتاب الأغاني وهكذا وسيكون عظيم هذا أكثر انتشارا من كتبهم في النحو والصرف ، لأن الدراسات عن اللغة النحوية تستهوي جمهورا واسعا من المثقفين بالإضافة إلى الطلاب ، والذي نقره لأساتذة النحو والصرف يقال لأساتذة اللغة والحديث والتاريخ الإسلامي والتفسير .

هذا ركن من أركان التفاؤل ، وركن آخر هو أن الكثيرين من
شيوخنا الأولين وضعوا الأساس لإصلاح المناهج ، وعلينا أن نتابع
خطواتهم ، فالإمام الغزالي كتب كتابه الشهير « إحياء علوم الدين »
وعنوان الكتاب يوضح أن الغزالي أدرك ضعف علوم الدين فألّف
كتاباً لإحيائها •

وجاء بعد الغزالي علماء أفذاذ كتبوا كتابات تساعد كثيرا على
تحقيق ما نهدف له من اصلاح كابين تيمية وابن القيم وغيرهما كثيرون •

وفي العصر الحديث أخرج مجمع البحوث الإسلامية « التفسير
المبسط للقرآن الكريم » وكتب الأستاذ محمد كرد علي كتابه
الإسلام والحضارة العربية » وكتب الأستاذ عفيف طيارة كتابه « روح
الدين الإسلامي » وكتب فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي « فقه
السيرة » والشيخ سيد سابق « فقه السنة » وكتب كثيرون مؤلفات
أخرى قيمة أشرنا لها فيما سبق •

وفيما يتعلق بتخصصي أذكر أنني كتبت موسوعة التاريخ الإسلامي
في عشرة مجلدات ، وقد كتبتها بروح إسلامية ، وأبرزت فيها الجانب
الحضاري ، كما جعلتها تشمل الدول الإسلامية جميعها عربية أو
غير عربية ، وتشمل كذلك الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية ،
وبسطت القول في مشكلاتها ، وكتبت كذلك موسوعة الحضارة الإسلامية
في عشرة مجلدات أيضا ، وموسوعة مقارنة الأديان في أربعة مجلدات •

وبغده الأعمال يمكن أن تكون أساسا لإصلاح شامل لمناهج الدراسات
الاسلامية ، وإصلاح المناهج سيكون أساسا عظيما لإصلاح المجتمع
الذي آن الأوان ليوب من رقدته ، وأن يستعيد أمجاده ماديا وأدبيا ،
وأن يصمم بنصيب كبير في تحقيق خير البشرية وسعادتها •

وقد بلغت فاللهم اشهد

مراجع البحث

اساس هذا البحث هو تجربة المؤلف الذاتية طالبا واستاذاً ، بالإضافة الى المراجع التالية التى ذكرت مرتبة أبجديا حسب الاسم المشهور للمؤلف :

١. — القرآن الكريم .
٢. — كتب الصحاح .
٣. — مجموعة من كتب التفسير .
٤. — منهاج المتعلم (مخطوط مجهول المؤلف) .
٥. — بعض أساتذة وزارة التعليم بمصر : المنهج الراضح فى البلاغة .
٦. — The Encyclopaedia of Islam .
٧. — أبو يحيى الأنصارى اللؤلؤ النظيم فى روم التعليم
٨. — آدم متر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
٩. — دكتور ابراهيم العدوى العرب والتتار
١٠. — ابن أبى أصيبعة عيون الأنبياء
١١. — دكتور أحمد شلبى موسوعة التاريخ الاسلامى (عشرة اجزاء)
١٢. — دكتور أحمد شلبى مقارنة الأديان (أربعة اجزاء)
١٣. — دكتور أحمد شلبى الفكر الاسلامى : منابعه وآثاره
١٤. — دكتور أحمد شلبى السياسة فى الفكر الاسلامى
١٥. — دكتور أحمد شلبى الاقتصاد فى الفكر الاسلامى
١٦. — دكتور أحمد شلبى الحياة الاجتماعية فى الفكر الاسلامى
١٧. — دكتور أحمد شلبى تاريخ التشريع الاسلامى
١٨. — أحمد تيمور باشا اعلام الفكر الاسلامى
١٩. — الأصفهائى محاضرات الأدباء
٢٠. — Emerton Midiaeval Europe
٢١. — Bulus The Influence of Islam
٢٢. — Priffault Making of Humanity
٢٣. — البغدادي (أبو منصور) الملل والنحل
٢٤. — البيجورى تحفة المريد على جوهره التوحيد
٢٥. — الجاحظ رسالة المؤمنين (مخطوط)
٢٦. — دكتور جلال مظهر حضارة الاسلام
٢٧. — الحبيب الجنحاتى المقرئ صاحب نفح الطيب

- الفصل في الملل والأهواء والنحل
التقريب
مذكرة التوحيد والفرق
المقدمة
وميات الاعيان
The City of Peace
History of 100 Great Events
الصویر فی الاسلام عند الفرس
اقتاتون
فته السنة
النصویر الفنّی فی القرآن
الانتقان فی علوم القرآن
الرسائل
المکر الاسلامی : مناهجه وآثاره
الملل والنحل
نیل الاوطار
قادة النکر
العقد الفريد
علم التاريخ
السلم وشرحه
الکشکيل
احياء علوم الدين
الرسالة التشريعية
A Short History of The Middle East
التفسير
حياة محمد
رسالة التوحيد
خلق المسلم
حضارة العرب
دائرة معارف القرن العشرين
نظام التعليم الاسلامی (بحث)
من قضايا الفكر الاسلامی
الاسلام والحضارة الاسلامية
- ٢٨ — ابن حزم الاندلسی
٢٩ — ابن حزم الاندلسی
٣٠ — حسن السيد متولى
٣١ — ابن خلدون
٣٢ — ابن خلكان
٣٣ — Richard Coke
٣٤ — Samuel Nisenson
٣٥ — دكتور زكى حسن
٣٦ — ابن سينا
٣٧ — سيد سابق
٣٨ — سيد قطب
٣٩ — السيوطی
٤٠ — الشريف الرضى
٤١ — محمد شريف
٤٢ — الشهرستاني
٤٣ — الشوكاني
٤٤ — طه حسين
٤٥ — ابن عبد ربه
٤٦ — عبد الحميد العبادى
٤٧ — عبد الرحمن الأخرى
٤٨ — العالمی
٤٩ — القزالي
٥٠ — التئيرى
٥١ — Kirk
٥٢ — ابن كثير
٥٣ — دكتور محمد حسن هيكل
٥٤ — الامام محمد عبده
٥٥ — الشيخ محمد الغزالي
٥٦ — غريستاف لوبون
٥٧ — محمد فريد وجدى
٥٨ — دكتور محمد المبارك
٥٩ — دكتور محمد كمال جعفرى
٦٠ — محمود ابو الفيض

الموشح	٦١ — المرزبانى
درك البقية فى وصفت الأديان	٦٢ — المسبحى
والعبادات	
الديانات	٦٣ — المسعودى
سرح العيون	٦٤ — ابن نيانة المصرى
الفهرست	٦٥ — ابن النديم
التفسير	٦٦ — النسفى
اللمع	٦٧ — أبو نصر السراج
الآراء والديانات	٦٨ — النوبختى
History of the Arabs	٦٩ — Philip Hitti
السيرة	٧٠ — ابن هشام
The Arab Kingdon and it Fall	٧١ — Wellhausen
معجم البلدان	٧٢ — ياقوت

٢١٥

رقم الايداع ٣٥٥٢ لسنة ١٩٨٧

مطابع سجل العرب

ISLAMIC INSTITUTIONS AND CIVILIZATION

1

HISTORY OF ISLAMIC SYLLABUS

- The Islamic Syllabus In Early Times
- Diconstruction of the Syllabus During Dark Ages
- Reconstruction of the Syllabus

BY

AHMAD SHALABY,

B. A. (Hon.) Cairo University,
Ph. D. Cambridge University,
Professor
of Islamic History and Civilization
Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

Sixth Edition (1989)

Published by:

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.



دكتور أحمد شلبي

- تلقى دراساته في الأزهر وفي كلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وفي جامعة لندن وجامعة كمبردج .
- زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ومثل مصر في عدة مؤتمرات دولية .
- درس مجموعة من اللغات الأجنبية ويجيد الانجليزية والاندونيسية .
- اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية — وقد حاضر — منتدبا وزائرا ومعارا — في جامعة الأزهر ، وعين شمس ، واندونيسيا ، والسودان ، وماليزيا ، والمملكة العربية السعودية ، وليبيا ، وفي معهد الدراسات الاسلامية ، ومعهد البحوث والدراسات العربية ، ومعهد الدراسات انديولوجاسية .
- مؤلفاته — غير المكتبة الاسلامية — تزيد عن خمسين كتابا ظهرت الطبعة العشرون من بعضها ، وأهم هذه المؤلفات :
 - ١ — موسوعة التاريخ الاسلامي في عشرة اجزاء .
 - ٢ — موسوعة الحضارة الاسلامية في عشرة اجزاء .
 - ٣ — مقارنة الأديان في أربعة اجزاء .
 - ٤ — كيف تكتب بحثا أو رسالة .
 - ٥ — المكتبة الاسلامية لكل الأعمار :
 - ١٠٠ جزء من السير والتاريخ وقصص القرآن ، للولاد والشبان والسيدات والرجال .
 - ٦ — ISLAM : Belief Legislation Morals
 - ٧ — History of Muslim Education
- كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية ، وترجمت أكثر مؤلفاته الى الوردية والتركية ، والاندونيسية والماليزية والفرنسية والفارسية .